

جنى دباغ

نوبيس باغو

أسرد للنشر الإلكتروني

نوبیس باغو

جنی دباغ

تأليف / جنى دباغ

تدقيق / بيان الرملي

تصميم غلاف: حبيبة محمد

تنسيق وتصميم داخلي: مها الجندي

© جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بنسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال وبأي صيغة أو التصرف فيه بأي أسلوب من الأساليب بدون إذن خطي مسبق من الناشر والمؤلف معاً.

الناشر / أسرد للنشر الإلكتروني

الوتساب الخاص بالدار: 01113536610

البريد الإلكتروني:

asrud.for.e.publishing@gmail.com

إنَّ الآراء الموجودة في هذا العمل لا تعبر بالضرورة عن رأي دار أسرد للنشر.

إهداء

إلى أولئك الذين ينتظرون حلولَ الليلِ بفارغِ الصبر، شتّى
الأمور المثيرة تظهر في الأعلى، السماء مرصعةً بالنجوم،
وبالمفاجآتِ أيضاً!

إلى كل تلك الأسرار المختبئة خلف أكوام الغبار الكوني
والسنة نيرانِ الصراعِ السرمدى فلا تهربي! أريدُ أن أبوحَ
بكِ فقط.

ASRUUD

للنشر الإلكتروني

الرحلة 21

في مهمة استطلاع الجسم الغريب المتوضّع على مقربةٍ من
مركز مجرة درب التبانة!

أو كما أقول: "المغامرة ما بين السُدْم واللاحيّة"

ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ١ -

ميسان..

إنها مهمتي الأولى، وأخيراً تحقق حلمي الكبير، الذي
ظننتُ أنني لن أستطيع الوصول إليه.

الآن قد خرجت من القوقعة التي حُبسنا بها جميعاً،
وهي الأرض، وأخيراً تجاوزت حاجز الحياة، الغلاف
الجوي، ابتعدت عن صخب البشر إلى صخب النجوم،
فقد سئمت صرخاتهم، سئمت أصوات القذائف
والدبابات، وحتى صوت هدير السيارات سئمت تلك
الشبكة العنكبوتية التي قيدتنا جميعاً، كباراً و صغاراً،
شيوخاً و غلماناً، ولم يفلت منها سوى الذين قطعوا
خيوطها بأرواحهم الطاهرة التي رفعت إلى بارئها.

ذاهبةً أنا لأزورَ النجوم، ليتها تؤنس وحدتي، تشاطرنني
هدوئي، أصغي لصمتها وتصغي لصمتي، فأوراقني لم
تعد تكفيني، أحياناً تحنو إلي فتهديني سطوراً، أنحتُ
عليها عذابي، وأنقشُ فيها صوتي المسلوب.

-٢-

كانت المركبة الفضائية "AWK-391" متجهةً نحو مركز مجرة درب التبانة حاملةً حفنةً من رواد الفضاء المتمرسين، وبعض الطلبة المتدربين، في حجرات التجميد المخصصة لهذه المهمة، فهذه الحجرات مصنعةٌ لتجميد رواد الفضاء في المهمات الطويلة، للحفاظ على صحتهم وحمايتهم من الهرم قبل إتمام المهمة.

كان المسؤول عن قيادة الفريق رائد الفضاء السيد "تيم"، وزوجه السيدة "ماريا"، وبرفقتهم المتدربون: "ريا" و "ريان"، و المتدربة البكماء "ميسان" أيضاً.

كانت ميسان تودع أمها بحرارةٍ قبل الرحلة، والتي كان برفقتها ابن السيد تيم "جورج" الذي ودعته أمه بسيلٍ من العبرات والقبل، وظلت توصي به أم ميسان "جمانة" التي ستتولى رعايته أثناء مهمة أبويه. كان جورج ذا الربيع السابع يحن إلى أمه وأبيه، فهم دائماً منغمسون في عملهم كرواد فضاء، ولكن السيدة جمانة كانت تعتني به، وتحنو عليه، كان يحبها ويعتبرها أمّاً ثانيةً له، كانت تعلمه دروساً في اللغة العربية التي نُقشت في جوارحها، فهي وزوجها الطبيب "ياقوت" من أصولٍ عربيةٍ ولكنهم اغتربوا بغية تطوير أبحاث ياقوت التي ساهمت في تقدم البشرية قبل اغتياله ورقوده في التراب.

وكانت قد حافظت على أصولها وابتنتها وإسلامها من
بعد رحيل زوجها الذي كان يشاركها تلك المهمات
الصعبة في بلادٍ غريبةٍ تضج بأديانٍ وأعراقٍ و أناسٍ
مختلفين.



ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٣ -

تيم...

عندما كانت السيدة جمانة تودع ميسان بحرارة، لاحت لي ذكرياتي مع صديقي ياقوت، الطبيب ياقوت، وددت زيارته بشدة، كان الوحيد الذي أمسك بيدي المائدتين بعدما تركني جدي والجميع خلفهم.

أحنُّ إلى تلك الأيام، ربما قبل عشر سنواتٍ أو أكثر، عندما زرتُ عيادته في بلادي سورية للمرة الأولى، كنت مع جدي ليفحصه، كان جدي مريضاً بشدة، فكان ولا بدّ من أخذ رقم هاتفه لأطلععه على صحة جدي باستمرار، والتي بدأت تسوء وبعدها انتشلت أشباح الجِمام روحه على حين غرّة، فأصبحت وحيداً، منكسراً، فبعد وفاة والديّ في حادثٍ وأنا في التاسعة من عمري، وجدت جدي يربّت على قلبي، كنت في أمسّ الحاجة إلى الحنان والدفء، فصار جدي كل شيءٍ بالنسبة لي، واستكملتُ دراستي بعد انقطاعي عنها حولاً كاملاً، تحسستُ الكتب، وجدتها كنزاً لا يقدر بثمن استنشقت رائحة الحبر والورق فعشقتها وكان لصوت فتح دفتي الكتاب وقعٌ خاصٌّ على قلبي، جميلٌ كصوت عكاز جدي وهو يضرب أرض البيت بوقار، أحنُّ إلى هذا الصوت، وإلى بنان جدي الحانية، وصوته الأعدب من ماء النهر الرقراق، كان فراقه كفراق الروح عن الجسد، مازلت أحتفظ بالصليب الذي

كان معلقاً في غرفته، كان أجمل صليبٍ صادفته تلك
المقل المغرورقة بالدموع أتشبتُ به في الشدائد، وأدعو
الرب أن يمنحني من حلم جدي وصبره، وأن يرشدني
إلى حضنٍ أسكن إليه، روح تحنو علي، قلب يستشفّ
وحدتي فيؤنسها، يد تهديني إلى الطريق الصحيح،
وكان الطبيب ياقوت أول من هرع إليّ بعد فراقني
لجدي، كان الجميع يحسبون أنني قد صرت شاباً قوياً
أستطيع الاعتناء بنفسني، لم يبصر أحدٌ روحي المتعبة
المختبئة بين أضلعي سوى ياقوت، فاتخذني صديقاً له
وعرض عليّ السفر معه وعائلته إلى الولايات المتحدة
الأمريكية أيضاً، فوافقت فهذا هو الحل الوحيد الذي
يؤمن لي حياةً هنيئةً بعيداً عن الماضي المرير،
حطّطت على هذه الأرض الجديدة أخيراً، حيث درست
علم الفلك، وتعلمت الكثير عن هذا الكون الذي لا
نساوي فيه نحن البشر ذرةً من حجمه وروعته، فمهما
بلغنا لن نصل مبلغ خالق هذا الكون البديع أبداً!

كانت حياتي الجديدة حافلة بالفرحة، فتزوجت ماريما
وخرج إلى العالم ذلك اللطيف الصغير "جورج"،
الطفل الذي أخذ من جدي الملامح والطباع، لقد
عوضني الله عن جدي بابنٍ أشبه به قلباً وقالباً، رأيتُه
كالعكاز الذي يستندُ عليه عندما ينال الهرم مني، كما
كان يستند جدي على عكازه العتيق.

ولكن سعادتي لم تكتمل أبداً، فقد عادت أطيف الموت لتحوم حول أرواح من أحب!، تم اغتيال صديقي العزيز الطبيب ياقوت في منزله، كان حزني عليه شديداً، ولكنه ما كان يساوي ذرةً من حزن زوجته وابنته على فراق روحه الطيبة، فالسيدة جمانة تركت تلك الابتسامة التي كانت منقوشةً في ملامحها الدافئة تذهب برفقته إلى بارئها وميسان خانتها حنجرتها في الكلام وذهب صوتها البريء أدراج الرياح أصبحت بكفاء لا تستطيع التعبير عن مكنون صدرها إلا بالقلم الجامد، ولكنها ما زالت تسعى لتحقيق حلمها بأن تزور النجوم، كانت دائماً ما توصي ماريا بأن تحكي لها عما تراه في الفضاء، فكانت رحلاتنا أنا وزوجتي في مركبات الفضاء عديدة، إنه القرن الثاني والعشرين، لن تكف بمهمة واحدة فقط لقبطان متميز مثلي، دائماً ما أتم مهامي على أكمل وجه، وتنجح رحلاتي في تحقيق ما تبعث من أجله، ولكن هذه الرحلة ليست كسابقاتها، فهذه المرة معنا ثلاثة مستجدين، هم في مسؤوليتنا، فليس واجبنا إرشادهم إلى المعلومات فقط، بل أيضاً حمايتهم من مخاطر الفضاء الفسيح، فنحن سنتوجه إلى مركز المجرة لتحقيق المهمة المنشودة، أي ثقب أسود كبير قد جذبنا بقوته إلى المجهول على حين غرة، وفضلاً عن ذلك أن هناك عشرين تجربة سابقة مشابهة لهذه قد انتهى أمرها بين غبار النجوم، الحذر عنصر أساسي في هذه الرحلة، لأنها ستغير مجرى التاريخ.

-٤-

ميسان...

وبعد وصولنا إلى مُبتغانا بأمان، وجدنا الجسم الغريب قرب مركز المجرة فعلاً، انتشلته الآلات في المركبة ببراعةٍ ودقت ساعة العودة إلى الديار، وضعنا هذا الجسم الغريب البيضوي الشكل في المركبة، ودلفنا حجرات التجميد مجدداً. عندما نعود سنجد الأطفال قد صاروا شباباً، والكهلى صاروا شيوخاً، والعالم أصبح أكثر تقدماً، ونحن -المكلفين بهذه المهمة - لن تبدو علينا هذه المدة -التي ليست بالقصيرة- سوى كيوٍم واحد وقلوبنا تتلهف للعودة فلا بد أن أهلنا قد اشتاقوا إلينا كما نفعل نحن، ونتطلع أيضاً لمعرفة ماهية هذا الشيء البيضوي الغريب الذي كلف البشر طائلاً من الأموال والأرواح للحصول عليه!

ها قد عدنا، وليتنا لم نفعل، احتلت الصدمة قلوبنا لما حصل، أضحت الأرض حفنةً من الرماد، ليس فيها إنسي، لا شيء سوى حطامٍ وصراصير؟!، لا بدّ أنها القنابل النووية، أفنت الأرض بما فيها ولم تسلم منها سوى تلك الحشرات فالصراصير مضادةٌ للقنابل النووية، ولكن باقي المخلوقات ليست كذلك.

بدأت عبراتنا تنهاوى على هذي الأرض الجرداء، التي دفنت في جوفها كل أشكال الحياة، أهالينا، وأصدقائنا،

وكل تلك الأرواح البريئة التي جرّت إلى الحمام عنوةً
بأسلحةٍ لا يفقهون عنها الكثير.

حاولنا التدثر بالهدوء والصبر، فكلنا قد حُطّنا بفراق
أحبائنا، كانت ماريّا أكثرنا تأثراً، فقد شعرت بالفعل
بأن مصيبةً ما تنتظرنا ولكنها تكتمت عن الأمر!

وأما السيد تيم فكان يجري لاهثاً حتى وصل إلى موقع
منزله المندثر تحت الرماد، وشرع ينبش في الحطام،
خلناه قد جنّ!، فمهما بحث لن يجد ابنه أو أي شيءٍ
آخر، سيجد فقط الغبار، أو هذا ما حسبناه! اتبعنا خطاه
السريعة وراقبناه من بعيد، حتى سمعنا صوت أنامله
تضرب بشيءٍ معدني، لقد وجدته!

دنونا من السيد تيم فوجدناه يزيل الغبار عن صندوقٍ
معدني كبير، شكله يشبه حجرات التجميد التي حُفظنا
بداخلها في مهمتنا.

ساعدناه في إزالة الغبار ونحن لا نعلم ما يهدف إليه
هذا الرجل، ففاجأتنا نافذةٌ حديديةٌ صغيرة، رفعنا
الغطاء عنها فظهرت مجموعةٌ من الأزرار والأسرار،
شرع السيد تيم بضغط أزرارٍ معينةٍ وكأنه يعلم وظيفة
كلّ زرٍ منها، وأخيراً، فُتح لنا هذا الصندوق، وحلّ هذا
اللغز.

احتضن السيد تيم الصندوق المعدني قائلاً والعبرات
تزيل أكوام التراب من على القطعة المعدنية المهترئة:
"علمتُ أنك لن تخذلني، يا قوت!".

بعد أن تفجرت العيون بالعبرات، علت الابتسامة
ملامحي وملامح السيد تيم، لقد عوضنا الله عن كل
الرماد بشخصٍ واحدٍ فقط، ليس كأَيِّ مخلوقٍ آخر، بل
طبيبٌ وباحثٌ في شتى المجالات، فقد حصّن نفسه من
القنابل النووية بصناعة حجرة تجميدٍ من جلد
الصراصير. حتماً سوف تفيدنا أبحاثه في إعادة ما
يسمى بالبشرية، ولكن ليست كتلك البشرية المتوحشة
التي لم تكتفِ إلا بتدمير نفسها.

ربما أنا سعيدةٌ لأجل هذه الأرض!، لقد سقط
المتجبرون فتاتاً على حين غرة!، لا بدّ أنها هكذا تتنفس
حقاً بخفة، حتى بعد خسارة العديد من الأبرياء، ولكنهم
الآن في مكانٍ أفضلٍ وتغمرهم الراحة أيضاً، يبدو أنهم
قد قضاوا على عالم المظلومين أخيراً.

وددت أن أعلم لم حمل السيد تيم أبي حتى وصلنا إلى
المركبة الفضائية التي ستؤويننا، فهي الشيء الوحيد
السليم في هذا العالم المهشم.

أخبرني السيد تيم أنّ السكين التي عُرسَتْ في ذلك
الجسد كادت تودي به، ولكن ولحسن الحظ تمكن السيد
تيم من انتشال أبي إلى الحياة مجدداً في اللحظات
الأخيرة، ولكن هذه السكين لم تلوثُ سُدّاً، فقد خدشت

النخاع الشوكي للضحية حتى ردعتها عن تحريك
النصف السفلي لهذا الجسد الكهل، لقد نال الشلل من
ساقَي الطيب العجوز.

واختفى والدي بين جدران قبو منزل السيد تيم العتيقة
سراً، ولهول الخطر المحقق بحياة الطيب وخوفاً من
اكتشاف أمره، قرّر السيد تيم أن يُقي نجاته سراً عن
الجميع، حتى وأنا أمي، لم نكن نعلم أنه مازال يتنفس
من هواء هذه الأرض المزدهمة.

غلبتني اليقظة في هذه الليلة رغم تعبتي، هذا ما حدث
مع الجميع أيضاً، فأخذنا نراقب الثريا التي حمتنا من
صيحات الموت، لبيتنا بقينا هناك، أو ابتلعنا ثقباً أسوداً
أو جُذبنا إلى الشمس وكوئنا بنيرانها، تلك النهايات
أجمل من أن نرى عالمنا فتاتاً، نستنشق رماداً قد يكون
آخر ما تبقى من عظام أحبائنا.

وبعد برهة تسلل النوم إلى جفوننا رغماً عن شجوننا،
واستسلمنا إلى التعب رغماً عنّا، تمنينا أن تنتهي هذه
المغامرة هنا، ولكن هيهات، لقد ظلّت أمانينا معلقةً بين
نجوم بعيدة ربما قد انفجرت، مهما بلغنا لن نلتقطها أو
نكاد حتى.

وفي صباح اليوم الذي يليه استيقظت باكراً، باكراً جداً،
حتى أنّ الشمس لم تهدينا سوى خيطاً رفيعاً من نورها،
أيقظتني أصوات طقطقة، أفرجت عن مقلتي جيداً
لأرى ما هذا الشيء المزعج الذي يصدر ذلك الصوت،

وكانت المفاجأة، هربت من حنجرتي شهقةً أيقظت الجميع، لحظة، لقد أصدرت صوتاً، ولكن ومنذ متى وأنا أستطيع؟!، لقد تخلّيت عن محاولاتي في المهمة حتى منذ زمن، وخنعت لصمتي، حقاً، الله لا يهبنا النعم حتى نرضى بقدره!

و حولي الأصوات مباركةً، حتى غاب عن ذهني سبب إصدار تلك الشهقة!

يبدو أن عودة صوتي كانت سبباً لتغيير الأجواء قليلاً، فبالأمس كنّا نلتحف بشجوننا، ولكننا الآن نحتضن بسماتنا وننسى الآمنا، ونضحك لبعضنا البعض. بقينا في المركبة، فهي درعنا المنيع، والحضن لنا بعد أن ماتت أمنا الأرض، بدأتُ أشعر بالحنين لأمي وحضنها الدافئ، لقد كانت كل شيءٍ جميلٍ، كانت ثناياها تعكس نور بسمتها، وجمال روحها.

مسحت عبرةً هربت من عيني بكم سترتي بسرعة، لا أريد أن أعيد الحزن على ملامح الجميع مجدداً بعد هدوء أعصابهم، لنلتفت لأمرٍ أهم.

بدأنا نعتاد على الحياة هكذا، فهذه المركبة كبيرةٌ وتتسع للجميع، ووجدنا فيها بعض الكتب العلمية و الأعمال الأدبية، والأجهزة المتطورة التي ساعدتنا كثيراً، وملابس وأغطية ومواد غذائية، ووجدنا ماءً قليلاً لا يكفينا سوى لشهرٍ واحدٍ في أعلى تقدير، والأنهار في الأرض لا تزال ملوثةً وتنظيفها صعبٌ جداً، وهذه

أكبر مشكلة، عزمنا التقشّف على قطرات المياه المتبقية، ولكن إلى متى ستبقى هذه القطرات؟.

وبعد كل هذا العناء، لقد أفيننا حقاً، تمنينا لو انتهى أمرنا مع إخوتنا واسترحنا، لقد هرمننا من الجهد، وحقاً أنا بدأت أهلوس وأتخيل الناس تسير أمامي متجاهلةً إياي كما كان يحدث في الأيام الخوالي وقع خطواتهم كالطقطقة تسكن أذني وتأبى الرحيل، ولكنني لست الوحيدة التي تسمع هذه الطقطقة الغريبة، بل الجميع أيضاً!.

وبعد مدةٍ، عادت مياه الأنهار رقراقةً عذبةً، واستطعنا نهل الماء، وعدنا إلى طبيعتنا، بكامل قوانا العقلية، وأما عن صوت الطقطقة الذي كنّا نسمعه، عرفنا مصدره أخيراً!.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٥-

فلمة...

قبل ما يزيد عن مئة سنة...

زارت خيوط النور غرفتي صباحاً تحمل معها من
النجوم المحيطة بنا دفناً، ذكرتني بسعادتي الغامرة و
حماسي الشديد لرحلتنا اليوم، فهذه الرحلة ما هي إلا
خطوة صغيرة للفريق، ولكنها قفزة كبيرة للعالم.

خرجت من حجرتي أشتعل حماساً، ذهبت إلى غرفة
المطالعة لجلب سماعاتي فوجدت "قين" "نيبولا"
و"غوو" منغمسون في كتبٍ ثخينةٍ، ملون، لماذا
يقروون الكتب بينما يمكنهم معرفة شتى المعلومات عن
طريق الأغاني الثقافية؟، الأغاني الثقافية هي كتبٌ
مغناةٌ مع ألحانٍ عذبةٍ لنشر الثقافة بطرقٍ تناسب من لا
يحبون المطالعة مثلي، وضعت السماعات وشغلت
أغنيةً عن مجرة درب التبانة، أحتاج حقاً لسماع هذه!.

رن الجرس في غرفة المطالعة دون أن أشعر معلناً
بأمر ذهابنا إلى المقر الرئيسي بسرعة، لكزنتي نيبولا
فخلعت سماعة الأذن لعلني أفهم ما يجري، هرولت
بعدها مسرعةً مع صديقتي إلى المقر الرئيسي متطلعةً
إلى ما سيحدث هناك، أشعر بالفضول الشديد ... أريد
أن أكتشف كلّ إنشٍ في هذا الكون الفسيح، وأريد أن
أرى ما ستؤول إليه هذه الرحلة! وصلنا إلى المقر

الرئيسي بعد برهةٍ من إصدار النداء، كان بانتظارنا هناك الكثير من المفاجآت، وجدنا المسؤول عن الرحلة يلقي نظرةً خاطفةً على الآلات والأجهزة التي ستساعدنا كثيراً في أداء المهمة الموكلة إلينا نحن الفريق، أنا، نيبولاً، قين، وغوو، انتشلي من تفكيري صوت صرير مكبر الصوت معلناً بداية الخطاب.

فبدأ المسؤول خطابه قائلاً: «هذه الرحلة ستغير مجرى التاريخ، لهذا اخترناكم أيها التبغ، وأوكلنا إليكم هذه المهمة.

كما تعلمون أنّ مجرتنا "سحابة ماجلان الكبرى" تعاني من كوارث طبيعية كثيرة هُجرت بسببها الكثير من المناطق، ووافقت المنية الكثير، لذا لنحمي نسلنا الذي أصبح في اضمحلالٍ متسارع، ولأننا لا نستطيع إنقاذ المجرة من الكوارث أو حتى إرسال الجميع إلى مكانٍ آخر، قررنا أن نرسل شفيعين من نسلنا إلى مكانين اكتشفنا -بعد العديد من التجارب- أنهما صالحين لحياة شعب سحابة ماجلان الكبرى، كلا الموقعين في مجرة درب التبانة، ولكن أحدهما يقع في ذراع المجرة "حامل رأس الغول" الذي سيُرسل إليه الشفع الأول "نيبولاً وغوو" ليقوموا بمهمتهم في بناء حضارةٍ جديدةٍ لأبنائهم وأحفادهم تحمل قيم شعبنا وعلومهم، والمنطقة الأخرى تقع في ذراع "الجبار" الذي سنرسل إليه

الشفع الثاني "فلّمة و قين" الذين سيقومون بنفس مهمة الشفع الأول.

سيتم إرسالكم بمركباتٍ صغيرةٍ تشبه البيوض، لكلٍ منكم بيضةٌ خاصةٌ به، ترتبط بيضتي الشفع الواحد ببعضهما عن طريق قوةٍ مغناطيسيةٍ خارقة، هي أقوى حتى من القوة المغناطيسية لمركز مجرة درب التبانة، وأيضاً هذه البيوض تحتوي على أجهزة تجميد يمكن إيقافها فقط عن طريق تعرض البيضة لحرارة النجوم الموجودة في مجرة درب التبانة.

ربما انتم تتساءلون عن سبب إرسال شفيعين إلى مكانين مختلفين، نحن نخشى أن تخطئ دراستنا وتكون إحدى هذه المناطق غير صالحة للعيش، أو أن يخفق أحد الشفيعين بأداء هذه المهمة.

وأخيراً أرجو التوفيق وأرجو نجاح هذه المهمة، أ بذلوا جهدكم!..»

وبعد انتهاء الخطاب، عزمت على الذهاب إلى الحُجرة التي تحوي البيوض، أعلم أنّ الدخول إلى تلك الحُجرة محظور، ولكن فضولي أشدّ من القوانين المملة تلك، وسأدخل.

دلفت إلى الغرفة قلقةً، حتى أنني لم أشعر بالدرجات القليلة عند المدخل، وارتطمت بها بقوة، ارتميت على الأرض محدثةً ارتجاجاً في الغرفة، وسقطت إحدى

البيوض، ذهبت إلى البيضة مسرعةً وأعدتها إلى مكانها وخرجت بصمت، وكأنني لم أتسبب بمصيبةٍ جرّاء سقوط هذه البيضة!



ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٦-

ياقوت...

وكانني أعيش في قصةٍ خيالية، فقد مررت بالكثير من التجارب في حياتي الطويلة نوعاً ما، ونجوت من أطيف الحمام مرات عديدة، وامتلكت عقلاً راجحاً ميّزني عن سائر الأنام، فكما يقولون عني أنا أخطبوطٌ بثلاثة قلوب، وتسعة أدمغة، وثمان مجساتٍ أتشبه بالحياة بواسطتها.

أنا مذ كنت في رحم أمي أصارع الموت، فعندما كانت أمي حُبلى بي وفي شهرها السابع تقريباً، تعرضت لحادثٍ أودى بحياتها، ولكني نجوت بأعجوبة!، وليتني لم أفعل.

نشأت بدارٍ للأيتام، لأن أبي قد أُعدم قبل انتشالي من جثة أمي بأيام، فقد اتّهم بجريمةٍ خطيرةٍ لا يفقه عنها شيئاً، حسناً، إن هذه الحياة قد دفنت العدل في تراب التاريخ منذ زمنٍ طويل، لأنه -كما تعلمون- كنزٌ لا يقدر بثمن.

عندما كنت في الخامسة من عمري، أضمرت النار في الميتم وبمن فيه، احتضنت النيران الجميع وأبت الخمود، وأنا فقط من لفظتني محروق الذراع والروح، كنت أظنها كباقي العالم تكرهني، ولكنها لم تفعل، لأنها

أرادت أن أركب في محطات الحياة كلها، لأنها تخبئ لي في جعبتها الكثير من المفاجآت!.

انتشلتني الأنامل الطيبة من الموت مرةً أخرى، وعرض عليّ فريق الإنقاذ أن يضعوني إلى ميتمٍ آخر، ولكنني لم أرد ذلك، لكيلا أستعيد الذكريات، لأنني أكره الماضي رغم أنه لم يكن طويلاً، وقررت التخلص منه.

انتقلت إلى مدرسةٍ ابتدائية، أويت بين جدرانها واعتبرتها المنزل الدافئ، ولكنني لم أبقَ دون مقابل، فقد كنت أنظف الساحة والصفوف كل يومٍ بعد انتهاء دوام الطلاب، وكنت أساعد المعلمات في حمل شتى الأغراض والوسائل إلى الصفوف، لأستطيع البقاء في منزلي الكبير وأحصل على ما يصمت صراخ بطني الصغير.

كنت أراقب الطلاب يلعبون في وقت الاستراحة، تمنيت لو كنت بينهم، أو أن أعيش مثلهم حياةً خاليةً من الهموم، يلعبون، وينهلون العلم، وأكبر همومهم هي واجباتهم المدرسية، بينما أنا كنت أعيش المرّ لكي أدوق لقمةً تبقيني حياً ليومٍ آخر، أحمل أملاً أن أنجو ولو كأشلاءٍ من هذه الحياة القاسية.

تمرّ الأيام برتابة، ولكن ذلك الصباح المشرق لم يكن كذلك، فقد أتت إلي معلمةٌ تسألني عن... عن نفسي!، كانت أول من يرى أنني إنسانٌ كالجميع من حولي. أخبرتني أن أحضر دروسها لكيلا أبقى أمياً جاهلاً، وقد

علمتني الكثير مع مرور الأيام، وجعلتني أبصر نور المعرفة أخيراً.

كنت أمل أن أكون صداقات مع طلاب صفي الجديد، ولكنهم انشغلوا بشكل ذراعي المحروقة ونسوا أمر روعي، روعي التي قاست الوحدة والتعب وهي برعمة صغيرة.

بدأت أشعر بالوحدة أكثر، وقست قوقعتي لأبتعد عن الجميع، فكنت أرى الطلاب يجتمعون عليّ، ويسخرون مني، وأنا لا حيلة لي جرّاء ذلك الهراء الذي حطّم قلب ذلك الطفل الصغير.

أتممت أعوامي الدراسية في هذه المدرسة قبل أن أحمل متاعي القليلة إلى مكانٍ آخر غير ناو العودة إلى ذلك الجحيم، فقد سئمت من ضحكات الأطفال عليّ، وسخريتهم تلك طوال الوقت.

مرّت عليّ أيامٌ وأنا دون مأوى، أنام في زقاقٍ قديمٍ ومهجور، وأصبح عليّ نباح الكلاب، أعمل عتّالاً أحمل متاع الناس الثقيلة إلى منازلهم، وأتناول أجري بأناملي المحترقة من بنان الأثرياء البيضاء التي لم تعرف الخشونة يوماً، وانصرف إلى زقايي الصغير، حتى مجيء ذلك اليوم الذي طلب مني فيه طبيبٌ أحمل أغراضه في العادة أن أنتقل إلى منزله الكبير، فهو وحيدٌ وأراد من يؤنس روحه، وقد وجدني الشخص المناسب.

علمت من الطبيب صادق أنه سافر من بلده "سورية" إلى "إسبانيا" بغية استكمال دراسته، تاركاً زوجته وأطفاله هناك، ولم يستطع العودة بسبب إغلاق الطرق إلى بلاده، فبقي وحيداً يحيا هنا على أملٍ صغيرٍ في أن يفرجها الله، ويستطيع رؤية عائلته مرةً أخرى.

قرر الطبيب تعليمي أكثر مما علمتني إياه الحياة من تجارب قاسية، علمني عن اللغة العربية ودينه الإسلام الذي عشقته، والذي -في نهاية المطاف- أصبح ديني أيضاً.

أخبرني عن شتى العلوم، لأنه كان يرى فيني روحاً طامحةً لتغيير هذا العالم، فقد ولدت من رحم الجِمام، وأنا أكثر من يريد أن يحيا بحق!.

عشت مع الطبيب صادق أجمل أيام حياتي، لقد جعلني أنهى مرحلة التعليم الثانوي، وأدلف إلى الجامعة، بالكلية التي حلمت بارتياها، الطب، وأصبحت طبيباً أساعد الطبيب صادق في عيادته، وأنهل من خبرته، لقد عوضني الطبيب عن الأب الذي لم أعرفه، وعوضني عن العائلة التي لم أعشها مع أحد.

وفي ذات يوم، وصلت إلى العيادة رسالةً بفحواها الغامض علي والواضح والجرح على الطبيب تقول كلماتها: «السلام عليكم، أبي، لقد توفيت أمي برصاصةٍ سريعةٍ اخترقت روحها، وأنهت أمرها، وبعد وفاتها تركني إخوتي وانشغلوا بأعمالهم

وعوائلهم، ونسوا أمرك، ولكنني لم أفعل، فقد كانت
أمي تروي لي عنك دائماً، ربما أنا لم أقابلك بعد،
ولكنني واثقة أنك ستعرفني، لأنني ابنة أمي التي عشت
معها أروع الأيام وأحلكها، أرجو أن أراك قريباً، فأنا
الآن أحضر متاعي للقدوم إليك، إلى إسبانيا، لقد فتحت
الطرق بعد كل تلك المدة، أنا فرحة بهذا حقاً، ولكنني
حزينة أيضاً، لأن أمي قد رحلت قبل أن تعلم بهذا
الخبر الجميل.

انتظرنى ابي...

جمانة...

شدّ الطبيب صادق على الورقة ببنانٍ مائدٍ من هول
الصدمة، قرب الورقة منه بهدوءٍ واحتضنها والعبرات
تتسلل ببطءٍ على وجنتيه، فقلت في نفسي: ربما ثقل
المشاعر علينا يجعلنا كالأطفال، فنحن لا نقو على حمل
المشاعر والعبرات في آنٍ معاً، يجب أن نرمي إحداها،
ولكننا نحن كبشرٍ نرمي بدموعنا ونحتفظ بمشاعرنا،
فما في قلوبنا هو سرّنا الصغير.

بعدما هدهد الطبيب قليلاً، أخبرني بأن ما قرأته معه كان
صحيح، وأن تلك التي بعثت له الرسالة "جمانة" هي
ابنته، وأنها قادمةٌ لتعيش معنا في إسبانيا قريباً، لكيلا
تبقى وحيدةً أمام هذا العالم القاسي.

مرت الأيام ولم تأتِ الوافدة الموعودة، وقد أثار هذا على الطبيب صادق بشكلٍ كبير، شرعت الأمراض تتسلل إلى جسده دون أدنى مقاومة، واحداً تلو الآخر، لقد كان خوفه على ابنته كبيراً، فإنَّ قدومها من سورية إلى إسبانيا في هذه الظروف صعبٌ جداً، أصعب حتى من بعض التجارب القاسية التي مررت بها في حياتي.

وأما ما شغلني أنا، هو قلقي على الطبيب صادق، كنت مواظباً على رعايته وتنفيذ كل متطلباته، فهو الذي أخذ بيدي ليخرجني من عالمي المظلم، حتى دلفت إلى عالم منيرٍ بحنانه وعلمه، وفي هذا العالم الجميل، وجدت سلم الارتقاء، سلمٌ في نهايته يكمن حلمي البعيد الذي أجهد لالتقاطه، لهذا سعدت هذا السلم حتى آخر لُبنةٍ فيه.

وحدث ما لم يكن بالحسبان، استيقظت على صوت كسر زجاجٍ مفاجئٍ ذات نهار، فتسارعت التساؤلات فيّ كالسيل: ما الذي حصل؟، حتى أخبرتني عيناى المتقلين بالعبرات بالإجابة، أبيت التصديق، «إنَّك تملك عيوناً كاذبة!»، هذا ما قاله قلبي الذي أضحى فتاتاً كالزجاج المحطم أسفل قدمي، ولكن عقلي لم يواسي قلبي ولو للحظة، وأسرع بأمر ساقي البليدتان بالتحرك تجاه الطبيب صادق الملقى على الأرض بجانب زجاج كأس الماء المكسور وقطرات المياه المتناثرة هنا وهناك، اتجهت تلك الكفّ الراجفة إلى قلب الطبيب

المريض، فأعلمه صوت النبض الضعيف بالحاجة للتصرف، اتصلت بالإسعاف الذي نقل الطبيب إلى المشفى لفحصه على حين غرة، وبعد الفحص تبين أنه أصيب بتجلط في دماؤه، وأنه بسبب هذا التجلط لن يمكث على هذه الأرض طويلاً!

تم إخباري أن الطبيب صادق سيببت في المستشفى لرعايته، فليت الرعاية هذه ترسم بعض الصدا على عجلة الرحيل السريعة، هذا ما تمنته روعي المحترقة.

ذهبت إلى المنزل والعبّرات قد أغشت أبصاري، لم أستطع مقاومة دموعي التي أرادت التعبير عن الألم الذي رآته تلك العيون المغطاة بأهداب لم تجف، أتيت لأحضر أغراضاً تخص الطبيب صادق، أمل أن يستعملها كثيراً.

دلفت إلى المنزل متجهاً إلى غرفة الطبيب مسرعاً، هاتفه يرن، التقطت الهاتف لأرى اسم المتصل بصعوبة من غزارة العبّرات، وكانت المفاجأة!

أغلقت الخط دون شعورٍ مني، فأخذ الهاتف يرن مجدداً، استنشقت نفساً عميقاً، وفتحت الخط هذه المرة.

وضعت الهاتف قرب أذني ليشق توقعاتي صوت لهاثٍ متعبٍ ممزوجٍ ببحة بكاءٍ هادئة، بادرت بالسلام فرُدّ لي سلامي وتبع السلام سؤالٌ وقع كالسيف على قلبي، كان «أبي.. أقصد السيد صادق الطبيب صادق؟» تجمدت

الدماء في عروقي ولم أستطع النبس ببنت شفة، وبعد تكرار السؤال عليّ عدة مراتٍ استطعت الإجابة، «حسناً أنا لست هو، ولكن ما الذي تريد منه؟»، سمعت الإجابة كصوت صاعقةٍ دوت فيّ، «أنا الآن في المطار، في مدريد، ضالةٌ هنا في هذه البلاد التي لا أعرف عنها شيئاً، لا أستطيع التواصل مع الإسبانيين لمعرفة الطرق، وأنا أحتاج للوصول إلى حضن والدي فقد أفنتني الوحدة، أشعر بالحنين للأب الذي لم أعرف عنه شيئاً سوى الحب والحنان من حكايات أمي، أمي التي تركتني أملهً أن أصل إلى يدي أبي الدافنتين، أثمرها بحرارة، مخمدةً بهذه القبلات نار الحنين، فأرجو أن تدلني على أبي، فأنت تعرفه صحيح؟، لست مجرد سارقٍ لهاتفه أو ما شابه، أنت تحدثني العربية، متأكدةٌ أنك قريبٌ من أبي!، فلو لم تكن كذلك، لما كنت أصغيت إلى كلماتي الكثيرة وأنا أبوح بشجوني دون أن أشعر، أرجوك إن كنت محقة، فأعلمني بمكان أبي فقد فطر قلبي لرؤيته. صحيح!، لم أعرف بنفسني، أنا ابنته جمانة». سمعت تلك الكلمات المزوجة بعباراتٍ صادقة، فأبكتني أنا أيضاً، ولا إرادياً تركت أغراض الطبيب متجهاً إلى المطار على جناح السرعة، يجب أن ترى "جمانة" والدها الأكبر وقتٍ ممكن!.

وصلت إلى المطار وقد بلغ مني التعب مبلغه، ضغطتُ على جفوني ببنايٍ أمنع دموعي من الهرب، لم يطل بحثي عن جمانة، فتاةٌ في ربيعها العشرين تتميز بحجابٍ وثوبٍ فضفاض، تبدو مختلفةً عن باقي المتواجدين في المطار وعن المتواجدين في هذه البلاد بشكلٍ عام، دنوت منها لأجدها تحاول كبح سيل العبرات بصعوبة، لم تنتبه لوجودي قبل أبادرها قائلاً باللغة العربية: «سلامٌ عليك يا جمانة، أنا ياقوت، صديق الطبيب صادق، أنا من أجبت على اتصالك، وسألني طلبك بروية الطبيب إن شاء الله.»، حركت رأسها بهدوءٍ بدليلٍ على الاستجابة، فأشرت لها أن تتبع خطواتي بعد أن استأذنتها بحملٍ متاعها القليل وبصراحةٍ أنا لم أملك تلك الشجاعة لأعلمها بما أصاب والدها، فربما ستتهار إن عرفت، وهذا سيزيد الطين بلاءً.

وصلنا إلى المستشفى، وعندما دلفنا في الدهليز المؤدي إلى غرفة الطبيب صادق، اتجهت صوب إحدى الممرضات راکضة، وما إن انتصبت مقابلةً لي قالت: «أنت السيد ياقوت؟، المريض صادق يطلبك الآن، إنه يحتضر!»، اتجهت صوب غرفة الطبيب مسرعاً دون تفكير، كالهارب من النيران، نيران تلك الجملة "إنه يحتضر"، وصلت إلى باب الغرفة لأتسمر مكاني!، لم أتجرأ على الدخول، رفعت أناملي المائدة نحو مقبض

الباب، ولكنني لم أستطع أن أضغط الزناد لكي يفتح، إنه الباب الذي تختبئ خلفه الأسرار، بالطبع يطلبني الطبيب ليخبرني بأسراره، وسيخبرني أيضاً بأن أنتظر ابنته!، قطع تفكيري صوت وقع خطواتٍ مسرعةٍ قادمةٍ من خلفي، التفتُّ لأجد جمانة وقد انتصبت تطالعني بنظراتٍ تكافح لتملأها ثباتاً وشرعت تمطرني بالأسئلة «هذا مستشفى صحيح؟، ولكن لماذا نحن هنا؟، أريد رؤية أبي!، خذني إليه أرجوك!، لم أعد أستطيع التحمل، ما الذي دهاك؟، أجبني!، يا قوت!..»، تجمد لساني وشلت حبال الصوتية، لم أستطع النبس بينت شفة، أرخيت يدي على مقبض الباب بهدوء والعبرات قد هزمت تظاهري بالقوة أمام هذه الابنة الملتاعة، ففتح الباب الذي خبأ لنا خلفه الكثير من المفاجآت، تسمرت مكاني، وأفرجت عن تلك الدموع المسجونة، سجنتها بإرادتي مذ ولدت، فالدموع حملٌ ثقيل، ولكنني قبلت به.

ردّني إلى الواقع صوت هرولة جمانة باتجاه السرير وسط الغرفة، تأملت الطبيب بعيونٍ اغرورقت بالدموع، دلفتُ الغرفة فالتفتت إليّ لتسألني «هذا أبي صحيح؟، هذا الذي نمت على حكايات أمي عنه وأنا صغيرة؟، آه يا أمي لو كنت بجواري الآن، تشاركوني فرحتي بروية أبي، وأيضاً تشاطرنني حزني بمرضه، رحمك الله يا أمي، أنت التي انتظرت هذه اللحظة أكثر

مّني، ومن كل مخلوقٍ على هذه الأرض، ولكنك لم تحظِ بها في نهاية المطاف.»، «رحمها الله»، قلتها دون وعيٍ مني، وأنا الذي خلت أن صوتي قد مات بعد كل هذا، ولكنه لم يكن كذلك، ربما هذه حكمةٌ من ربّ العالمين، رددتُ الدعاء لأخفف من حزنها ولو قليلاً، فسبحانك ربي ما أعظمك!، تجعلنا نفعل ما نفعل لنساعد الناس، ما اعظم حكمتك يارب!.

لم أستطع سوى مراقبة حركة الأجهزة التي تشير إلى أن الطبيب لم يرحل بعد، التفتت إلى جمانة لأجدها تراقب أجفان الطبيب وهي تتفتح ببطءٍ كالزهور، فتحت أجفانه بهدوءٍ لتترك الضجة للعبّرات التي حملتها روحٌ لم تهدأ قلقاً وخوفاً على جمانة، وبدت لنا هذه العيون التي عكست بداخلها الرحمة، الرحمة التي احتاجتها البشرية بشدة.

وبعد السيل المتواصل من الدموع، طلب منّا الطبيب أن نجلسَ بقربه، كنت أخشى كلامه الذي سوف يفصحُ به رغم حكمته، فأنا لا أستطيع تقبّل رحيل الطبيب صادق أبداً، لا أظن أن الحياة جيدةٌ مع البشر، فكلما نجد كتفاً نستند إليه في وحدتنا، تسلبه منّا الحياة عنوةً لتردّنا إلى بئر شجوننا، هذا البئر الذي لم تصل إلى قاعة قطرة رحمةٍ واحدة.

في ذلك اليوم مكثنا أنا وجمانة مع الطبيب صادق في المستشفى لنطمئن على صحته، وعندما أرخى الليل

سدوله أوصلت جمانة إلى المنزل وبقيت أنا مع الطبيب، نمت بصعوبة تلك الليلة، وبعد مصارعة مخاوفي استسلمت للنوم بفعل التعب الشديد، ولكن نومي لم يستمر طويلاً، كانت أصوات صفيرٍ حادٍ تخترق أذناي، فتحت عيني ألف مرة وأنا لا أصدق ما رأيت، وبعدها دلفت بضع ممرضاتٍ عنوةً لفحص الأجهزة التي تسبب هذه الضجة، هل تلفت الأجهزة؟ أم أنّ جهاز فحص نبضات القلب يظهر مستقيماً حقيقياً!

بعد ثلاثة أيامٍ وقفت أحضر متاعي للسفر، فوصية الطبيب كانت دفن جسده في حزن تراب وطنه، وأردت أن أشرف على ذلك بنفسي، وأيضاً أريد أن أبقى في سورية لكيلا أهجر قبر الطبيب صادق الذي رعاني، ستسافر جمانة أيضاً، ربما هي ستعود إلى قسوة الحياة هناك، ولكنها لن تبقى وحيدةً أبداً، فقد أوصاني الطبيب بها كثيراً، وأوصاني بنفسي أيضاً، حقاً، لقد كان الشخص الأرحم في هذه الأيام القاسية، ربما بالنسبة لي فقط ولكنني لا أهتم لرأي هذا العالم الذي يراني ناقصاً ولست كسائر الوري، ما الفرق بيننا سوى أنني ولدت دون عائلة؟ وأني أملك يداً قد زارتها النار، فلربما هذه اليد هي التي سترفع العالم إلى مستوى آخر، أيتها الحياة لا تستهيني بأحد، فالله خلق لنا جلدًا يخفي سرائرنا التي تحتوي الكثير من المفاجآت!.

إنها سورية، تبدو جميلة حقاً، كما كان يقول عنها الطبيب صادق رحمه الله وذهبت مع جمانة إلى منزل والدتها القديم لكي أمكث فيه، وهي ذهبت إلى منزل إحدى صديقاتها، وأخبرتني أن لا بأس بأن أبقى في المنزل ريثما أجد عمل، وعندما أجمع ما يكفي من المال، سأستأجر شقة بسيطة أستطيع المكوث فيها، وتعودُ هي إلى منزل عائلتها من جديد. كانت جمانة طيبة جداً كوالدها تماماً، كانت تقول أنني شخص طيب أيضاً، فما كان الطبيب صادق يوصيني بها ما لم أكن كذلك.

وبعد البحث وجدت ضالتي أخيراً، سأعمل مساعداً لأحد الأطباء المعروفين هنا، كنا حولين في هذا العمل قبل أن أستقل بعيادة صغيرة أعمل وأبيت فيها، ازدهر عملي بفضل الله وقررت الانتقال إلى مكانٍ أوسع، وأصبح بحوزتي مبلغٌ استطعت فيه شراء شقة، واستطعت شراء تلك العيادة التي أعمل فيها فيما بعد، وطبعاً لم أهرج وصية الطبيب صادق رحمه الله، فكنت أرسل مبلغاً مالياً جيداً لجمانة في كل شهر، فهي وحيدة لا معين لها سوى الله، الله الذي أرسلني إليها لأساعدها في تجاوز صعوبات هذا العالم الموحش.

لم أنسَ الطبيب صادق أبداً، كنت أزوره في كل أسبوع أحكي له عن حياتي التي أعيشها وحيداً، أحس براحةٍ

عندما أزور حفنة التراب هذه، لأنها ليست جامدة كما تبدو، هذا صندوق أسراري!

ومرت الأيام، وعدت إلى ربيع العمر مجدداً، تزوجت جمانة وأنجبتنا طفلةً حملت تلك البسمة التي لم أستطع رسمها على محياي يوماً، كانت ميسان، لأنها أنارت حياتنا كالنجوم، لم نعد نشعر بالوحدة، لأنها أنست أيامنا، كانت تحمل لنا في كفها الصغير مفاجآتٍ لم نظن أبداً أننا سنعيشها، أزالنا بعض شجوننا بضحكاتها الصاخبة اللطيفة، أولئك هم الأطفال، اللطف الذي لا يهون عليه حزنك، هم كالملائكة، يشعون بنور البراءة.

عجلة الحياة تدور مسرعةً علينا، حدث الكثير، حقاً، إن مررت بباب الذكريات، لن تستطيع تجاوزه بسهولة!.

ما زالت الحياة تلقنني دروساً قاسيةً حتى اللحظة، ولكنها عفت عني مرةً وأعطتني درس ردّ الجميل، كان درسي هذه المرة مبعوثاً على هيئة ذلك الشاب الذي وافق المنية جده بسبب مرضٍ مزمن، ذلك الشاب الذي ظلّ وحيداً، قررت مد يد العون إليه!

في تلك الفترة، وصلتني منحةٌ للسفر إلى أمريكا بسبب شهرتي وبراعتي، ترددت كثيراً حينها، ولكنني أخيراً اتخذت قراراً، لم أكن أودّ ترك قبر الطبيب صادق رحمه الله وحده بعد كل فضله الذي أمنّ به عليّ!، ولم أودّ إبعاد جمانة عن وطنها، وطن أهلها، ولكنها هي

من أقنعتني بالسفر بكلماتٍ مازال صداها يرنّ في أذني كلحنٍ يمنحني الأمل دائماً، لقد صرخت في وجهي قائلةً والحزم يلتهب في عيونها الدامعة: "أترك وصية أبي حتى تبقى قرب قبره؟!، هو لم يوصيك بأن تظل ساكناً والفرص تضيع منك!، هكذا ستحيا كالأموات، وربما الأموات أفضل حتى!، يا قوت!، لا تترك الغبار يغطي أبحاث أبي التي أمضى عمره كله وهو يجمعها!، أهكذا ترد الجميل؟" عندها تذكرت تلك المفكرة، المفكرة السوداء!، تلك التي كتب فيها الطبيب صادق الكثير عن أبحاثه، يجب أن تحمل أبحاثاً لي أيضاً! يجب أن أجيب عن كل تلك الأسئلة التي تركت أجوبتها معلقةً في الهواء، بالتأكيد هذه المنحة ستساعدني كثيراً، فهذه البلاد المتطورة لن تخذلني أبداً.

سافرت إلى أمريكا بصحبة عائلتي وتيم الذي قرر دراسة علم الفلك في إحدى الجامعات المرموقة هناك، وحقاً، لقد أصبح رائد فضاءً رائعاً!، لقد حصل على الكثير من الجوائز بسبب نجاح حتى أخطر المهام التي تلقاها! كان متميزاً رغم صغر سنه وقلّة خبرته! كم أتمنى أن تصل ميسان لمستوى مشابهٍ عندما تتخرج من نفس الكلية، أفتخرُ بها إلى أبعد الحدود! كما لم يفتخر أبُّ بابنته من قبل، فها هي تكاد تحقق حلمها، وما أشدّ سعادتي بذلك!

ازدهرت أبحاثي كثيراً مع مرور الأيام وأكثر ممّا توقعت حتى! وأكثر من اللازم!، لقد سببت لي الكثير من المشاكل وعلمتني عن الخطر! عن الخوف! عن الجَمَام أكثر مما حصلت عليه سابقاً بكثير! "فالعلم يحتاج مقابل!" هذا أقسى درسٍ لِقنتني إيّاه هذه الحياة.

في إحدى الليالي الهادئة، كنت وحيداً في المنزل، أغطّ في نومٍ عميق، ولم يوقظني إلّا ذلك الألم الفظيع الذي احتلّني على حين غرّة!، استرقت نظرةً لموضع الألم فوجدت الدماء تتفرّ منّي!، كنت أخسر دمائي وحياتي عنوةً!، لم أستطع سوى رفع بناني المائد لأتصل بتيم لعله يستطيع إنقاذي بطريقةٍ أو بأخرى، وأخيراً! وصلني صوته من الجهة الأخرى من سماعة الهاتف، وفجأة، ومن دون أن أشعر، صرخت في الهاتف واللهات قد سيطر على كلماتي المتقطعة: "لا تنسَ المفكرة السوداء! إنها أمانةٌ في عنقك!"، وسقط الهاتف من كفيّ الراجف أخيراً لأترك لتيم سماع صوت لحن أنفاسي الأخيرة من الجهة الأخرى!

فتحت جفوني على مصراعيها من شدّة صدمتي!، ألم أمت؟!، ولكن كيف حدث هذا؟!، لقد أمطرت نفسي بالأسئلة التي كانت أجوبتها أقرب إليّ من أنفي، فكان تيم بقربي ولا يكاد يستطيع كبح سيل عباته، لم أستطع كبح نفسي أيضاً فصرخت في وجهه وكان قوتي كلها قد اجتمعت في حنجرتي، "فقط أودّ أن أعلم

ما الذي يجري هنا!، وبصوته الذي خنقته عبرات
تسابت على وجنتيه أجباني قائلاً: "لا أكاد أصدق!
أحدهم حاول اغتيالك بطعنة قاتلة، ولكنك نجوت
بأعجوبة، فقد وصلت إليك في الوقت المناسب، ولحسن
الحظ! اتصلت بصديقنا الجراح "ويليام" واستطاع
القدوم وإغلاق الجرح قبل فوات الأوان، ولكنه أخبرني
أن تلك السكن التي طُعتَ بها قد تركت أثراً، بصمة
ألم! سيد يا قوت، أنت لن تستطيع تحريك نصفك السفلي
مجدداً!"

مكثت في قبو منزل تيم ولم أسمح لعتمته أن تسكنني،
ففي عالمي الصغير هذا قد حولت ما في صفحات
المفكرة السوداء إلى حقيقة، لم يكف تيم عن زيارتي
ربما ليطمئن أنني ما زلت حياً، ولكنه كان يخبرني دائماً
عما يفوتني من أحداثٍ حصلت فوق سقف عالمي
الصغير، أحداثٌ جيدةٌ فقط!، حتى أنني ظننت الأرض
قد غدت جنةً بعد رحيلي!، لم أفكر قط أنه يخفي عني
الألم الذي يواجهه العالم بابتسامته الودودة، لقد أخبرني
أن ميسان تبلي بلاءً رائعاً في كليتها، ولم يخبرني أنها
اتخذت من الصمت صديقاً لم يفارقها يوماً منذ رحيلي،
ولكنه فاجأني بإخباري أيضاً أنها ستحقق حلمها أخيراً
بزيارة النجوم، رغم معرفتي السابقة بذلك، فقد كُلف
هو والسيدة ماريًا بمهمةٍ وأمروا أيضاً بمرافقة ميسان
ومتدربين آخرين كبعثةٍ تدريبيةٍ لهم!، لقد كانت المركبة

AWK_391 العظيمة من ستؤويهم في مهمتهم، تلك المركبة من أقوى ما عرفته البشرية في تاريخ المركبات الفضائية، لا شك أن تلك المركبة هي الأنسب، فإن رحلتهم تكون: "الرحلة الواحدة وعشرون في مهمة لاستطلاع الجسم الغريب المتوضع على مقربة من مركز مجرة درب التبانة!" إن نسبة فشل هذه المهمة مخيفة إلى حد لا يصدق، فهذه هي الرحلة التي سبقتها عشرون تجربة فاشلة!

حتى هذه اللحظة مازال صوت تيم الراجف بسبب حبس عباراته لكيلا أن يشعر أحداً بضعفه يحتل هدوء عقلي بلا هوادة، فقد صرخ خائفاً في وجهي: "لا أستطيع عدم الإحساس بذلك الشعور كلما أمرّ بالقرب من AWK_391، أحسّ بالخوف! والرعب يحتلني! أحسّ أن الشجون كلها تجتمع في زاوية فارغة فيها، وأنها ستتنقض علينا جميعاً عندما سنوحد إغلاق أبوابها علينا، وكأنها تخفي لنا في جعبتها قبساً من الحمام، فعندما أدلف إليها لأطمئن أنها تعمل على أكمل وجه، عندما أخطو على معدنها القاسي أعزف بخطواتي تلك سمفونية الحزن، وعندما أضغط على أزرارها وأصغي للحن صفيروها لا أفهم منها سوى شيئاً واحداً، إنها تحذرنني بشيفرة مورش، كانت تهجي كلمة "الموت"! فيا ياقوت، أضف إلى تلك المفكرة السوداء أن كل ذرة في هذا الكون قد خلقت لتحدث

فرقاً، ولو كانت أصغر من عقلة الإصبع، فعندما تجتمع الذرات تصنع جبلاً شامخاً، ومن دون أن نشعر، نجد أنفسنا قد وصلنا إلى القمة حيث نعانق غمام أحلامنا التي كنا نظنها مستحيلة التحقق سابقاً."

وانهالت العبرات على وجنتي تيم كالسيل فغدا كالعاصفة، رياح الخوف تعصف هدوء روحه المتعبه وغيث الرعب يهطل على قلبه قبل وجهه، حاولت تهدئة أعصابه قليلاً ولكن كلماته الغريبة تلك قد شلت هدوئي أنا أيضاً، وانهالت الحروف التي خرجت من سجن عقل تيم إلى هذا القبو الضيق وكأنها كانت تتمنى أن تجد الحرية أخيراً ولكنها صُدمت بسجنٍ آخر لا يقلّ فظاعةً عن السابق، كان صوت صراخه وقع خاصاً على قلبي، لقد صرخ قائلاً بحشجةٍ من أثر تلك العواصف التي هاجت فيه: "ياقوت!، عدني إن فشلت الرحلة وذهبت إلى الجانب الآخر، أرجوك فقط، لا تكن هناك"، وكفكف عبراته بسرعةٍ وقال وهو بالكاد يستعيد رباطة جأشه: "آسف، لقد نسيت إخبارك أنّ الرحلة ستبدأ بعد قليل، لم يعد هناك مجالٌ للتراجع إذاً، أراك لاحقاً سيدي ياقوت"، وهمّ راحلاً ولم يصغي لما قلته له، "تيم!، أنا أنتظر عودتكم سالمين بفارغ الصبر، حظاً موفقاً"

استرجعت كلمات تيم عن الرحلة التي ستدوم طويلاً حقاً، من المستحيل أن أصمد هكذا، ستزورني أشباح

الجِمام لتقبض روعي حتماً، وسيتعفن هذا الجسد
الهزيل هنا دون أن يشعر بي أحد، إلا إذا جمّدت
نفسي، وجدتها!

وانهلت على صفحات المفكرة السوداء أقلبها ببنائي
الراجف باحثاً عن الفصل الذي يشرح تكوين آلة
"حجرة التجميد" لكي اصمم واحدةً بنفسي، كان السيد
صديق ملاماً بهذه الأمور، وعندما وجدتها أخيراً
استدعيت مساعدي الآلي الصغير "ستيف" وبدأ يحقق
ما كان مجرد حبراً على ورق، حقاً، لقد عوضني
ستيف عن تلك القوة التي فقدتها منذ أمدٍ بعيد، لقد كان
ذلك التعويض الإلهي الذي حصلت عليه من بعد فقدانني
لخطواتي، ذلك الآلي الذي ينبض قلبه بالحنان أكثر من
سائر البشر، يمكنني أن أقول ببساطة: "لقد استبدلت
بعض الحثالة بقطعةٍ من المعدن كانت تحمل في طياتها
حباتاً أكثر منهم"، فما الذي أرجوه من وحوشٍ صنعوا
أسلحةً ينوون بها اغتيال البشرية في محض هنيهة، ولا
أحد يستطيع الهرب من بطش نفوسهم السوداء التي
تلتحف برداء النفاق الأبيض، لحظة، ستُدمر البشرية
بالمفاعلات النووية قريباً فهم لن يستطيعوا ردع
شورهم أكثر، وحتماً!، لن ينتظروا عودة AWK 391
فهم يعتقدون أنهم سيلقون حتفهم كباقي التجارب
السابقة، ولكن ماذا وإن عادوا؟، تبدو هذه فكرةً
مستحيلةً ولكنني وعدت تيم ألا أذهب إلى الجانب

الآخر ببساطة هكذا، سأنجو من البشر مرةً أخرى بطريقةٍ ما.

وعندما كنت غارقاً بتفكيري تتاهى إلى مسامعي صوت صرصار الليل وهو يصفر في الخارج، لقد كان صوته المزعج كسمفونية النجاة بالنسبة إليّ، يبدو أنني قد وجدتُها مرةً أخرى!.

وغلفت حجرة التجميد بالمواد الكيميائية التي يتרכب منها جسم الصرصور الصغير، المواد التي تجعل هذه الحشرة خارقة فهي تستطيع ردها من قوة المفاعلات النووية فلا تؤثر فيها ولا بمقدار ذرّة، وعند انتهائي من تصنيع الآلة أخرجت الشريحة ستيف من ذلك الآلي ودسستها في جيبي الصغير، ولم أنسَ المفكرة السوداء أيضاً، احتضنتها في كفي المتجدد بقوة، وشغلت حجرة التجميد ودفنتها قائلاً والابتسامة لا تستطيع مغادرة محياي: "أهلاً بأحدث حجرة تجميدٍ على وجه الأرض، تلك الحجرة التي تلتحف بقوة بنات وردان الخارقة!".

كان جفناي متلاصقان مما صعّب عليّ الإفراج عن عيوني المغلقة منذ زمن، فتحت عينيّ أخيراً ليُغشي بصري ذلك الرماد الذي استولى على الهواء، لقد احتل أول أكسيد الكربون رئتيّ، فانهالت الأفكار على رأسي تباعاً، لقد أصابت توقعاتي، لقد أفنت البشرية نفسها!.

لحظة، من الذي فتح حجرة التجميد؟، اغرورقت العبرات في عينيّ مزيلةً أثر الرماد منها واتضحت

الرؤية، إنهم هم حقاً، لقد نجو، تسمّرت يداي فأجفلت لبرهةٍ معتقداً أنهم قد شلّوا أيضاً، تصلب لساني فلم أستطع النبس ببنت شفة، حوّلت نظراتي الجامدة بين أعضاء الفريق باحثاً عن ميسان، ولكنها وجدتي أولاً وانهالت علي والدموع تتسابق على وجنتيها واحتضنتني بشدة، ما أهمني فقط في تلك اللحظة أنّها بخير، فقد فتحت لها ذراعِي كالهوية السحيقة ترمي فيها أطنان الألم التي أرهقتها بشدة، ولكنني لم ألاحظ أمر صمتها قبل أن تذهب إلى صديقتها ابنة الطبيب ويليام وتحادثها بالإشارة! "منذ متى وهي هكذا؟، لماذا لم يخبرني تيم بأن ذلك قد حصل؟، ما الذي لم يخبرني به أيضاً؟." وانهالت تلك الأسئلة على رأسي كالغيث دون هوادة، وماذا الآن؟ يجب أن أعلم بكل ما حصل بالتفصيل، زمجرت في تيم بغضبٍ ليته يجيبني بحرفٍ واحدٍ فيهدئ قليلاً من نيران الفضول التي اشتعلت فيّ، فأخبروني بكلّ ما حصل بعد أن نقلوني إلى داخل المركبة وقد أسررنا أنا وتيم لباقي الفريق عمّا حصل معي حقاً، وليس تلك القصة المبتذلة لموتي التي صدقها الجميع، لقد تخلينا عن جدار الكذب أخيراً، ذلك الجدار الذي حمانا من أولئك البشر الذين تسببوا بكل هذا، ولكن أين هم الآن؟ لقد حسبنا أنهم قد غدوا رفاتاً كالبقية، ولكن وبكلّ بساطة، لقد كانوا بيننا دون أن نشعر!

استطعنا النجاة من الجوع والعطش والهلوسات بعد
عناءٍ طويلٍ حقاً، وقد نجت ميسان من أشباح الصمت
أيضاً ولكن ماذا؟ هل سنعيش يوماً روتينياً هكذا بكلِّ
بساطة؟ بالطبع لا!

استيقظت من نومي مفزوعاً من صوت صراخ أحدهم،
فتحت عيني على وسعهما وفغرت فاهي دون وعيٍ
مني من هول الصدمة، إنّه ذلك الفتى ريان وقد أزرق
وجهه وكادت تنفجر عروق عنقه من شدّة صراخه،
لماذا يصرخ هكذا؟، وصلتني الإجابة على هيئة الدماء
التي تسالت إلى قدمي، لقد كانت دمائه، تتبعت بعيني
مسار النهر الأحمر لأرى ما أفزعني، كانت ساقه
اليسرى تنزف بشكلٍ مرعب، "ما الذي حصل؟"، لم
أكن الوحيد الذي انزلت من حنجرته هذه الحروف
المتسائلة، لقد كان الجميع في حالة فزعٍ على ريان،
أشار لنا بأنملته الراجفة إلى مكانٍ ما في المركبة، هنا
كانوا يضعون فيه ذلك الجسم الغريب الذي أحضروه
في مهمتهم، كان يشبه البيضة الكبيرة ويبدو أنّها قد
كسرت، احتلّ الصمت الأجواء لبرهةٍ قبل أن تنتهي
إلى مسامعنا قهقهات ذات وقعٍ غريبٍ في المركبة،
جلت بعيني باحثاً عن مصدر ذلك الصوت بينما انشغل
باقي الفريق بتضميد جرح ساق المصاب الذي لم يهدأ،
لقد نادوني أنا أيضاً لأقدم لهم العون ولكنني لم أستطع
سماعهم، فقد وضعت جلّ تركيزي على صدى تلك

الخطوات الصغيرة الآتية من خلفي، وقد علت القهقهات بشكلٍ مرعب، لم أستطع سوى الالتفات ببطءٍ لأرى ما الذي يحدث خلف ظهري، وفجأة، هربت من حنجرتي صرخةً دوت في الأجواء المتوترة طويلاً، لم أستطع كبح صوت دهشتي، كائنٌ فضائي؟، استعدت رباطة جأشي أخيراً لأجد رائحة الدماء قد سيطرت على الأجواء، واحتل أذني صوت لهاثٍ مسموع، إنه ريان مازال يتمسك بالحياة رغم فقدانه للكثير من دمائه، هلم الجميع إليّ وجرّوني إليه جرّاً، ليتني أستطيع تقطيب جرحه وسدّ مجرى النهر الأحمر بأدوات الإسعافات المتواجدة في المركبة، "يجب أن أفعل هذا"، صرخت بهذه الكلمات داخلي وشرعت بالتقطيب، لقد استغرق ذلك وقتاً وجهداً كبيرين من كلينا، لقد كان حرجاً عميقاً حقاً، عميقاً بما يكفي ليترك بصمة ألم، للأسف لم أستطع إنقاذ ريان تماماً، لقد قتلت شبح الحمام بالكاد، ولم أستطع قتل شبح العرج، لقد أضحى ذلك الفتى أعرجاً بعد كل ذلك الألم الذي قد ضاق ذرعاً منه رغبةً في الحياة التي تشبث بها بروحه وجسده، ولكنه لم يكن حزيناً لهذا قطّ، بل كان سينفجر من السعادة بعد أن انتهيت من التقطيب، لقد كانت تلك الابتسامة التي سكنت محياه الشاحب مريحة لقلوبنا التي انفطرت خوفاً عليه. لم يتجرأ أحد على الحزن أمام ريان الذي قال لنا متصنعاً الغضب: "هل تركتم ذلك الشيء الذي عضّني ليهرب؟، كيف استطعتم

تجاهل مثل ذلك الكائن؟"، واكتست ملامحه بابتسامة لطيفة فشل في كبحها فكشفت عن ستار الكذب الذي حاول رميه، ولكن لماذا؟ ذلك الكائن الفضائي، ماذا فعل؟، عضه؟، يبدو ضعيفاً ليفعل هذا، تذكرت لبرهة كيف كانت هيئة ذلك "الفضائي" كما ندعوه، ولكن إن صحّ القول "فضائية"، لقد كانت تبدو كبشرية في سنّ المراهقة، ولكنها تتميز بشعرها الأشعث الطويل الأحمر المشع كاللهب، وعيونها الدعجاء التي بدت مثل جمرتين من قعر الجحيم، والجدير بالذكر أيضاً سلاحها السري، تلك الأنياب التي سببت جروحاً أعمق من التي سببتها بعض سيوف البشر، أجزم أنّ هذه الكائنة ليست مثانا، ولكنها ككائنة فضائية؛ من أين أنت؟

قطعت أفكاري صرخةً خرجت من تلك الفضائية ودوت في الأرجاء، التفت لأجد الفريق لقد قيدها بعد جهد كبير، لقد بدت الخدوش واضحة على وجوه الأعضاء وأسمائهم، تقدمت إليهم بكرسي المتحرك الصدي الذي وجدناه في المركبة، كانوا يتحلقون حول تلك الفضائية وشرعوا بأطارها بالأسئلة، ولكن لا حياة لمن تنادي، لقد حاولوا التحدث معها بعدة لغات ليته تفهم إحداها ولكن لا فائدة، لقد ضاقوا ذرعاً من ذلك، حتى صرخت ماريا بكلمات لم يفهمها أحد، لكن تلك الفضائية قد استجابت لها، وردت عليها بكلمات

مشابهة، وحدث بينهما حوارٌ طويل، ولكنه انتهى بتلك العبرات التي انهالت على وجنتي ماريًا بهدوء، حتى التفت إلينا ريان قائلاً وقد بدا عليه التركيز في الحوار: "أظنّ أنّها اللغة اليونانية، لقد فهمت بضع الكلمات التي علمتني إيّاهنّ جدتي في صغري، ويبدو أنّ كلاً من السيدة ماريًا وتلك الكائنة تجيدها، هذا طبيعيٌّ بالنسبة للسيدة ماريًا فإنّ اليونان مسقط رأسها، ولكن كيف تفقه هذه الكائنة تلك اللغة؟"، التفتت إلينا ماريًا بعد أن استعادت رباطة جأشها قائلةً بحزم: "أنت محقّ، لقد عرفتني هذه الـ"فلّمة" -هذا هو اسمها- عن نفسها وأخبرتني من أين أتت، وقد أخبرتها بقصتنا، قالت أنّها تستطيع مساعدتنا" ارتسمت ابتسامةٌ على ملامحي المزدهمة بالتجاويد وقد حملت في طيّاتها حلمًا كبيراً، يجب أن نعيد تشكيل البشرية!

ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٧-

فلمة...

فقط بسبب حماقتي؛ أنا الآن مقيدةٌ وحولي حفنةٌ من البشر، فقط بسبب فضولي الشديد، حطمت جهاز المغناطيس الذي يربط بين بيضتي وبيضة قين بالخطأ، وها أنا أدفع ثمن خطأي غالياً، غالياً جداً، فقط بسبب غيابي، بقيت عالقةً قرب مركز مجرة درب التبانة أحوالاً، بسببي فشلت مهمتنا في إنقاذ ما أدعوه بعائلتي، حقاً، أنا لم أستحق أن أدعى بالنابغة يوماً، فأنا مجرد طائشةٍ كلفت بمهمةٍ أكبر منها بكثير.

وأيضاً، أنا لم أشوه مستقبل نسلنا فقط، فبسببي قد شوه جزءٌ من البشرية أيضاً، بسببي تغيرت وجهة بيضة قين إلى كوكبٍ مزدحم بكائناتٍ تدعى البشر، ولكن الشيء الوحيد الذي أفادني هو تبادل قبسٍ صغيرٍ من حمضنا النووي الذي يساعدنا في البحث عن بعضنا إن ضلنا الطريق، فاستطعت رؤية كل ما مرّ به قين في رحلته الطويلة على الأرض، وأيضاً استطعت رؤية مقتطفاتٍ من حياة أبنائه وأحفاده وأحفادهم، واستطعت تعلم الثقافة التي تعلمها قين على الأرض، واللغة التي أتقنها، بتُّ الآن أعرف عن بعض الأرضيين أكثر مما يعرفون عن أنفسهم حتى، وأنا حبيسة هذه البيضة التي حجبنتني عن الحمام طويلاً، ردعتني عن الحراك أيضاً، منعنتني من الصراخ، ولكن في ماذا كنت أفكر؟،

فلا أحد سيسمع صراخي في الفضاء، ولكنني أفتقد أيام جموحي، أفتقد عائلتي، حقاً، إن أكبر أحلامي الآن فقط أن أعرف ماذا يفعلون، هل دُمرُوا كما كانوا يعتقدون؟، كنت أزهد حتى في رؤية ملامحهم اللطيفة، كم كنت حمقاء.

وأخيراً، وصلت إليّ أذرع مركبة ضخمة أُخفيت في جعبتها المفاجآت، ولكن خوفي تغلب على فرحتي، إنهم بشر، لم أستطع فعل شيء، فأنا ما زلت حبيسة بيضتي الصغيرة تلك.

حطّوا على أرضهم أخيراً، كانت مرعبة بشدة، رغم أنني رأيت آخر لحظات السلام عليها، ولكنني لم أستطع التغلب على صدمتي، وكما هو حال تركيبة البيضة؛ يجب أن تتحطم أمام أشعة الشمس، تفتت قليلاً دون أن يشعر أحدٌ من الأرضيين، حتى فتحت جفنيّ على وسعهما وأنا أستنشق الأكسجين المصحوب برائحة الموت بسهولة، تكسرت جدران البيضة، ولكن المفاجأة لم تكن لي، بل كانت لذلك الشاب الذي حاول مناداة أصدقائه قبل أن أنقضّ على ساقه بقوة، لم أقوَ على إسكاته، لقد شرع بالأنين، ثم تبع ذلك الأنين بصرخة عنيفة، أراهن أنه قد آذى حلقه، هلمّ الجميع إليه على جناح السرعة، خلتهم لم يشعروا بوجودي، حتى أشار الجريح إليّ، وعلوّة؛ بدأ الجميع بالصراخ، لقد قيدوني بالفعل، ولكن ما الذي دهاهم الآن؟، هل

جئوا؟، أعلم أن البشر مخيفون، ولكن ليس إلى تلك الدرجة.

شرعوا يرمون علي طلاسهم الآن، حتى صرخت إحداهن علي باللغة اليونانية، وأخيراً استفدت من المعلومات التي جمعتها من حياة فين على الأرض، ولكنني إلى الآن لم أعرف؛ كيف تحمّل غياب هؤلاء طول حياته هناك؟.

تعلقت مقلتاي على تلك المرأة، لقد تذكرتها، مرحباً يا بنة فين!.

أجبت ماريا أخيراً، أخبرتها أنني من مجرة سحابة ماجلان الكبرى، وأعلمتها عن تلك المهمة التي كُلفنا بها، وأخبرتها أنّ نوبيلاً وغوو نبغُ حقاً وأنني أشك ألاّ تنجح مهمتهم، وقلت لها أيضاً أنني أعرف بعض الأمور عنها بسبب صلة قرابتها بفين، ولكن أكثر ما فاجأها -حسب ما أعتقد- هو أنني رأيت تلك الطعنة، عندما لطخت أناملها بالدماء، لم تستطع الردّ بعدما شرحت لها عن تلك اللحظات بالتفصيل، حتى قلت لها أنني شعرت بخوفها حقاً، هي لم تحاول قتل ذلك العجوز عن عمد، هي ليست من أولئك الوحوش، لقد نفذت الأوامر فقط، كانت حياة طفلها معلقةً بحواف السكين الملوّخة بالدماء البريئة، حقاً، إن حلت مكانها لما فعلتُ سوى ما فعلتُ، أشفق عليها حقاً، لقد تعذبت بصمتٍ طويلاً، لذلك أبقينا ذلك الماضي سرّاً بيننا،

لكيلا تتألم أكثر، وأنا أجزم أنها لا تحمل ذرة حقدٍ لذلك العجوز الذي يدعى "ياقوت" وبل تحترمه بشدة، لمَ قد تحمل له الحقد حتى؟.

ولكن ما جعلها تنهار حقاً؛ كلماتي لها عن آخر لحظات طفلها، أنا أيضاً حزنت عندما لفظ أنفاسه الأخيرة، لقد كان ضحيةً لأشباح الجِمام مرةً أخرى، ولكنه لم يقاوم كالمرّة السابقة، لقد استسلم.

وبعد الكثير من الكلمات والعبارات؛ التفتت ماريا إلى فريقها الصغير وهي تكفكف دموعها لتعلمهم بما تحدثنا عنه سوياً، ربما أنا لا أستطيع فهم تلك اللغة التي كلمتهم بها، ولكنني أجزم أنها لم تخبرهم بسرنا الصغير.

تجاذبت ماريا مع فريقها أطراف الحديث قليلاً قبل أن تلتفت إليّ والابتسامة تسكن محياها تاركةً عباراتها تذهب أدراج الرياح وهي تسألني بصوتها الهادئ: «هم بذراع حامل رأس الغول أليس كذلك؟، عائلتك!»، حركت رأسي بالإيجاب وأنا أخفي ابتسامتي بصعوبة، يا ماريا، هم عائلتك أنت أيضاً، ألسنت هجينة؟.

قطع حبل تفكيري صوت ماريا تصيح والحماس قد سيطر على حزنها: «سنفحص السفينة ونتجه إلى هناك، فقد تكون هذه الرحلة قفزةً كبيرةً في حياة البشر والفضائيين في آنٍ معاً، أليس هذا رائعاً فلمّة؟!»، حقاً، إن فكرت بالأمر قليلاً، هذه فكرةٌ رائعةٌ بالفعل.

وكما أخبرتني ماريانا، اتجهنا إلى ذراع حامل رأس الغول بعد تحديث عمل بعض الأجهزة في المركبة الفضائية تلك، حتى لو لم أستطع رؤية نيبولاً وغوو لأن الحمام يختطف الروح عنوةً، ولكنني حتماً سأقابل أحفادهم أو أحفاد أحفادهم حتى، وأجزم أنهم يحملون قُبساً من تلك الحكمة التي عهدتها، فهم بنو أسلافهم.

لا أصدق، أنا الآن مع حفنةٍ من البشر كانوا سيقضون علي قبل قليل، متجهين إلى ذراع حامل رأس الغول لعُنا نجد عائلتي هناك، وستكون عائلتي العون لهذا الفريق الصغير في جمع شتات أنفسهم التي تناثرت في كل شبرٍ في هذا الكون الكبير، إن وجدناهم أولاً، فربما لم يحالفهم الحظ في إنجاز المهمة، أو ربما لم يستطيعوا بناء حضارةٍ وبقوا كالبهائم، فهم معرضون للفشل مثلنا تماماً، ولكن هذا شبه مستحيل، فنحن نتحدث عن نيبولاً وغوو؛ أذكى اثنين عاشوا في سحابة ماجلان.

وأخيراً، كدنا نصل إلى ذراع حامل رأس الغول، استرقت نظرةً إلى النجوم من خلف زجاج المركبة، ففاجأتني تلك الأنوار، أنوارٌ مختلفة، ليست كالنجوم، أخالها أبهى، فهذه أنوار حضارةٍ متطورة، حضارةٌ من صنع شعب ماجلان، عائلتي!.

هبطت المركبة على الأرض المضيئة بسلام، تراجلت منها مسرعةً أبحث عن أحد، أي أحد، فقط أودّ رؤية ما

يشبهني، مخلوقاتٌ من سحابة ماجلان، حقاً أحنّ إلى أهلها، وإلى أيامي هناك، أحنّ إلى تلك الأيام التي كست النشاطات الروتينية ثوبها البسيط، أيام كستها أسمال الهدوء، ليس كالهدوء الذي عشته في بيضتي الصغيرة، هدوءٌ يلزمه الخوف، الوحدة، وكل تلك الأحاسيس القاسية، كم أتمنى عودة تلك الأيام الخوالي، ولكن كيف؟.

قطع تفكيري صوت ماريّا التي شرعت تناديني قائلةً: "فلّمة، لنبقى معاً!". إنها محقة، يجب أن نبقى معاً لنساعد بعضنا البعض، فنحن حقاً بأمرٍ الحاجة إلى المساعدة الآن.

خطونا قليلاً في هذه الأرض الرائعة والتقينا بفتىٍ أمغر غطت مقلتيه نظارةٌ سميقة، بدت عليه سمات العلماء، فعندما وجدناه لم يعبر عن صدمته بالصراخ قطّ؛ فقط حاول استجوابنا بلغةٍ لم أفهمها حتى أنا، لحظة، إنها اللغة القديمة التي لا أفقها، لا أحد يجيدها من أهل ماجلان سوى نيبولّا، تبالّك، لماذا لم تعلمي أطفالك لغة شعب ماجلان الرسمية؟، تلك اللغة أبسط بمئات المرات.

وقفنا لبرهةٍ نفكر كيف سنتواصل مع سكان هذه الأرض، حتى تقدمت تلك الفتاة المدعوة "ميسان" وهي تحمل عصاً صغيرة، انحنيت حتى لامست الأرض بركبتيها، وبدأت تعبر عما كنا سنقوله بالرسم، وأخيراً؛

استطاع ذلك الفتى فهم تلك الرسومات وردّ عليها بنفس الطريقة، وبعد ذلك أشار إلينا أن نتبع خطواته وشرع بالهرولة، اتبعنا خطاه حتى دلف إلى صخرة ضخمة تملؤها شتى الآلات، أشار إلينا أن ننتظره في هذا المختبر، وتوارى هو عن أنظارنا بدخوله إلى دهليزٍ مظلم، بدأ القلق ينال مني، بدا هذا المكان مخيفاً لكثرة الأشياء فيه، أحسست بالغرابة، ولكن الغرابة لم تكن بسبب المختبر فقط، بل كانت بسبب ربا أيضاً، تلك الفتاة شرعت تفتش في حفنة الكتب المزدحمة على الرفوف، وكأنها ستجد كتاباً تفقه كلماته، ولكنها صرخت باسم تلك الفتاة "ميسان" قائلةً لها بضع كلماتٍ سألت ماريًا عن معناها من شدة فضولي لتغير ملامح الجميع، فأجابتنى أنها سألتها قائلةً: "ميسان، تلك حروفٌ عربيةٌ أليس كذلك؟"، وكانت الصدمة لنا جميعاً، كتابٌ كُتب باللغة العربية هنا، كيف؟، وكان عنوان الكتاب بمعنى "المفكرة السوداء".

قبل أن نستطيع فتح صفحات هذا الكتاب أتى ذلك الأمغر من حيث اختفى، وعندما وجد الكتاب بين يدي ربا صرخ بجزع، وانتشله من بين أناملها على حين غرة، كاد يشتعل من الغضب، حتى أننا لم نستطع النبس ببنت شفة، كنا ننوي سؤاله عن هذا الكتاب "المفكرة السوداء" لكن جنونه ذاك قد منعنا.

وأخيراً، هدأ ذلك الفتى قليلاً، التفت حوله في ذهول، لم

يستطع تصديق أننا استرقنا النظر إلى كتبه، رمقنا والغضب يلتهب في عينيه، ولكنه استجمع أفكاره في هدوءٍ حتى اقترب منا وشرع يشرح لنا طريقةً نتواصل بوسطتها بشكلٍ أيسر من النقش على الرمال، أحضر لنا جهازاً وأشار لنا أن ندسّه في آذاننا كسماعات الأذن، وعندما وضعناها شرع يتحدث، والمفاجأة أن كلماته كانت مفهومةً بوضوح، ولكن كيف؟، أغدقناه بأسئلةٍ مشابهة، حتى أخبرنا أخيراً والحماس ملء شذقيه: "أنتم الآن تفهمون كلماتي بفضل هذا الجهاز الذي يترجم لغتنا-لغة شعب هذا الكوكب- إلى لغة يفهمها كل منكم، استطاع هذا الجهاز اكتشاف اللغة التي تفهمونها لأنه اقتحم أدمغتكم ببساطة، لقد اعتمد هذا الجهاز على الذكريات التي تحتوي العديد من الكلمات و المعاني معاً، وأصبح يترجم كل كلمات لغتي إلى كلمات تفهمونها، وأنا أيضاً أمتلك جهازاً مشابهاً لكي أفقه ما تقولون، هكذا نستطيع التواصل بشكلٍ أفضل، نسيت أن أعرفكم بنفسي، أنا "لوكاس" أدير الشؤون العلمية على هذه الأرض، "نوبس باغو" تشرفت بقدمكم."

حلّ الصمت على الجميع لهيئةٍ ولم أعلم لم، وفي لحظات الصمت هذه احتلت عقلي صورٌ لنا بموقعنا هذا من زاويةٍ ما، لحظة، لقد ابتعدت الصورة قليلاً، يبدو أننا نظهر من خلف شاشاتٍ عدة.

-٨-

ماريا...

كنت أحسب أنّ كل الغرابة قد تجسدت في طفولتي،
ولكن إن كنت أعدّ ماضيّ غريباً، فما الذي سأقوله عمّا
يحدث الآن؟!.

لقد عشت في قريةٍ في ضواحي أثينا، قريةٌ تدعى
ب"المنفى".

ترعرعت في هذه المنطقة الشبه مهجورة، فقط عائلتي
الكبيرة، جدّاي وأعمامي وأطفالهم، كنّا كالإخوة، كنّا
ندرس معاً على يد جدتي، لقد كانت أكثرنا علماً، فهي
انتقلت إلى المنفى في سن العشرين، ليس مثل البقية،
نحن -أنا وباقي أفراد عائلتي- عشنا في المنفى مذ
بزوغ فجرنا في هذه الدنيا، ففي عالمنا الصغير
"المنفى" لا وجود للمدارس، لقد عشنا في العصور
القديمة، في عالمٍ هاديٍّ لا ضجيجاً للآلات فيه، كنت
أخالها حياةً مملة، حتى أمسى حلمي هو الخروج من
هذه القوقعة التي سجنّت أسلافي خلف قطبانها وقد
رضوا بذلك، ولكن لماذا لا يأبهون لقيودهم؟، ألا
يرونها مثلي؟، أم أنهم تجاهلوها فحسب؟، بعد كل هذه
الأسئلة، وجدت الجواب، ويا ليتني لم أجده.

حتى هذه اللحظة، لازلت أذكر ذلك اليوم، فقد نقشت
ذكراه فيّ بقلمٍ حديديّ مدبب.

لقد مرّت اللحظات كالساعات، أهكذا أتت جدتي إلى هنا؟، أعلم أنها لا تستطيع السير بسبب حادثٍ حصل معها قبل ولادتي، ولكنني لم أكن أعلم أنه قد كان هكذا.

ففي صباحٍ أُبَدّت سماءه بالغمام، احتلت السماء طائراً صغيرة -ولكنني خلتها وحشاً، ولم أعلم أنها من صنع الوحوش-، ورُمي من الطائرة إلينا طفلاً صغيراً، كان سيمكت معنا، ولكن قد وافته المنية جراء السقوط، حينها فقط عرفت أن جدتي مميزة، لقد كانت نجاتها من أمور كهذه معجزة حقيقية.

لم أستسلم بعد، وحتى بعد تأكدي بأن البشر وحوش تجترّ بعضها البعض، وترمي البقايا في المنفى لتمطر علينا جثثاً، ولكنني لم أهتم، فحلمي في رؤية العالم لا يمكن أن يُحطم أبداً.

في ليلة عيد مولدي، أعدت لي أمي احتفالاً كبيراً لبلوغي الاثني عشر ربيعاً، وقد دعت سگان المنفى كلهم، حصلت على الكثير من الهدايا، ومنها تلك الدمية القماشية التي صنعتها لي جدتي والتي مازلت أحتفظ بها إلى اليوم، فهي تعني لي الكثير، فلا أستطيع نسيان تلك اللحظة التي رفعت فيها جدتي الدمية إلى كبد السماء، فبدت وكأنها تتركب القمر، تمنيت حينها أن أحلّ محلها، وددت أن أطفو إلى القمر، فكان وكأنه يخفي بلمعانه الكثير من الأسرار.

وعندما أخدمت تلك الشعلة الصغيرة تمنيت أن أخرج من هذه القرية لأرى العالم، وأن أزور هذه السماء التي تتلبد بالغمام تارة، وتنيرها النجوم تارةً أخرى، ولكني وبكلّ غيابٍ تمنيت بصوتٍ مسموع، وهنا المعضلة، فقد أمطرت بصراخ كافة أفراد العائلة علي غاضبين، أفهمهم حقاً، لقد أصبحوا عنيفين عنوة، فهم قلقون علي، لم أستطع النبس ببنت شفة، فقط هربت إلى حجرتي الصغيرة، وعندما عمّ الهدوء المكان، زحلت من بين قطبان سجن هذا المنفى الخفية، وركضت إلى اللانهاية.

مررت بالكثير، تهت في خبايا أثينا، التي هي جزءٌ صغيرٌ في هذا العالم، فماذا سأفعل في أماكنٍ أكبر؟.

أوتني سيدهُ عجوز في شقةٍ صغيرة، أهدتني سقفاً أغفو تحته، وأهديتها أنساً وحناناً كانت تفتقده، كانت كالغمام في طبيبتها، فعندما وصلتها رسالةً من ابنتها تدعوها لتعيش معها في أمريكا لم تنسَ أمري، فرافقتها إلى هناك، حيث كانت ابنتها السيدة "أوليفيا" تعيش في منزلٍ كبيرٍ مع رضيعها، فقد وافقت المنية زوجها الثريّ قبل قدوم "ريان" إلى هذه الحياة بمدة.

عشت في ذلك البيت أسعد أيامي، ودرست علم الفلك في إحدى أرقى الجامعات بفضل السيدة أوليفيا، وعندما كبر ابنها ريان أهدى أجواء المرح للمنزل الكبير، ولكن فراق "جدتي" - هكذا كنت أدعوها - حوّل كل هذا

الفرح إلى حزن، وبالكاد تجاوزت هذا الألم، فقد تركت هذه الذكرى فجوةً كبيرةً في قلبي.

وبعد حولٍ من الحزن، تزوجت تيم وغادرت منزل السيدة أوليفيا ولم ألقها بعد ذلك، ها هي حياتي قد تغيرت في برهةٍ مجدداً.

وعادت السعادة إلى حياتي قليلاً، فبعد إنجابي جورج لم أملّ من الابتسام، لقد كانت ضحكاته تحت ثغري على التحرك أيضاً، لقد كان كل شيءٍ بالنسبة إليّ.

وبعد انتهائي من عملي في إحدى الأيام، قررت زيارة تلك الجامعة التي تخرجت منها، فكان جورج في رحلةٍ مدرسية، وكان تيم في مهمةٍ تدريبية، "لن يشعر أحدٌ بتأخري"، هذا ما قلته في نفسي في تلك اللحظة.

عندما وصلت إلى مدخل الكلية احتلت الذكريات الجميلة رأسي، ففيها مضت أسعد أيامي، حقاً، لبت تلك الأيام تعود من جديد.

دلفت إلى الكلية والابتسام لم تفارق ثغري، حتى وقعت نظراتي على تلك القاعات التي حضرت فيها أكثر المحاضرات روعة، وأخيراً، التقيت بحفنةٍ من المدرسين، كنت أبحث عنهم، ألقيت عليهم أحراً السلام، حقاً، لهؤلاء كلماتٌ تفيض بالمحبة والمعرفة، كيف لا وهم من يأخذون بأيدينا التائهة ويشيرون إلى أحلامنا، تلك الأحلام التي لا نبلغها دون عونهم، فكم حرفاً

نطقوا حتى يعلموننا؟، لا أحد يستطيع إنكار هذا الفضل، فهم وبكل ببساطةٍ عظماء.

وبينما كنت أتجاذب أطراف الحديث مع المدرسين دلف طالبٌ ليسأل أحدهم سؤالاً، ولكن فكرت للحظة، أعرف هذا الصوت جيداً، لا بدّ أنه هو، رغم بلوغ هذه النبرة لن أخطئها، ولكن كيف مرت الأيام بهذه السرعة؟، سألت المدرّس عن هذا الطالب وأصاب توقيعي، إنه ريان ابن السيدة أوليفيا، كنت أعرفه صغيراً، يجب أن أسأله بنفسه، بعدما غادر ودعت المدرسين حتى استوقفني أحدهم قائلاً: "ماريا، المدير يطلب أن تساعدينا هنا، إن أردتي ذلك طبعاً، ستعرفين التفاصيل لاحقاً."، سيطرت الدهشة علي قليلاً، فحركت رأسي بالإيجاب بسرعةٍ وذهبت خلف خطا ريان، وأخيراً حاذيت خطواته السريعة فاستوقفته قائلةً: "مرحباً، ريان صحيح؟، أنا ماريا، كنت إحدى صديقات والدتك وجدّتك أيضاً سابقاً، ولكنني فقدت أثر هذه العائلة، فهل يمكنك أن تدلّني على موقع المقبرة التي دفنت فيها جدّتك؟، لم أزرها منذ زمن."، صمت قليلاً قبل أن يصعقني برده قائلاً: "لماذا لا تحفظين رقم هاتف أمي عندك وتتواصلي معها بنفسك، أليست صديقتك؟، عندها يمكنك الذهاب لزيارة جدتي معاً، ستكون مسرورةً بهذا."، بصراحةٍ أحببت الفكرة، ولم لا؟، احتفظت برقم هاتف أوليفيا ورحلت، حقاً، يبدو أنني قد

حظيت بيومٍ مميز، لقد أصبح ريان شاباً تسكن الطبيعة ملامحه الهادئة، من الجميل أن ألتقي بريان مجدداً بعد كل تلك المدة، ولكني لم أكن على علمٍ بأنني سأندم على هذا اللقاء لاحقاً.

راسلت السيدة أوليفيا أخيراً، وحددنا موعد زيارة قبر والدتها، وذهبنا فعلاً، مكثنا طويلاً، حقاً، لقد كنت بأمسٍ الحاجة لهذه الزيارة، فقد أفرغت جرعة حنيني الكبيرة بحكاياتي لجدتي، لا استجابةً ولكن حقاً أنا لست بحاجةٍ لذلك، فقط أودّ تنفس الصعداء بعدما أفرغت جعبتي من الحكايات، وكانت لأوليفيا حصتها في القصص أيضاً، لقد تحدثت كثيراً عن ابنها "المشاكس" -كما تقول عنه- وعن مراحل نموه وتطور شخصيته، لم أعلم أنني فوتّ كل هذا عن ريان الصغير، فكما قالت أوليفيا لقد كان طفلاً مفعماً بالحيوية والمرح، ولكنه أيضاً تغير كثيراً في مراحل مراهقته، فقد أصبح ذلك الانطوائي الذي أمست أكبر اهتماماته أن يبقى في مساحةٍ يعمّها الهدوء والأمان، حتى أوليفيا لم تعرف لمَ تغير هكذا بحسب ما قالت، حقاً ما الذي حصل لذلك الطفل الذي لطالما ابتسم في وجه الوحدة؟، هل استسلم أم ماذا؟.

سينتهي هدوء هذا اليوم المميّز الآن!، فعبد ابتعادنا عن القبر بقليلٍ لوّحت لي أوليفيا بأن أبقى برفقتها قليلاً، وعندما أصبحت على مقربةٍ منها أخبرتني بأنها تدعوني للذهاب إلى المقهى فهي تودّ إعلامي بموضوعٍ

مهم، وعندما رفضت دعوتها لأن جورج بانتظاري في المنزل ألحّت علي قائلةً وابتسامةً غريبةً قد غزت ملامحها: "لا تقلقي، سيكون بخير."، شعرت بالريبة في كلماتها هذه، وكيف لها أن تشعر بكل تلك الثقة؟، ولكن إلحاحها الشديد علي جعلني أوافق، وليتني لم أفعل.

وعندما وصلنا إلى أحد المقاهي الفاخرة، دلفت خلف أوليفيا والدهشة قد نالت مني، بينما كانت هي تمشي بخيلاءٍ مرفوعة الرأس، سرنا إلى طاولةٍ منعزلةٍ عن باقي الطاولات، وعندما جلسنا سألتني إن كنت أشعر بالدهشة من كل ذلك، فأجبت بـ"بالطبع" متطلعةً لأرى غايتها من سؤالها هذا ودعوتها لي أصلاً، وكأنها كانت تقرأ أفكارني، فأجبت تساؤلتي قائلةً: «بالتأكيد تعلمين أن زوجي كان يمتلك أموالاً طائلةً وشركات ضخمة، وأنه كان وحيداً لا عائلة له، وبعد وفاته كانت هذه الثروة لي ولريان، ببساطةٍ، لقد تضاعفت الأموال بمجرد ملامستها لأناملي، أترين هذا المكان الرائع؟، إنه جزءٌ صغير من أملاكي الآن، وهذا كله بفضل انضمامي لأضخم منظمةٍ على هذه الأرض، حرفياً، أعلم أنك لا تعيرين اهتماماً لما أروييه الآن ولكننا انتهينا من المقدمات بالفعل، لقد تلقينا -نحن أعضاء المنظمة- رسالةً فحواها أمرنا باغتيال هذا الرجل لتجاوزه حدود المنطق في أبحاثه.»، ولكن أنا ما

علاقتي بهذا الكلام؟، لمَ كل هذا؟، أُجيبَت كل تساؤلاتي عندما أخرجت أوليفيا من حقيبتها صورةً صغيرةً للضحية المنشودة، مستحيل!، واستأنفت أوليفيا حديثها قائلة: «لم أعرف صلة قرابتك به من حسابك الشخصي على الانترنت، ولكن يبدو أنه أحد معارف زوجك، هذا ما عرفته أيضاً من الحساب الشخصي الخاص به، حسناً، سأخبرك مباشرة، إنها مهمتك أنت، ستتهين حياة هذا الخرف!، رغماً عن أنفك!». كدّت أنهال عليها بأسئلةٍ ك: «ما الذي يجعلني مضطراً لفعل ذلك؟» ولكنها سبقتني بالإجابة، فقالت والخبث قد احتل كلماتها: «وإلا لن تري ابنك»، لم أستطع النبس ببنت شفة، وددت الصراخ، أريد قتلها هي والآن، كيف لي أن أفعل ذلك؟، أيّ مجرمةٍ تظنني؟. قطع سيل أفكارني صوت إشعارٍ جاء من هاتفي، انتشلته من حقيبتني بغضبٍ لأرى رسالةً من أوليفيا والتي كانت صورةً لجورج مقيد وهو نائم، إنها تعذبني بشدة، ولتزيد عذابي قالت: «ليس نائماً، بل مخدر، هذا المخدر لن يؤثر فيه الآن، ولكن بعد أسبوعٍ سيعمل كالسمّ ما لم يتناول الترياق، وسيتهي حياته في رمشة عين، يجب أن تنهي مهمتك قبل ذلك حتى أزيل مفعول المخدر، موافقة؟، لا أظنّ أنك تودين إرسال طفلك إلى حتفه، ستصالك تفاصيل المهمة بعد قليل.»، قالت كلماتها الأخيرة وهي تضر النار في صورة الطبيب ياقوت بلفافة التبغ التي كانت تستشقها منذ بداية هذه الجلسة

الملعونة، غادرت المقهى بالكاد أستطيع كبح عباتي، لماذا فعلت بي هذا؟، لقد ظننتها لطيفةً كجدتي، ولكنها لم تكن سوى عبدة لثروتها ولا شيء سوى ذلك، أشفق على ريان، عرفت ما الذي جعله منغلقاً يبحث عن الأمان بين الجدران، إنها تلك التي رمت قلبها بعيداً لينهشه الشر، أتمنى ألا يصبح مثلها، فهذه الحياة تحتاج إلى بعض الطيبين فيها.

لم أسطع النوم في تلك الليلة، ولا في الليلة التي تلتها، شعرت أن جمودي هذا سيسبب لي فقدان جورج، ولكنني لا أستطيع إيذاء الطبيب ياقت، فإن فعلت فستكون جريمتي بحق البشرية جمعاء.

بالتأكيد ستجد المنظمة أشخاصاً آخرين قادرين على القيام هذه المهمة بدم بارد، ولكنني لا أستطيع تصوّر نفسي أنني حياة الطبيب الحافلة بالنجاحات والتحديات، إن توفيّ ستخسر الحياة أعظم عالم عرفته البشرية، ولكن ماذا؟، هل سأدع جورج يذهب أدراج الرياح؟، لا!، لا أريد أيّاً من ذلك!، أيتها الحياة اللعينة توقفي عن تعذيبي الآن، لقد ضقت ذرعاً من هذا حقاً، لقد اكتفيت.

لم أجد نفسي سوى محمّرة العينين تنهمر عباتي كالأمطار وسط العاصفة التي تكاد تقتلني، لم أستطع الصراخ، لم أستطع سوى الاستمرار بالأنين بصمت، ولكنني حتماً سأنهاي هذه المهزلة والآن.

لقد كانت الثانية صباحاً عندما انتشلت سكيناً بكفي المائد من المطبخ، ورحلت بهدوء تاركة رسالةً لتيم الذي سيعود من رحلته عند انبلاج الصباح بأني ذاهبةً لأزور إحدى صديقاتي، وبعد طريقٍ كان في نظري قصيراً للغاية وصلت إلى منزل الطبيب ياقوت، وحمداً للرب أنه كان وحيداً هناك، دلفت بصعوبةٍ من إحدى النوافذ وعندما حطت على بلاط حجرته قربت هاتفه من كفه المحترق عله يستطيع استخدامه للنجاة بطريقةٍ أو بأخرى، ورفعت السكين المتردد من رجفات أنامي التي تحمل أثقال العالم كله، فبالنسبة لي هذا السكين أثقل من الأرض بما عليها، أرخيت يدي التي وجهت السكين إلى منطقة معدة الطبيب تقريباً، وهوت السكين في موقعها مع سيلٍ من العبرات، «سامحني سيد ياقوت، هذا لم يكن اختياري حقاً!».

ومع انبلاج الصباح التالي انتشر خبر وفاة الطبيب ياقوت في جميع أرجاء المعمورة، دفنت نفسي بين الأغطية محاولةً تهدئة نفسي، لست من فعل ذلك!، إنها أوليفيا!، أعلم ذلك ولكن أفكاري لا تكف عن تعذيبي، نسيت أمر كل شيءٍ آخر حتى أخذ لهب عقلي صوت الهاتف يشي بمتصلٍ ما، لم أستطع الإجابة، لقد كان تيم، وصلتني رسالةً أيضاً، لقد عرف بذلك، يجب أن أتجه إلى ذلك العنوان الذي أرسله لي بسرعة، هناك

حيث سيكون السيد ياقوت في حجر أمنا الأرض،
أرجو أن يكون قد شعر بالراحة الآن.

اجتمع الأنام هناك، حيث وضعت تلك الصخرة
البيضاء، منقوشٌ عليها اسم الضحية باللغة العربية
والانكليزية، وها قد وضعت آخر حفنات التراب فوق
ذلك الجسد الهزيل، ودفن مستقبلاً متقدماً بجهود الطبيب
التي كانت ستبذل من أجلنا، كل ذلك حدث بسبب
ضعفي وأنايتي.

بالكاد كبحت إحساسي بالذنب حين وصلت السيدة
جمانة كجبلٍ شامخٍ لم تهزّه عواصف الحمام، ولكن
ميسان؟، لقد فُطر قلمي، فعندما أصبحت بمقربةٍ مني
بدت لي ملامحها التي غزتها الأحزان، وليس ذلك
فقط، فعندما اقتربت من قبر الطبيب بعدما أسدل عليه
التراب لتقرأ آيات من كتابهم المقدس لم تستطع، صمت
أنين الجميع لوهلةٍ حتى عرفنا قد فقدت صوتها، ذلك
الصوت العذب الذي لطالما سمعت منه كلمات غيرت
من نظرتي للحياة، حتى ظننت أنني لن أستطيع سماعه
مجدداً.

وفي لحظات ندمي الشديد احتل أذني صوتها الخبيث
يهمس بخفوت: «لا بأس، لا تحزني فهذا ليس بسببك،
ولكن إن أردت رؤية جورج تعالي معي قليلاً»، التفتت
مصعوقةً أتساءل إن كانت هذه أوليفيا حقاً، ولسوء
الحظ؛ كانت هي.

أجبتها قائلةً بصوتٍ يكاد يختنق من مثولها أمامي الآن والصراخ قد سيطر على كلماتي: «ما الذي تريدني منه مني الآن؟، ألا يكفي ما طلبته؟، سأتي معك لأجل جورج فقط، لا أودّ الوقوع في مزيدٍ من المشاكل.»، أشارت لي ببناها أن أتبع خطواتها ففعلت بتسليم.

سرنا قليلاً قبل أن نصل إلى تلك السيارة التي ترجّلت منها الفتاة ريا قبل هنيهةٍ لتهرول إلى صديقتها ميسان، أشارت أوليفيا لريان الذي كان سيتبع ريا بأن يبقى قليلاً ثمّ التفتت إليّ لأدلف إلى السيارة التي دلفتها هي أيضاً، لقد صدمت حقاً، فقد كان ريان لا يكاد يستطيع كبح عباراته، وكان الطبيب "ويليام" -صديق تيم والطبيب ياقوت ووالد ريا- داخل السيارة أيضاً، ماذا؟، أهو من أعضاء المنظمة؟، وماذا عن ريان؟، لماذا لم تسمح له أوليفيا بالانصراف؟، أنت واحدٌ منهم؟، احتلت هذه التساؤلات عقلي في لحظةٍ لتجيبني أوليفيا وكأنها قد قرأت أفكاري مرةً أخرى: «ربما تريدني الشرح، هذا الطبيب ويليام من أقدم الأعضاء في المنظمة، وهو من وضع الخطة المعقدة هذه عوضاً عن أن يتولى أمر اغتيال صديقه بنفسه لكيلا يكشف أحدٌ أمرنا، وأنت لن تشي بنا صحيح؟، فإن فعلتي هذا صدقيني لن تر ابنك ثانية، تذكرت، جورج أصبح في المنزل الآن، ولحسن حظك لن يؤثر المخدر عليه.»، قطع الحديث ارتفاع صوت أنين ريان الذي أبى سماع

حرفٍ واحدٍ فسدّ أذنيه بقوةٍ ولم يعد يستطيع مسح
عبراته التي أغرقت ملامحه، أردت التخفيف عنه فهو
حقاً يحتاج للمساعدة في حياته الصعبة هذه، لقد ابتلى
بأمّ كجمرات جهنم في القسوة، مددت له منديلاً لكي
يمسح عبراته ولكزته ليبعد كفيه عن أذنيه فأنا أودّ أن
يسمعي قليلاً، وبعدها استجاب لي قال بصوتٍ هاديٍ
قد بُحّ من البكاء: «أنا آسف، آسفٌ حقاً!، لم أودّ أن
يحصل هذا، لقد أرغمتني أمي على خطف جورج،
وقالت لي أنني إن لم أفعل ستفعل هذا بنفسها ولكنها
ستعذبه أيضاً لتحثك على الانصياع لها، ولم تُرغمني
على هذا فحسب، فقد أجبرتني على التوقيع على أوراقٍ
تجعلني عضواً في تلك المنظمة الغريبة، وقالت لي
حينها: «صدقني أنا أفعل هذا لمصلحتك، فعندما تدمر
المنظمة هذا العالم سينجو الأعضاء فقط!»، ولم أشعر
سوى بكف أوليفيا قد أحكم إغلاق فاه ريان عنوة،
وهمست بعصبيةٍ قائلة: «أيها الغبي!، أنسيت أننا
مراقبون!»، بدا على أوليفيا الغضب حتى طمأنها
السيد ويليام بأنه سيهتم بشأن كلمات ريان تلك، يبدو أنه
عضوٌ مهمٌ حقاً في المنظمة، والتفت إليّ السيد ويليام
قائلاً: «إدارة المنظمة أمرت بزرع كاميراتٍ لمراقبة
أعضاء المنظمة العاديين لمعرفة إن كانوا جواسيس،
أما الأعضاء الأقدم مثلي فقد حصلوا على ثقة إدارة
المنظمة وما عادوا مراقبين كالسابق، وهذه الكاميرات
تزرع إمّا بين شعيرات الرأس أو عند عنق العضو

لكيلا تُكسر إلا نادراً، والآن هيّا بنا لنذهب، لقد استغرقنا وقتاً طويلاً هنا، ظهوري هناك جزء مهم من الخطة أيضاً.»

وعندما ترجلنا من السيارة أسرعت ذاهبةً إلى السيدة جمانة ليأتي أخف عنها قليلاً، ولكن كيف وأنا سبب كل هذا؟، ولكنني سأفعل ما بوسعي، وعندما اقتربت منها وجدتها تكفكف عبراتها قبل أن تجتاز مقلتها حتى، ونحن ظنناها كالجبل في الصمود، إنها أقوى، لا تريد أن يشعر أحدٌ بضعفها وهذا بحد ذاته قوة، وأخيراً همست لها قائلةً وأنا بالكاد أستطيع حفظ رباطة جأشي: «فليرقد بسلام، لقد كان إنساناً لن يتكرر أبداً.»، أشاحت السيدة جمانة بوجهها قليلاً وهي تقول بصوتٍ راجفٍ أثر حزنها المخفي: «لا يا بنتي، الطبيب ياقوت لن ينتهي هنا أبداً، فهو ياقوت الذي يستحيل أن يستسلم للحياة بعد كل شيء.»، لقد أردت الانهيار حقاً في تلك اللحظة، ولكنني كبحت عبراتي احتراماً لصمود السيدة جمانة، كنت ذاهبةً إلى ميسان التي كانت مع ريا وريان وهم يحاولون التخفيف عنها دون جدوى حين صُدم الجميع بالطبيب ويليام الذي انحنى لقبر الطبيب وشرع بالنحيب، أين رحل ذلك الرجل الذي لم أعرف عنه سوى الصمود؟، لقد وقف الجميع صامتين يراقبون هذا الحدث الذي حسبناه مستحيلاً، لقد تأثر الجميع حقاً، لقد فقد صديقه بعد كل شيء، وعندما

انحنى تيمم إليه ليواسيه شرع بالبكاء هو أيضاً، "فقط توقفوا عن زيادة شعوري بالذنب!". هذا ما قلته في قرارة نفسي وقد تدفقت عبراتي على وجنتي بهدوء خارجي بينما قلبي ينهار، لم أنس هذا اليوم حتى اللحظة، ولكني قد نسيت شيئاً صغيراً، أعلم أنني قد فقدت جزءاً من هذه الخدعة ولكن لم يعلمني أحدٌ عن ماهية تلك القطعة الناقصة في هذه الأحجية الضخمة.

وعندما استعاد السيد ويليام رباطة جأشه أخيراً اضمحلت الحشود، فقد انتهت مراسم الدفن منذ وقتٍ طويل، وقررنا العودة نحن أيضاً، زحل الجميع، ولكنني أجزم بأنني قد رأيت ريان عندما أخرجت رأسي من نافذة السيارة جالساً قرب شاهد القبر يحتضن نفسه بشدةٍ ويطمس رأسه في جوفه باكياً، "يجب أن أفعل شيئاً"، هذا ما صرخ قلبي به، ولكن عقلي أبى الردّ لكيلا يُكشف أمري من هذا الخيط الصغير، كم أودّ التخلص من أفكار المعقدة هذه، إنها تدمرني دائماً.

ظلّ قد ظهر من الفراغ، إنه يقترب، أهذا هو اللغز؟، يستطيع إصابتي بالفضول حقاً.

وبعد هنيهةٍ من ارتدائي زيّ الهدوء عندما دلفنا إلى المنزل أتنا جورج راكضاً واحتضننا بشدة، لم أعد أستطيع التحمل، وتزاحمت العبرات على وجنتي ترحب بعودة الصغير سالماً، وخبأته بين ذراعيّ ولثمته بحرارة، كيف كنت سأفقدته إلى الأبد؟، أحتل

عقلي بأسئلة كثيرة، حتى اقتطع اللحظة صوت قهقهة تيم المبحوحة من تزامم العبرات منذ الصباح قائلاً: «ما الذي يحصل هنا؟، وكأنه كان مخطوفاً من قبل عصابة خطيرة، ماريا، دعي جورج قليلاً، ستقتلينه هكذا.»، لم أستطع النبس ببنت شفة فإن كنت سأسدل ستار كلمات أنمتها في صدري فستتهال عليه أمطار الصدمة، وكيف سأقول له أن سخريته تلك أصابت عين الحقيقة؟، ما زلت أتخيل حتى اليوم تلك الهنيهة التي صمتت فيها والتي كانت كافية لقتل دفئ البيت، وعندما أدرت ظهري لتيم الذي غرق في تساؤلاته بعد أن طالعه اللحظة عنت الكثير، ولم نتحدث بشأن هذا اليوم الفظيع مجدداً.

حان وقت رحلة المستحيل، تلك الرحلة التي أنهت حياة أفضل عشرين فريقاً عرفته البشرية في هذا المجال، "فهل سنلقى حتفنا نحن أيضاً؟"، لقد كان هذا السؤال يخلق فوق رأسي دائماً كسحابة ملعونة أبت الانقشاع وحتى إن أسدلت خيوط شمس كلمات باقي الفريق الإيجابية عليها، كانوا يرددون دائماً "لنعش للمغامرة!، نعيش لنقتل أشباح التساؤلات في هذا العالم الرتيب، سنفعلها حتماً!."، ربما يبدون مجرد شباب تحدثهم الحياة بمواقف أشد قسوة من الصخر، ولكنهم مازالوا مقبلين على المواجهة بكامل حماسهم رغم كل شيء، وأكثر موقفٍ نقش على حائط ذكرياتي عندما تكورت

على نفسي في يوم التدريب الأخير أفكر كيف سننتهي، دنا مني ميسان وريا وريان ليجذبوني خارج قوقعتي الصغيرة التي بنيتها بصخور أشجاني، كانت ضحكاتهم التي كست محياهم قد قتلت آثار العبرات على ملامحهم، صرخت عليهم قائلة: "ما الذي تريدونه مني؟"، فلم يجيبوني واكتفوا بسحبي إلى المكان الذي سيذهبون إليه وصوت قهقهاتهم يسكن أذني، وأخيراً أرخوا وثاقهم عن يدي قليلاً فقد جفت أوردتي، فتناهى إلى أذني صوت تيم يصرخ بعفوية قائلاً: "وتدعين بأنك والدته؟، اليوم عيد مولد جورج أيتها الحمقاء!، ماذا؟، طغت سحب الدهشة على عقلي قليلاً قبل أن أستعيد تركيزي، "لن نكون بجانب جورج في العام القادم، يجب أن نعوضه عن لحظات الفراق منذ الآن." هذا ما قلته في نفسي قبل أهرول إلى سيارتي لأذهب وأحضر للاحتفال، ومجدداً أوقفني صوت تيم قائلاً: "لقد جهزنا كل شيء لا تقلقي." وعادوا للقهوة مرة أخرى، لم يكن باليد حيلة، لن أستطيع إيقافهم أبداً.

وفي يوم الانطلاق لم أستطع سوى احتضان جورج والنحيب، تذكرت كلمات ريان التي سمعتها من أمه: «عندما تدمر المنظمة هذا العالم سينجو الأعضاء فقط.»، ماذا؟، هل سأفقد جورج مرة أخرى؟، مستحيل، لم أستطع فعل شيء في تلك اللحظة سوى أن أوصي السيدة جمانة به كثيراً، وكأنها كانت أفضل

حالا، فهي على وشك فقدان ابنتها الوحيدة من بعد زوجها، ولكنها جمانة، كما عهدتها كالجبل في الصمود، بل وأقوى حتى، فلم تذرف عبرةً واحدةً حتى بينما كنت أنا غارقةً بها، فقط احتضنت ابنتها بصمتٍ يشي بألف معنى، ذهبنا أنا وميسان لنبحث عن تيم وكالعادة وجدناه في القبو، مخبأه السري الصغير الذي احتفظ فيه بكل شجونه، تمنيت أن أصنع لنفسي مخبأً كهذا، فقلبي يأبى التحمل، لقد اكتفى تماماً، وأخيراً خرج تيم والعبرات قد فرضت الصمت على الأجواء، أشار لنا بأن نتبعه إلى السيارة ليتجه بنا إلى موقع الإطلاق، وعندما وصلنا ودلفنا غرفة التدريب للمرة الأخيرة وجدنا ريا وريان بانتظارنا، يبدو أنهم هربوا عنوةً من منازلهم، لقد اكتفوا من التمثيل، تلك "العائلة السعيدة" لم تكن سوى مسرحية أخفت خلف ستارها كرهاً وحقداً شديدين، اقتربت ميسان من ريا واحتضنتها بشدة، فتلك الطريقة الوحيدة التي استطاعت ميسان مواساة صديقتها بها، ولكن ريا لم تتفاعل مع ذلك، لم تذرف دمعاً واحدةً حتى، ولم تردّ العناق لميسان، لقد علمت من ريان أنها من المستحيل أن تسقط دمعاً واحدةً أمام إنسي، كان يعرف عنها الكثير، فعندما سألته عن مصدر معلوماته تلك أجابني قائلاً بابتسامةٍ هادئةٍ قد زينت ثغره: "لقد عشنا طفولتنا سوياً، فبفضل عمل أمي والطبيب ويليام كنا نلتقي كثيراً، وقد كان شقيقها الأكبر "آدم" صديقي المفضل والوحيد رغم

اختلاف أعمارنا، كان آدم يزورني كثيراً ويحضر ريا معه، لقد كان هذا يثير غيظي، فقد كانت طفلةً بغاءة، كانت تصرخ كلما أضاعت دميتها المفضلة التي لم أرها أنا دميةً جيدةً حتى، تحملها معها أينما ذهبت، حتى أنني مرةً عندما ذهبت لزيارة آدم في منزلهم مزقت يد الدمية عن عمد، وندمت، لقد توقعت أن تضربني بشدةٍ في ذلك اليوم، ولكنها لم تفعل هذا، لقد حملت دميتها الصغيرة واليد المقطوعة إلى آدم قائلةً له والدمع قد حُبس بصعوبةٍ في جفنيها الصغيرين: "ستحزن أُمي بشدةٍ عندما تعلم أن تلك اليد قد سقطت، لا أريد أن تحزن، أرجوك آدم لا تخبرها أنني قد تسببت بهذا."، وأفرجت عن عَبراتها التي تسارعت تغطي وجنتيها الصغيرتين، فدنا آدم منها وشرع بمسح عَبراتٍ تسببت بها أنا، أردت الاعتذار لكني لم أعرف ما كنت سأقوله في تلك اللحظة، جذب آدم أخته من كفها الصغير ليصلح لها يد الدمية، لا أستطيع نسيان قهقهاتها وكلمات الشكر التي قالتها لآدم، ذهبت لأعذر منها ففاجأتني بقولها البريء ذلك في تلك اللحظة: "لا تتأسف فأنا التي كسرت دراجتك أولاً"، ماذا؟، دراجتي؟، لقد بدت الصدمة بشكلٍ جليٍّ جداً علي، قاطع تساؤلاتي صوت آدم الحاني قائلاً: "ألم تنتبه لها؟، ولكن لا تخف لقد أصلحتها لك، ولكن أرجوك إن وددت أن تزرع ريا مجدداً لا تقترب من هذه الدمية، إنها هديةٌ لها من أُمي."، وماذا الآن؟، سأذرف عَبراتٍ

لم أدرف مثلها في حياتي، فرغم أنني لم أمتلك أباً ولكنني أعرف أنه يشعر بالراحة الآن، على عكس والدة ريا التي لازمها شبح السرطان طويلاً، لقد أصيبت به بعد أن أنجبتها بمدةٍ على حسب علمي، وقد اتخذت السرير في المستشفى بيتاً والمرض زائراً أطال المكوث حتى أصبحت أيامها لا تكتمل إلا بوجوده مع أدويةٍ جعلت حياتها جحيماً في الدنيا، فقد أصبح ذلك الحبل الذي يتدلى من كيس سائل التغذية كحلةٍ تتزين بها، وأضحى شعرها المستعار جزءاً لا يمكن أن يتجزأ من لباسها الذي ترتديه في الزيارات القليلة، لقد زرتها مع أمي مرةً ورأيت كل هذا بعيني الصغيرة التي فتحت على حياةٍ أقسى من أن تعاش، كانت ريا تلك الطفلة التي تقودها مشاعرها وكان البكاء أقوى أسلحتها وأضحت الآن كالثج الذي لا يذوب أمام أحد، لقد تغيرت في ليلة زفاف آدم عندما لم تستطع كبح عبراتها أكثر، لقد علمت أن شقيقها وسندها الوحيد سيبتعد عنها أخيراً ويتركها وحيدة في منزلٍ أضحت أشباح الذكريات تغزوه شيئاً فشيئاً ليختفي حضور ريا تلك الفتاة التي لم تكن تجيد سوى إحداث الضجة فيه ببكائها أو بقهقهاتها العالية، حررت حزنها ليظهر بشكلٍ نشيجٍ مخنوق، لم يأبه لها أحدٌ وهي تبكي ذكرياتها مع شقيقها، خطوت إليها ولم أعلم كيف أخفف عنها، فقد كنت حزيناً مثلها أيضاً، أخرجت منديلاً ومددته لها لتمسح عبراتها ولكن "سُلار" -عروس آدم-

وصلت إليها وانتشلت المنديل مني عنوةً ومسحت دموع ريا بقسوةٍ قائلةً والغضب قد اشتعل في عينيها: "وتدعين أنك في الرابعة عشر؟، تبدين هكذا مجرد طفلة، ستفسدين زفافي بنواحك هذا، توقفي في الحال، أنت تثيرين غيظي."، ومنذ تلك الليلة أمست ريا الفتاة التي لا تظهر تعابيراً على ملامحها إلا نادراً، جعلتها سُلار كالبركان، متحجرة من الظاهر ولكنها حقاً تحترق من الداخل.

لن أستطيع نسيان تلك اللحظات ما حييت، حين وصلنا خبر ضياع المركبة المسؤولة عن الرحلة العشرين - الرحلة التي شارك بها آدم وسُلار-، عرفنا ذلك لوصول رسالةٍ إلى هاتف ريا من السيد ويليام يخبرها بما آلت إليه الأمور، ولسوء الحظ كنت برفقة ريا لزيارة قبر والدتها، طغت الصدمة عليها ولم تستطع سوى القول بصوتٍ حطمته عباراتٌ كبتت طويلاً: "هناك في الجانب الآخر، أمي أرجوك اعنتي بآدم جيداً، وأوصلي إليه تحياتي."، وجثت على ركبتها باكيةً بنشيجٍ مسموع، كانت تلك أول مرةٍ تدمع فيها ريا أمام أحدٍ بعدما رمت عليها سُلار قنبلة كلماتها التي تناثرت شظاياها حتى اقتحمت كل أيام ريا إلا ذلك اليوم، وربما ودّت تلك الشظايا اختراق تلك اللحظات أيضاً ولكن حزن ريا شكّل درعاً ردع وصولها، ربما

كان ذلك مقدراً لها ليفيض ذلك البركان الذي سئم من
الخمود طويلاً.

دنوت من ريا لأهدئ من روعها قليلاً، وأنا أيضاً
أحتاج بعض الهدوء، فالنيران التي أخفيتُها داخلي كانت
كفيلةً بأن تجعلني أتفحم، أنا صديق آدم فسحب وبالكاد
لم أنهار، فما الذي يجب أن يحصل مع ريا؟، لقد كان
آدم بالنسبة لها ليس مجرد شقيقٍ فقط، كان الذي التقط
طرف خيط دميتها المتدلي ليشدها إلى الطريق
الصحيح، كان يعرف أنها لن تترك دميتها تخوض
المغامرة وحدها فقد كان يعرفها أكثر من نفسها، كانت
تدرك هذا تماماً، ولكنها ربما تسترت على ذكائها
وتكتمت عن الموضوع لكيلا يتخلى عنها، لتثبت له
بأنها مازالت بحاجةٍ إليه، أجزم أن سيل العبرات مهما
كثر لن يوفي ألم الفراق ولا قُبساً صغيراً منه حتى،
وتوافدت الدموع تخترق تراب المقبرة لتحفر قبراً
صغيراً لتدفن جبال الصمود فيه، ويالها من جبالٍ
انتهت في قبورٍ حفرت من عبرات الحزن، فما هذا
الصمود الذي تدثرت به يا ريا؟، لم يكن صمودها
كالجبال أبداً، لقد هزته رياح الفراق، ولكنها لم تأبه
لهذا، وظلت تخفي روحها التي ارتعدت فرائصها في
ذلك اليوم المشؤوم بثوبٍ من صمودٍ لم يناسبها قط،
متى ستفهمين يا ريا أن دور الجبل الذي تلعبينه لا
يمثلك حقاً؟، لا أظنها ستدرك هذا إن ظلت تغشي

عينيها بغبار الماضي."، وفجأةً قُتلت كلماته الكثيرة بحضور ريا التي جعلت وقع كبريائها يطغى على ما أخبرني به فنطق ذلك الكبرياء بواسطة فاهها قائلاً: "حتى الجبال تتخلى عن بعض الحصى عندما تحضر الرياح، ليست قوة الرياح السبب في طيران الحصى، ولكن الجبال توهمها بهذا حتى تبقى تأتيها بنسماتٍ ضعيفة، فإن عرفت الرياح بقوة الجبال ستقتلها بعاصفةٍ هوجاء، وإن دُمّرت الجبال والتي تعدّ هي الأقوى، من سيقضي على جبروت تلك الرياح التي ستتباهى بإسقاط أقوى الجبال؟، وفجأةً، صنعت الرياح من تلك الحصى التي تخلت عنها باقي الجبال جبلاً جديداً صغيراً، وعند استسلام أحد الجبال يكون قد أهدى الكثير من القوة للجبل الصغير ليصبح كبيراً بما يكفي ليهزم الرياح، ألم ترى هذا بأمر عينيك من قبل أيها المتحذلق؟، إن كنت تزعم أن دور الجبل لا يليق بي فجرب أن تصفك رياح الحزن بقوة مرة، عندها ستعلم أن إسقاط العبارات كالحصى أحياناً للتمويه فقط وأن الجبال لا تقبل الاستسلام بسهولة، وإن ذاقت من العذاب قدراً لا يمكنك تخيله حتى، وإن استسلمت، ستترك بين الجبال أثراً لا يمكن نسيانه، فقط تخيل الحياة بلا الجبال، إن تخيلتها تخيل نفسك أيضاً والرياح تصفك دون هوادة."، لقد فغر فاهي من الدهشة، أيّ فتاةٍ هذه تواجه بجسارة "الجبال" كما تدعو نفسها؟، لم يستطع ريان الردّ على ريا بعد أن رشقته بكلماتها التي

أحدثت وقعاً مختلفاً في الأجواء، فقط أشاح بوجهه قائلاً بخفوت: "آسف" وكأنه كان مخطئاً، أنا لم أره كذلك، وبعد اعتذاره الصغير قُتل الكبرياء، وجثى جبل الصمود على ركبتيه معتذراً أيضاً، حتى هربت العبرات على الأرض مستتجدةً بصوت وقعها الخفيف لیت أحداً يأتي ليعيد المياه إلى مجاريها، فتقدمت ميسان بحضورها الرقيق ومدّت يدها إلى ريا فساعتتها لتعتدل واقفةً ومسحت خيوط العبرات من عن وجنتيها ببنانها الحاني، وجذبتها إلى ريان وأشارت لها أن تردّ له الاعتذار بصيغةٍ أوضح من البكاء، وفعلت هذا حقاً، لقد كانت ميسان كالفجر بعد ليلةٍ ماطرة، تحمل من الدفء ما يكفي لتجفف المياه التي احتلت الأرض المتعبدة، وتحمل من الحنان ما عوضها عن صوتها المسلوب، لقد كانت ميسان جبلاً أيضاً، ولكنها تحمل في القمة زهوراً وليس ثلجاً كسائر الجبال، لقد كانت جبلاً بطريقتها الخاصة، بطريقتها الرائعة.

قطع أجواء الدفء التي صنعتها ميسان صوت ريان يقول ساخراً: "لماذا عيونك منتفخةٌ هكذا؟، أكنت تبكين؟، لم أتخيلك بهذا الضعف، إنه مجرد نقاشٍ حاد."، ماذا الآن؟، لقد تميزت ريا من الغيظ وردّت عليه بصوتٍ انخفض بسبب كزّ أسنانها بقوةٍ ليتها تردع براكينها التي أوشكت على الانفجار: "لم يكن بكاءً، فقط مجرد حصواتٍ كانت عالقةً في عيني."، لم

تسحقه برّدها هذا، فقد باغتها بكلماتٍ حولت ذلك الجبل لبركانٍ ثائرٍ لا ينوي رحم إنسيٍّ من حممه، لقد قال بكل عفوية: "كما أعرفك تماماً، أضعف من أن تكذبي تماماً، أبدو غيبياً؟، لم يكن عصيّ الفهم أنك قصدتي بالحصى حفنةً من الدموع كما قلتي منذ برهةٍ بقصة الجبل الصامد ذاك، وأنا أجزم هذه المرة «دور الجبل هذا لا يليق بك، كفي عن التمثيل.»، أنت تعذبين روحك المتعبة هكذا."، وثار البركان غاضباً بشدة، ولم تكن حممه سوى عباراتٍ أخرى اختلطت بصوت ريا الغاضب وهي تصرخ قائلةً: "متى ستكفّ عن الاستخفاف بي؟، وكأنك تعرفني أكثر من نفسي، أنت لست آدم، ولن تكون مثله أبداً، لتتوقف عن التمثيل أنت أيضاً."، وجثى الجبل على ركبتيه باكياً مجدداً، وظلت العبارات تتسابق على وجنتيها حتى تهوي على الأرض أخيراً، وهمست بصوتٍ شوهته سيوف الصراخ، وحطمه سيل الدموع الطويل: "فقط أرجوك توقف، لا تحطمني أنت أيضاً، ألا يكفي باقي العالم لردعي؟، ألم تفلح وحوش الماضي في قلتي؟، فأنا أشعر بالحمام في حقاً، وقد أقمت الجنازات في قلبي، فقد قُتلت كثيراً، ألم أنل كفايتي بعد؟، لقد ازدحمت القبور في قلبي، وضقت ذرعاً، توقف عن ذلك أرجوك."، اغرورقت الدموع في عيني ريان، فلم تكن ريا الوحيدة التي تدّعي القوة رغم الضعف، ازدحمت قلوبهما بالقبور، لقد كان ريان يرشق الجثث بين حروفه، فإما أن تُرمى صراخاً

أو سخريةً مع تلك الحروف، ولكن بعضها فقدت محلها بين الكلمات، وبعض الحروف كانت أقوى منه، فأبت تخطي حنجرته حتى قيد أنملة.

جذب ريان ريا من كفها فاعتدلت واقفة، مدّ لها منديلاً وهو يقول وابتسامته الهادئة سكنت محياه مجدداً: "كقي عن إ مطار البركان بدموعك، إلا إن كنت تودين أن تنبت الزهور عليه، ولكن هذا جيد، لقد استطعت إخراج ريا الحقيقية من القوقعة الموحشة لبضع دقائق."، قاطع حديث ريان صوتٌ صدر من هاتفه، ففغر فاهه ضاحكاً وقال: "كيف نسينا السيد تيم؟، لقد أرسل إليّ رسالةً نصيةً قال فيها أنه كان مع فريق العمل في المركبة ليفحصوها للمرة الأخيرة، وهو ينتظرنا بداخلها الآن."، تقدمت ريا بالسير وهي تبدو أصغرنا سناً لقصر قامتها قليلاً وأيضاً بسبب ضحكة الأطفال التي كست محياها المصبوغ بحمرةٍ بسبب البكاء، لم أعد أفهم حقاً، كيف يمكن لريا وريان التقلب بسهولةٍ هكذا؟، لقد أجابت ميسان عن سؤالي الداخلي الذي لم أنطق به حتى بإشاراتٍ عنت: "لقد اعتادوا على الشجار حتى في أبسط الأمور، ولكن هذه هي المرة الأولى التي يتشاجرون في أمرٍ حساسٍ كهذا."، كانت ميسان تعرفهم أكثر مني بحكم فترة التدريب لهذه الرحلة، ربما كانت تلك الفترة خيطاً مهماً في نسيج حياتهم جميعاً، يجب أن تكون كذلك.

دلفنا إلى المركبة أخيراً، بدت لنا كالتابوت ولكنه معدني، كان للأكسجين الذي يلامس جدران AWK_39 دخولٌ مميزٌ إلى أجوافنا، دخولٌ يزار في عزمنا، وكان المركبة حيةً تشعر بنا، ولكن إن كانت كذلك، فلماذا تحذرنا من خوض هذه الرحلة؟.

ومن نوافذ المركبة الزجاجية بدا لنا الغمام متلبداً يعلن عن حضور الغيث، ولكننا في أغسطس، أيّ أمطارٍ هذه التي تهطل في الصيف؟، لقد كان الشتاء حتى في أغسطس، شتاء الوداع، وعبرات الغمام الأسود ظلت تطرق جدران AWK_391 تستجد بها، ولكن من ماذا؟، قطع تفكيري صوت ريان يقول بحسرةٍ لم يستطع إخفاءها: "كيف نسيت أن أودع جورج؟"، ماذا؟، جورج؟، ولكن لماذا؟، لقد أجابتي ذاكرتي بقول ريان يوم جنازة السيد ياقوت الذي نقله عن أمه: "عندما تدمر المنظمة هذا العالم سينجو الأعضاء فقط"، اغرورقت العبرات في عيني ولكنني لم أطلقها أمام الفريق، لم أكن أودّ أن أشعرهم بالخطر، لم أكن أودّ أن يعلموا أن تلك الغيوم تبكي الأحياء منا، فما الذي سيجعلها تبكي أرواحاً ميتة، إنها تعلم أن الحمام ليس سيئاً أبداً، فهو يجذب الروح المتعبة إلى طريق الراحة، بدت رسالة الغيوم جليّةً بالنسبة لي الآن: "إن نجوتم أيها البشر فلا تسقطوا في الحفرة التي سقط فيها أسلافكم سابقاً، ولا ترموا إنسانيتكم أدراج الرياح حتى

لا تسقطوا في حفرةٍ أعمق."، لقد نطق الغمام بعد فوات الأوان، فمن سيخرجنا من هذا القمقم الآن؟، نودّ أن ننتهي كسائر البشر، مجرد غبارٍ ممزوج بالبارود تلاعبه نسيمات الرياح المسممة برائحة المتفجرات، لا حفنةً من المرضى النفسيين كُلفوا بمهمة بناء بشريةٍ جديدةٍ وإنقاذ أنفسهم التي ضاقوا ذرعاً منها، أيها الغمام الأسود، أنت تملك أحلاماً لا يرجى تحقيقها حقاً.

وحدث ما حدث، فكما خشيت، لقد دمروا العالم ونسوا أمرنا، وكأننا لسنا بشراً أيضاً، لماذا قدّرت النجاة لنا نحن الذين نرى في صوت الأنفاس الأخيرة راحة؟، نحن الذين عشقنا التدثر بالأكفان متجهين إلى قبرٍ نراه أوسع من تلك القصور التي كُتب عنها في القصص الخيالية، أن نسكن المقبرة لا المقبرة تسكننا، فتقام الجنازات لجسدٍ قد اكتفى من الجنازات التي أقيمت لتلك الروح التي بين جنبينا، تلك الجنازات الحية التي تقام كثيراً في قصر الحزن داخلنا، فنحن لسنا فقط عقلاً يفكر وجسماً ينفذ، نحن أكوانٌ أخرى، ففي كلِّ منا عالمٌ فيه أرواحٌ تزهب وحيواتٌ تولد إلى هذه الحياة القاسية، عالمٌ فيه أحلامٌ تشيّد كالقصور، وتُحطم كالزجاج بزوابع الواقع المرير، هكذا خُلقنا.

حطّت أقدامنا أخيراً على الأرض المتدثرة بالركام بعد أن انتهينا من مهمتنا المستحيلة تلك، لقد نفذوا خطتهم، صدق ريان في هذا، ولكن هناك فجوةٌ صغيرة، هل

نجى الأعضاء حقاً؟، وإن كانوا كذلك ففي أي حجرٍ
يختبئون الآن؟.

وخارت قواي، جثيت على ركبتي وقد سقيت الأرض
المقفرة بعبراتٍ تناثرت على وجنتي والأرض عنوةً،
كم وددت الصمود، كم وددت التحمل، ولكني لم أستطع
ببساطة.

دنى الجميع مني لتهدئة روعي رغم حزنهم هم أيضاً،
لقد كنت أكثرهم تأثراً أقلهم فقداناً، فها هم قد فقدوا آخر
من كان بجانبهم إثر هذا الدمار، رفعت رأسي قليلاً
أفتش بعيني الدامعة عن تيم، لم يكن مع باقي أعضاء
الفريق، وسعت دائرة نطاق بحثي قليلاً لأجده قد شرع
يجري بسرعةٍ وبالكاد يستطيع التقاط أنفاسه باتجاه حيناً
المهشم، من المستحيل أن يتوقع نجاة جورج، هو ليس
بذلك الغباء حقاً، ولكنه تيم ذلك الذي يؤمن بالمعجزات،
فأي معجزةٍ تودّ تحققها الآن يا رجل؟.

اتبعنا خطواته السريعة طامعين بمعرفة ما الذي يبحث
عنه، وأخيراً، يبدو أنه قد وصل إلى منزلنا أو ما تبقى
منه من رماد، لقد غزته الصراصير، ليس وكأنها قد
استحوذت على الأرض كلها، لحظة، ما الذي فعله
تيم؟، إنه القبو، هل ستدلفه؟، هذا ليس وقتاً للاختباء، ما
الذي تنويه بالضبط؟، لقد عرفنا عندما خرج من القبو
وهو يجرّ صندوقاً كبيراً إلى حدٍ ما إلى الخارج، هل
كان هذا هناك؟، لكن كيف نجا من الانفجار؟، مسح تيم

على الصندوق بأنامله لتتناثر ذرات الغبار وتغزو أنوفنا لننكبّ في حالة سعالٍ وعطاسٍ هستيريين، لقد بدونا كحفنةٍ من الأطفال المصابين بالزكام، قطع تفكيري اللطيف هذا صوت تصادم معدنين ببعضهما البعض، التفت لأجد تيم قد كشف عن نافذة أزرارٍ في هذا الصندوق الغريب، وانها على الأزرار وكأنه قد انهال على لوحة مفاتيح البيانو ليعزف سمفونية لم يفهم كنهها، وأخيراً قد تغير حال الصندوق قليلاً، لقد شرع يعلمنا عن كان مختبئاً في جعبته، لقد فُتح على وسعه حتى نغرق في الدهشة، فغرت فاهي لا أستطيع التصديق، هل هذه هي المعجزة التي أراد تيم تحقيقها؟، حقاً، المعجزات لا تموت، قد تختفي قليلاً، ولكنها مازالت محفوظةً في شغاف قلوبنا، تحيا فقط بإيماننا بها، إنها المعجزات على أي حال، بالطبع ستتدثر بثوب المستحيلات، وأيضاً لليقين دوره في تحقيق المستحيل، فقد كانت السيدة جمانة محقةً عندما قالت لي بصوتٍ كسته أثواب اليقين كلها: "الطبيب ياقوت لن ينتهي هنا أبداً، فهو ياقوت الذي يستحيل أن يستسلم للحياة بعد كل شيء".

فتح السيد ياقوت عينيه وقد بدا الوهن جلياً فيهما، لم يتجرأ أحداً على سؤاله فقط كيف استطاع النجاة، لا يمكن دعوتها بنجاةٍ حتى، فقد أصبح ذلك الكرسي المدولب صديقه السرمدى الذي يأبى فراقه، وقد

أضحى الصوت الذي يصدر عن حركة عجلاته كسمفونية لا تكتمل التحركات إلا بها، وقد كان اختفاؤه مهمته السرية، لقد تخلص من شبح خوفه من البشر الآن، ولكنه لم يعلم بعد أن تلك التي غرست السكين فيه تقف أمامه الآن، أجفلت عندما تخيلت أنهم قد يستطيعوا كشف فعلتي تلك، لا أستطيع التحمل، لقد ثقل حمل الذنب علي كثيراً، لقد ضقت ذرعاً، كيف سأخفف على نفسي ولو قليلاً فقط؟، لقد أتتني الإجابة بهيئة صوت ريان الذي طغى الهدوء عليه قائلاً: "حتى السماء تأبى الاستجابة لأوامر تلك المنظمة الغبية، يا للسخرية، لقد صمد الطبيب فأين هم الآن ليشهدوا لحظات هزيمتهم ويتلذذوا بها كما تلذذوا بتعذيب البشر؟، لماذا أقدموا على إقحام أنفسهم بتحدي بدت نتيجته تلوح لنا واضحة كالشمس؟، ولكن لم يرها أحدٌ غيرنا، إنه الطبيب ياقوت بعد كل شيء، ذلك الرجل الذي كان يدعى بالأخطبوط، كيف صدقنا أنه قد غرق."، إنه محق، ألا يجب أن أسعد لنجاة السيد ياقوت؟، حمداً لله أنني لم أغرس تلك السكين في نطاق الخطر الحقيقي، وحمداً لله أنني قد فكرت بتقريب الهاتف منه فيبدو أنه قد استفاد من فكرتي المسترجلة بشكلٍ كبيرٍ جداً، فمن زاويةٍ ما لقد كنت سبباً في وجود السيد ياقوت بيننا الآن، لقد قلبت الموازين، وفقدت من كنت أسعى لحمايته بشتى الطرق، يا لسخرية هذه الحياة، فمهما حاولنا لن نستطيع عصيان أوامرها

الصارمة، فنحن لسنا سوى مجرد بيادق نتبع أوامر اللعبة الغربية تلك، ولكن كما يبدو أننا بيدقٌ أبيض، فنحن قد سبقنا الجميع بخطوة في لعبة الشطرنج الكونية هذه.

لقد عشنا المفاجآت هنا، ففي مركبةٍ حطت على أرضٍ هامدةٍ لا نبات فيها اختبأت لأجلنا الصدمات وكشفت عن نفسها لنا تباعاً، وأضحت صرخاتنا هي الناقوس المعلن عن قدوم مفاجأةٍ جديدة، منها صرخات فرح، ومنها صرخات ألم، لقد كنا مجرد ستة أشخاصٍ قد ضاقوا ذرعاً من الحزن، ولكنهم مازالوا يبنون بالرماد الذي يحمل في جعبته دموعاً ذرفت، وأرواحاً فُتتت، قصوراً استعمرتها الأحزان، قصوراً أملوا أن تدمرها رياحٌ عاتية، أو أن تعصف بها زوابع أفراحهم، ولكن لا جدوى من تلك الأحلام، وها هو ذلك النهر الأحمر يفيض من جديد، بعد أن زحلت الرتابة في الأجواء بعودة صوت ميسان الحاني، اضمحلت الابتسامة إجلالاً لصدى صرخات الألم، وفيضان تلك الدماء التي غمرت الأجواء برائحتها التي شابتهت قدومها بقدوم الحمام، ولكننا نحن من نصارع أشباح الموت بحراب الصبر، ويا للعجب، ننتصر في كل مرة، لقد كان صراع ريان طويلاً ومؤلماً اليوم، فقد واجه "فلمة" تلك الكائنة الفضائية التي أحمل من حمضها النووي قبساً، أنا لست بشريةً تماماً، فكما أخبرتني فلمة أني هجينة،

وقد روت لي الكثير عن أجدادي الفضائيين، وأخبرتني أن وجود حمضها النووي فيّ جعلها قادرةً على رؤية بعض المحطات المهمة في حياتي وكذلك الأمر ذاته مع أجدادي، لقد تعلمت لغتنا من تلك المقطعات، ربما كانت البداية معها مروعة، ولكنها كانت خائفةً فقط، فهي مازالت بين حفنةٍ من الغرباء رغم كل شيء.

أجرينا بعض التعديلات على المركبة حتى أصبحت جاهزةً للشروع برحلةٍ جديدة، ستكون هذه الرحلة طويلةً أيضاً، فذراع حامل رأس الغول ليس قريباً أبداً.

أخبرتني فلمّة أن المهمة التي كُلفوا بها لم تكن لها ولجدي قين وحدهم، كان هناك ثنائيٌّ آخر، ولكن وجهته كانت إلى أحد الكواكب المسطحة في ذراع حامل رأس الغول، وهي الآن لا تعلم عن مهمتهم شيئاً، ولكن ثقّتها الكبيرة في كفاءتهم كانت كافيةً لإقناعنا بأن نجرب، وحطّت رحالنا إلى ذلك الكوكب المسطح كرفوف الكتب، ومشّت أقدامنا على ذلك الرمل الأسود كالبارود، لقد كانت السماء متلبّدةً بالغمام مخفيةً روعة الشفق القرمزي، كانت الأشجار البيضاء تحيط بنا من كل حدبٍ وصوب، لم تكن كتلك الأشجار في الأرض، فقد كان أصغرّها كافياً لبناء منزلٍ كبيرٍ بين أغصانه، لقد كانت كل المنازل هكذا، مبنيةً في الأشجار، لقد فاض عقلي بالأسئلة، كانت تبدو هذه

الأرض غريبة كالقصاص الخيالية، لا أصدق أنني قد هبطت على أرض كهذه، ولم يصدق أحدنا ذلك.

وقطع تفكيري تقدم ذلك الشاب الأوغري "لوكاس" الذي عرفنا عن نفسه بعد عناءٍ طويل، لقد عانينا حتى استطعنا التواصل معه، حتى فلمة لم تفهم كهن كلماته الغريبة تلك، وأخيراً قد جثت ميسان على ركبتيها وشرعت بالرسم على الرمل الأسود، لقد استطاع فهم تلك الرسوم أخيراً، يبدو أن مهارات التواصل الصامتة لم تذهب سداً في نهاية المطاف.

أشار لنا أن ندلف معه إلى صخرة ضخمة خالفت في شكلها بيوت باقي السكان، لقد كانت مختبره الكبير، إنه يعدّ قُبساً من تلك الأشياء الخيالية التي لطالما حلمنا بالحصول عليها، وكان الأروع في هذه الصخرة تلك الرفوف التي ازدحمت بشتى أنواع الكتب، لم تستطع ريباً عدم إلقاء نظرةٍ عليها، حتى نادى ميسان لترجم لها اسم ذلك الكتاب الذي كُتب بحروفٍ عربية، حطت الدهشة على الأجواء عندما نطقت ميسان بعنوان ذلك الكتاب "المفكرة السوداء" وأسدل الفضول ستاره على عقولنا، فكلنا نجزم أن بين دفتي ذلك الكتاب الثخين سنجد أسراراً لم تعلم عنها سوى تلك الصفحات، فقبل أن تموت تلك الكلمات وتُكفن بثوب الورق الأبيض؛ لقد كانت لغزاً هارباً من سجون البوح.

أعطى لوكاس كلاً منا تلك السماعات التي ساعدتنا على التواصل كثيراً بعد قدومه إلينا مجدداً، فمن المستحيل أن ننقش على الرمال إلى الأبد، وأخيراً استطعنا فهم كلمات لوكاس عندما قال بلهجة جادة تشي بحزم هذا الفتى اللبيب: «أنا "لوكاس" أدير الشؤون العلمية على هذه الأرض، "نوبس باغو"، تشرفت بقدمكم.»

أسدلت ستار الصمت علينا لهنيهة قبل أن تعلق فلمّة على كلمات لوكاس والابتسامة قد احتلت ملامحها قائلة: «تبدو "نوبس باغو" هذه في حالة تطور كبير، لقد سبقتم حضارة ماجلان بأشواط، كما هو متوقع من أحفاد نيبولاً وغوو، ولكن لحظة، أين "العنقاء"؟، ألا يجب أن يرحب بالوافدين الجدد؟»، وانهاالت الأسئلة في عقلي كالغيث، فمن هذا الملقب بـ"العنقاء"؟، وظلت إجابة هذا السؤال مختبئة خلف شفق "نوبس باغو" القرمزي طويلاً.

اصطحبنا لوكاس في جولة حول نوبس باغو برفقة "ستيلا" شقيقته الكبرى والمسؤولة عن الشؤون القضائية في هذه الأرض العجيبة، لقد كان لها حضورها المهيب في المكان، وكان لوقع كلماتها وتحركاتها هدوءً وشى بحكمة أميرة هذه الأرض ولطفها كما بدا لنا.

حقاً، إن هذه الأرض كالفُرى العجيبة في الحكايات الخيالية، فتلك الأشجار البيضاء التي احتوت سكان هذا الكوكب المسطح تبدو كثمار القرنبيط العملاقة، وتلك الرمال السوداء التي تذررت بها هذه الأرض تبدو كبارودٍ قد هرب من بندقية قاتلٍ أو مناضل، والأجدر بالذكر تلك الغمامات التي احتضنت الشفق القرمزي وأبت الانقشاع، ذلك الشفق الناتج عن ثبات ذلك النجم الذي يضيء هذا الكوكب المسطح عند حافة انحنائه، فلا صباح في هذه الأرض ولا مساء، لا شمسٌ تشرق وتغرب ولا قمرٌ يزين كبد السماء، إنه الشفق الطاغي على السماء هنا من بعد الغيوم التي تتخذ في شكلها وتحركاتها مع مجرى الرياح جمالاً باهراً، فبعد كل شيء هذه الأرض لم تدعى بـ"نوبس باغو" من فراغ.

مكثنا في إحدى الأشجار الصغيرة لمدةٍ قبل أن نحصل على عملٍ ومنتقل إلى أشجارٍ أكبر وأقرب إلى مقرنا، بنتنا نعمل في مقرٍ لتصنيع السفن الفضائية والاستكشاف الفضائي، فبعد كل شيء نحن متخصصون في هذا المجال.

كان لوكاس يعمل معنا أحياناً، لقد كان المشرف على فريقنا الجديد، ذلك الفريق الذي عرفنا بمساعدته الكثير عن تلك النجوم في هذه المنطقة، وقد تعرفنا على أعضاء الفريق الذين يحملون الطيبة والعبقرية في جوارحهم، "فيان"، "روبي"، "ميكو"، "أمبرا"، "لونا"،

و"فينيكس" باقي أعضاء فيلقنا الذي قُسم لنقوم بكل المهامتين، الاستكشاف الفضائي والإشراف الهندسي لبناء السفن الفضائية التي ستساعدنا على الاستطلاع في رحلاتٍ خصصت للبحث عن منطقةٍ أخرى للنجاة، هذا ما شرحوه لنا عن أهمية رحلاتهم الفضائية، ولكنهم لم يكشفوا لنا سر ذلك الخطر الذي يعملون جاهدين للهرب منه، لقد أمطروناهم بالأسئلة طويلاً، ولكنهم لم ينبسوا ببنت شفة، إنهم "الماجلان" كما ندعوهم نحن الأرضيون، لقد تفوقوا على البشر بالكتمان والثبات، أو هذا ما ظنناه.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٩-

داني

أمام شاشاتٍ عدةٍ لبث ما يحدث مع الفريق "٢١" من خلال كاميرتي السرية المخفية بينهم، لم أستطع الشرود عمّا يحصل لبرهةٍ حتى، ما الذي يجري هناك؟، ما الذي تبثه لي تلك الكاميرا الصغيرة؟، هل هم يعيشون في قصةٍ خياليةٍ أم ماذا؟، يبدو أن الكاميرا قد تعطلت بسبب بعد المسافة بين موقعي وموقعها، ولكن ذلك مستحيل، فهذه الكاميرا ليست بذلك التطور لتتلف لسبب كهذا، إنها مميزةٌ حتى عن الكاميرات المميزة الأخرى، لقد التقوا حقاً بكائناتٍ فضائيةٍ وتواصلوا معهم، إنه التفسير المنطقي الوحيد لهذا البث الغير منطقي أساساً.

ASRU D

للنشر الإلكتروني

- ١٠ -

ميسان...

لا أستطيع تصديق كل ذلك، الكثير والكثير من المفاجآت التي انهالت علينا كالغيث بعد دهرٍ من الجفاف، "فلمة" "لوكاس"، "ستيلا"، و"نوبس باغو" توقفوا عن العبث معنا، والأهم من كل ذلك؛ ما حصل سابقاً، كيف وصلت إلى الفضاء أساساً؟، وإن وصلت، فكيف نجوت من رحلة المستحيل أنا التي لم تدعى سوى بالورقة الخريفية التي تجرفها حتى الرياح الهادئة؟، لا، لقد عصف الصمت فيّ مرة، واشتدت زوابع الحزن حينها كثيراً، حتى أوشك الجمام أن ينال مني، لكنني لم أستسلم ولا أعرف لم، ربما لأحطم أكثر برحيل أمي، أو لأرى ملامح أبي الحنونة مرةً أخرى، لا أودّ رؤية النصف الفارغ من الكأس، ولا أستطيع رؤية النصف المألن دون رؤية الكوب نفسه، ذلك الكوب اللامرئي التي حُبست أفراحي في قعره؛ وبقيت أتراحي في الأعلى تستطيع الظهور للعالم متى شاءت، هذا الكوب غير عادل؛ يجب أن يُحطم.

كانت نوبس باغو كروايات الفانتازيا وأفلام الخيال العلمي، بل تضاهيهم جمالاً حتى، فهذه التحفة الفنية لم تقربها أنامل البشر، لقد أحيها الماجلان بعد أن حُلقت أرضاً مقفرة، إنهم مذهلون على أقل تقديرٍ لما صادفته عيناى دون الأسرار التي أخفيت عنا نحن الغرباء.

لقد كُلفنا بالعمل مع "حاصدي السُّدم" ذلك الفريق المتكامل الذي يحمل في قلوب أعضائه المحبة، الإيثار، وروح التعاون التي ميزتهم عن الجميع رغم صرامتهم، فهم يعملون ككيانٍ واحد، مهما تعددت طرائق تفكيرهم، ومهما اختلفت خطتهم، يبقون ذلك الفريق المذهل الذي ينجز الخطط جميعها بطريقته الخاصة، بطريقته المستحيلة، وفي النهاية، ما كُلفوا بمهمةٍ إلا وأبدعوا فيها، مهما بلغت صعوبة تنفيذها.

لقد كان العمل مع "حاصدي السُّدم" تجربةً لا تُنسى، نحن لم نعمل بقدر ما تعلمناه من هذا الفريق، لقد نهلنا الخبرة حتى آخر قطرة، حقاً، أنا لا أبالغ، لا أستطيع المبالغة أساساً أمام عظمة هذا الفريق، ستبدو كلماتي مهما كثرت كالغبار أمام كثبان الواقع، كم كنت أتمنى أن ترى البشرية قدراً ولو قليلاً مما عشناه هنا في نوبس باغو، وكأنهم لم يفعلوا.

لقد كانوا ستة؛ ست شموعٍ أضاءت الكون بأسره، "فيان"، تلك الفتاة التي تحمل من الحكمة والمعرفة فُبساً كبيراً، فهي العقل المدبر في هذا الفريق، والمسؤولة عن جزءٍ لا يتجزأ من الروعة التي تشع كالنور في عقولنا كلما مرّ على مسامعنا اسمهم، وأجمل ما في هذه الفتاة هالة الثقة التي تحيط بها من كل حذبٍ وصوب، فخلف تلك النظارة السميقة تدفن نظرات الخوف، الضعف، الألم، وكأنها لم تكن، فكم كان هذا

الفريق محظوظاً بهكذا قائدة، وكم كانت هي محظوظةً بهم أيضاً.

"روبي" و"ميكو"، الفتاتان اللتان لم يعجزهما شيءٌ عن الابتسام، مهما اشتدت علينا الصعاب، سيجعلوننا سعداء بطريقةٍ ما، ولا تكتمل إحداهما إلا بوجود الأخرى، فكما تقولان "القطب الواحد لا يصنع مغناطيساً"، حقاً، لقد صنعتنا ذلك المغناطيس معاً، المغناطيس الذي يجذب السعادة إلينا رغماً عن أنفسنا، ولا تكتمل المغامرة إلا بوجودهما، "فلا تيار كهربائي دون مغناطيس" بكل بساطة.

"أمبرا"، اليد اليمنى للفريق، فلا إنجاز إلا بوجوده، مهندس السفن الفضائية الأفضل في نوبس باغو، فقد كانت السفن التي يصممها تفوق بروعتها السفن الفضائية الأرضية بأشواط، لا مجال للمقارنة حتى، فما من سفينة فضائيةٍ قد خرجت من بين غمامات نوبس باغو إلا وقد كُلت مهمتها بالنجاح الساحق، وكما قال الكثيرون، كان لأمبرا فضلٌ كبيرٌ في وصول نوبس باغو إلى ما هي عليه الآن، وأنهم يعتمدون عليه لنجاتهم، رغم ثقل ذلك الحمل الذي وضعه الشعب على عاتق أمبرا كان يستطيع تحمله، خاصةً بمساندة أصدقائه له، فلا نجاح لليد اليمنى دون باقي الأعضاء.

"لونا"، الملاك الحارس في هذا الفريق، تلك الفتاة التي شابهت حبة السكر في كل شيء، فما زادها المهق إلا

جمالاً، لم يكن حسنهما في هدوء ملامحها اللطيفة وحسب، بل ما زاد السكر عسلاً فقط هي ابتسامتها التي تحمل الدفء في طياتها ونقاء روحها التي تشعّ بياضاً كلامحها تماماً، لم أرها عابسةً قط إلا عندما تقرأ أكثر عن نور النجوم الساطع الذي لم تستطع رؤيته بوضوح لكيلا يؤدي عيونها البريئة، لم تلمس التلسكوب يوماً رغم دراستها لعلم الفلك وإبداعها فيه، لقد كانت أصغرنا سناً وأكثرنا معرفة، ولم تعترف بهذا يوماً رغم وضوح براعتها، فقد دثرت كلماتها بثوب التواضع الجميل، لم تكن يوماً سوى الأحنّ، الألف، الأنقى، لم تكن سوى ملاكاً.

وأخيراً "فينيكس" أو "الأخ الأكبر" كما يدعوها أعضاء الفريق، لقد استحق لقبه هذا بجدارة، فكالأخ الأكبر تماماً، لقد كان سنداً لكل من احتاج العون، وكان ذلك الذي نرمي إليه المسؤولية وكاننا ثقةً أنه يستطيع تحملها، كان يساعد فيان في توزيع المهمات وتنظيم الخطط، وأمبرا في تصميم المركبات، ولونا وميكو وروبي في دراسة حال النجوم، وغير ذلك، لقد كان يساندهم بكل ما يملك، حتى وإن كانت معرفته قليلة، لا يتردد في الإفصاح عن رأيه، غالباً ما تصيب اقتراحاته بيت القصيد، فبعد كل شيء هو ذا الخبرة الأكبر هنا، لم يكن الأعضاء وحدهم من يشعرون بعظمة فينيكس ودوره الكبير في تطوير الفريق، فقد كان معظم

الماجلان يوافقون في هذا الرأي، حتى أنهم كادوا ينسون أمر باقي الفريق الصغير وفضلهم في ولادة تلك الأسطورة "حاصدو السدم".

شرعنا نكتشف الأسرار شيئاً فشيئاً، فبعد أن أدخل أبي الشريحة "ستيف" في آليّ أخذه من لوكاس؛ أضحي العمل أيسر للجميع، كان ستيف ليس مجرد آلي ينفذ الأوامر فقط، لقد كان مثلنا أو أشد إنسانيةً حتى، بفضلته اكتشفنا بعض أسرار الماجلان، لم تكن أسراراً عظيمةً فلماذا أخفوها عنا؟، أو لأنها كانت أتفه من أن يطلعونا عليها حتى؟، ولكن مازال هناك ما أحترق شوقاً لمعرفة، ما هو "العنقاء" الذي سألت فلّمة لوكاس عنه بعد أن وضعنا أجهزة الترجمة؟، لم يعرها انتباهاً عندما طرحت السؤال أو يجبها، ولم نخبرنا عن ماهية هذا الشيء هي أيضاً، فلّمة أغرب من سكان نوبس باغو بأشواط، لم أتقبلها إلى الآن، فهي لا تملك سلاحاً تحتمي به سوى عنفها الشديد وانفعالاتها، كادت تسلب ريان حياته، وقد سلّبت منه الاعتدال في مشيته والهدوء في خطواته وكان محظوظاً لأنه لم يفقد ساقه على أقل تقدير، وكما قالت لنا ماريّا: «فلّمة لم تكن سوى تلك الطائشة التي أودت بمستقبل شعب الماجلان أدراج الرياح في برهةٍ بعد عقودٍ من التخطيط، فقط لترضي وحوش فضولها الضارية.»، لا أظن أن أنانيةً

مثلها تستحق المحبة، فإن لم تفكر بالآخرين ولو للحظةٍ فهي لا تستحق أن يفكر بها أحد.

شرعنا بالقراءة أخيراً، فبعدما صممت ريباً بمساعدة أبي ولوكاس نظارةً تشابه السماعة في عملها بدأنا بالتهام الكلمات، باتت جميعها مفهومةً وواضحةً بفضل الترجمة النابعة من داخلنا دون أن نشعر، لقد امتلك لوكاس مكتبةً أروع مما أستطيع وصفه بالكلمات، لا نكاد ننهي قُبساً يسيراً من الكتب رغم نهمة الشديداً للقراءة، فأنا وريباً وريان نتجه إلى المكتبة كل يومٍ بعد الانتهاء من العمل، ونغوص في عوالم حملتها الكتب بين دفتيها، ونعيش حياةً أخرى بعيدةً كل البعد عن حيواتنا، حيوات أولئك الماجلان التي استحقت التدوين، يبدو أن ما من مخلوقٍ حطَّ على أرض الماجلان إلا وقد أحدث فرقاً قبل أن يداهمه الحمام، ولكن وبعد كل ذلك الاطلاع؛ لم نجد حتى حرفاً واحداً عن العنقاء، وكان فلمة كانت تهذي عندما تحدثت عنه، لا أستغرب هذا، ولكن باقي أعضاء الفريق يفعلون، فحسب اعتقادهم إنها ليست بذلك الغباء، ولم يظهر عليها الوهن أو الهذيان عندما رمت بسؤالها الغريب ذلك، لقد كانت بكامل قواها العقلية، التي أشك أنها قد تملكها أساساً.

لم يكن هدفنا العنقاء فقط، فقد فتشنا عن ذلك الكتاب "المفكرة السوداء" في كل ركنٍ من أركان هذا المكان،

ولكن دون جدوى، يجب أن أتصفحه، حقاً، فقد سمعت باسمه من قبل ولكنني قد نسيت متى وأين.

ظَلَّت الكُتُب تبدو كالجبال في نظرنا دون أن نستطيع قراءتها جميعاً، حتى مع انضمام ماريّا وتيم إلينا، بتنا نقرأ أكثر مما نتنفس تقريباً، ونقضي معظم أوقاتنا بين جدران هذه المكتبة العملاقة، شرع الفضول ينهش عقولنا رويداً، حتى احتلت تلك الأسرار المخفاة أفكارنا ولم نستطع إخراجها رغم محاولتنا لذلك، كدنا نكشف بزلات ألسنتنا التي ضجرت من الكتمان، فكم من كلمة غرقت في أجوافنا خشيةً من المجهول، وكم سؤلاً ابتلعتُه حناجرنا بعد أن كان على أطراف ألسنتنا، حتى أننا لا ننسب بينت شفةٍ عن أبحاثنا بصوتٍ مسموعٍ بين بعضنا البعض فنحن لا نعلم إن كنا مراقبين أم لا، لقد عرفنا من بعض الكتب عن شدة حذر شعب الماغلان، وفطنتهم أيضاً، والأهم من ذلك، أنهم ينعنون أنفسهم بمتجري القلوب.

وفي ذلك اليوم التي بات مظلماً بعدما أُغلقت كل منافذ الضوء إلى المكتبة حدث ما لم يكن في الحسبان، فبينما كانت ريا تحضر كتاباً من أحد الرفوف المزدهمة؛ انهالت حفنةً من الكتب الثخينة تتدافع إلى الأسفل بقوةٍ رغم ضعف الجاذبية هنا، فنحن نضع بعض الحجارة في أسماننا لكيلا نطفو، هذه الجاذبية تناسب الماغلان تماماً، وكان هذه الأرض خلقت لهم، وها هو سيل

الكتب ينهال على رأس ريا الذي شرع ينزف، ولكن لحظة، ما الذي كان مُخبأً خلف هذه الكتب؟، ما هذا الذي وجدناه بالضبط؟، أريد أن أفهم.

احتل صخب المكان صوت صرير مصراع الباب الذي فُتح للتو، بدا الخوف من هذا الزائر جلياً على ملامحنا حتى قبل أن نعرف هويته، فأتانا ذلك الصوت الذي حمل الرقعة في طياته قائلاً: "لماذا كل هذا الرعب، نحن لا نلتهم البشر."، إنها ستيتلا، "صاحبة أرق قلبٍ على هذه الأرض"، هذا ما اعتقدناه جميعاً، دنت من الرفوف بهدوءٍ ووقع خطواتها قد عزف مقطوعةً من لطف، كانت تخطو بخيلاءٍ لم يخلُ من التواضع الذي ما زادها إلا وقاراً، وعندما وصلت إلى الرف التي سقطت منه الكتب تحولت ملامحها في برهةٍ لتسكن الدماء وجهها وهي تصرخ بجزعٍ: "انسوا ما رأيته أعينكم قبل قليل، انسوا أمره، ولا تمسوا هذه الكتب مجدداً، وإلا ستندمون."، وخرجت بخطىٍ أصمّت أذناي بوقعها القاسي، لقد انقلبت الموازين رأساً على عقب، تجمدّت أضلعنا لبرهةٍ قبل أن تأتينا المصيبة التالية، تناهى إلى مسامعنا صوت سقوطٍ ذا وقعٍ مخفيٍّ، وكيف نسينا ذلك؟، التفتت بالكاد لأتأكد من صحة توقعي، إنها ريا قد أغشي عليها واستسلمت لسقوطها بعد أن رسمت ذلك النهر الأحمر الصغير لتترك وحوش الفرع تنهشنا مجدداً دون هوادة.

اصطحبنا رياء إلى العيادة الطبية حيث توقف النزيف، وبينما نحن هناك دار حديثٌ بيننا وبين الطبيبة "فيكتا" ومساعدتها "ماري" كان كفيلاً ليبعد ستار الجهل عن أعيننا، لم يكذب الماغلان في وصف أنفسهم بـ"متجري القلوب"، فبحسب كلام الطبيبة كان لهذه الأمة ماضي حافل على هذه الأرض.

أفاقت رياء بعدما تم تقطيب جرحها الكبير نوعاً ما، ودنت من المرأة التي بدت فيها الخدوش التي أصابت ملامحها جليةً جداً، فبادرت بالسؤال وهي لا تكف عن تحسس جروحها بصدمة: "ما الذي حصل؟، لماذا غضبت ستيتلا إلى تلك الدرجة؟، هل غضبها كان له علاقةٌ بما ظهر خلف تلك الكتب؟، يبدو على ذلك الشيء أنه مهمٌ ولكن ليس إلى درجةٍ تجعلها تتخلى عن وقارها من أجله، نحن الذين حسبناها طيبة، مخادعة"، محقة، لقد حسبناها طيبة، ولكنها من الماغلان بعد كل شيء، لقد كانت رياء الوحيدة التي رأت ما خلف تلك الكتب بوضوح، لكنها لا تستطيع البوح لنا، فإن لم نكن مراقبين سابقاً فسنكون مراقبين الآن.

بينما كنا نحن غارقين في بحار أفكارنا الصامتة بادرت الطبيبة فيكتا بالسؤال عن سبب إصابة رياء، فكانت إجابتي التي فتحت علينا باب حديثٍ غير من أفكارنا الكثير: "كانت تجلب كتاباً من رفٍ في المكتبة فانهالت الكتب على رأسها وحدث ما حدث، لكننا أيضاً حُظرنا

من دخول هذه المكتبة مجدداً. "، فأجابت الطبيبة بصوتٍ تدثر بالهدوء والغموض في آنٍ معاً: "لابد أنه الرف السادس عشر، محظوظين لنجاتكم يا رفاق"، ماذا؟، محظوظون لنجاتنا؟، هل كان يجب أن نهلك أم ماذا؟، كدت أبادرها بتساؤلاتي قبل أن تستوقفني قائلةً: "وأما عن الطيبة في هذه الأرض، ستجدونها فينا للحظاتٍ فقط، وستضمحل رويداً لتترككم تواجهون جنوننا وقسوتنا وحدكم، لكنكم إن بحثتم عن الطيبة الأبدية هنا، ستجدونها في شخصٍ واحدٍ فقط، فينيكس."، قُطعت كلمات الطبيبة بصوت مساعدتها الشابة الحاد وهي تقول والاستهزاء ملء شديقتها: "فينيكس؟، تقصدين أحقق، فقد تخلى عن دراسته ليساعد أمه التي وافتها المنية دون أن يستطيع الحراك ساكناً ليجرّها للحياة، لقد أضاع نفسه من أجل فانية، وما زال يفضل الآخرين على نفسه، ألم يتعلم من درسه؟، أوليس فطناً كما تدّعون؟، أين الفطنة بإهمال الروح والعقل من أجل البقية الذين يمتلكون خاصتهم أيضاً؟، هناك عقولهم التي آذته قبلاً وأذاقته العذاب ولكنه وبكل بساطةٍ سامحهم، مجرد أحقق."، احتقنت الدماء في وجهها وهي تصرخ بانفعالٍ شديد، فكما كنا نفكر جميعاً "هذه الفتاة قاسية، قاسيةٌ جداً."

باتت أيامنا رتيبةً دون الغوص في بحور تلك الكتب الغريبة، شرعت أشعر بالنقص فأنا لم أعد بحاجةٍ

لارتداء النظارة مجدداً، وبتّ أشعر بالوحدة بعد أن أخذت ريباً إجازةً لمدةٍ لتتماثل للشفاء التام، ولتقتل أشباح الصداع الناجم عن جرحها، مرت اللحظات علي كالدهور، شعرت بالملل يغزو المكان، وددت أن يحدث شيءٌ خطيرٌ على هذه الأرض ليمزق ضباب الرتابة الذي أُسدل علينا، لم أعلم قطّ أن تمزيق هذا الستار سيودي بجبال السلام اللامرئية التي أحاطت بنوبس باغو، ففي ذلك اليوم الروتيني الأخير اشتعلت نيران المصائب، فقد أغشت تلك الأضواء الحمراء أبصارنا، وكان نوبس باغو كانت تشتعل حقاً، كنا نعمل في ذلك الوقت قبل أن يتم استدعاء الجميع إلى مركز هذه الأرض من قبل ذلك المذياع ذا الصوت المهيب، وشرعت عواصف الحروف تنهال على رؤوسنا دون هوادة، فقد كانت كلمات العالم "لوكاس" جليةً جداً حين أردف قائلاً بذلك الصوت الذي أسرّ لنا باقتراب الخطر الذي سيفشي عنه لوكاس بعد هنيهةٍ كانت كافيةً لسحق قلوبنا من شدة القلق: "ستنتهي نوبس باغو قريباً، ونحن لا نملك أدنى فرصةٍ للنجاة، فاسترقوا نظرةً قصيرةً إلى تلك السماء التي ازدادت توهجاً بسبب شروع اندماج مجرتنا "درب التبانة" مع المجرة المجاورة "أندروميديا"، لم يكن ليحدث ذلك الاندماج قبل أربع مليارات سنة، ولكن التجاذب قد تعلق بشدةٍ في الأونة الأخيرة لينهي الهدوء في عالمنا الصغير وينهي عالمنا الصغير نفسه أيضاً، ولسوء الحظ، رغم بحثي منذ

زمنٍ عن أرضٍ أخرى نرسو إليها لنحيي مستقبلنا الذي حماه أسلافنا طويلاً ولكن دون جدوى، لم أجد تلك الأرض التي تناسب وظائف أجسادنا الحيوية، وبكل بساطةٍ نحن فانون، إن انتهى أمرنا في اليوم أو في الغد، لن يشكل ذلك فارقاً، فسنتهي أخيراً رغم كل جهودنا الناجحة منها والفاشلة في النجاة، فاستسلموا لأشباح الجِمام التي تجتمع حول أرواحنا أيها الماجلان، فلا طريق لنجاتنا الذي ضقنا ذرعاً ونحن نبحت عنها منذ قدومنا إلى هذه الحياة، ودعوا هذا العالم، فسيفنى في أي لحظةٍ حتى دون أن نشعر بذلك، فكفانا عند هذا الحد، سنقرض."، تجمدت الحشود على حين غرة، لم يستطع أحدٌ النبس بينت شفة، طغت أشباح الصمت المهيب على المكان محدثةً في أنفسنا جذوات الذعر التي أبت الانطفاء، وشرعت العبرات بالانبثاق على وجناتنا التي ذبلت حمرتها من أثر الصدمة، فتلك وجوهٌ قد أصفرت، وأنامل قد فقدت دفاها لتترك على كل ما تطؤه بصمات باردة، إنها نهاية هدوء الماجلان وقوتهم، نهاية متحجري القلوب، خائفين من أشباح الجِمام التي ستتنقض عليهم واحداً تلو الآخر لتُفنيهم على بكرة أبيهم، أفكر هكذا وكأن الموت لن يخطف روعي أنا أيضاً، ولكن لمَ الخوف؟، نحن سنذهب إلى الله، الذي وسعت رحمته كل شيء، فمن ماذا نهلع؟، لا يمكن أن يلتهب الرعب في أوصالي إلا لسببٍ واحدٍ فقط، ألا تكون قصتي قد انتهت هنا.

- ١١ -

تيم

وكأنني مجرد حصة، تدفعني رياح الحياة حيث تريد،
 فها أنا هنا الآن على هذه الأرض العجيبة بين حفنة من
 المستسلمين لا أدري ماذا أفعل، لم يمض الكثير على
 توبيخنا من قبل أولئك القساة الضعفاء أمام أطيف
 الحمام، فأين ذهب جبروتكم أيها المتكبرون؟، ترهبون
 النهاية؟، أين ثقتم بعلمكم الذي بذل أجدادكم قصارى
 جهدهم لكي يصل إليكم وتورثوه بدوركم إلى جيلكم
 القادم؟، لقد ضجّت الأجواء بنواح الحشود، ووقفت بين
 العبرات ساكناً عاجزاً عن فعل أيّ شيءٍ لأجلهم، كدت
 أصدق ما يتفوهون به "سينتهي العالم الآن" لولا
 صراخ السيد ياقوت الوثائق وسط أصداء الأنين
 المستسلمة قائلاً تلك الحروف التي خلقت من يقينٍ قد
 اختفى داخل هذا الهرم طويلاً فهو كنزٌ يستحق الإسرار
 به، لكن في حالنا هذا فالأمر يستحق الإفراج عن
 غمامات تلك التي أمطرت علينا بالسكينة، ننهلها رويداً
 فتخمد نيران الخوف التي اشتعلت فينا طويلاً:
 "سننجوا، فنحن نخفي في جعبتنا ما يقينا من أطيف
 الموت التي كادت تخرق قلوبكم الضعيفة، لدينا علمنا
 يا سادة، ولدينا اليقين بالله فهو لن يخيبنا أبداً إن شاء
 الله، أنتم تعرفون هذا، طريق النجاة ليس بذلك الطول
 ولكنه صعب، ولكن منذ متى ونحن نهاب الصعاب؟"،

علت هتافات الحشود معنة الصمود والمحاولة للنجاة،
 فهنا أم تكفكف عبرات طفلها التي تراحمت على
 وجنتيه الصغيرتين، وذلك الكهل الذي ألقى حزنه بعيداً
 وتقدّم لعله يمدّ يد العون لفريقنا الذي سيكون السباق في
 البحث عن طريقٍ للنجاة، لحظة، لقد دنا ذلك الكهل من
 فينيكس وهمس بضع الكلمات في أذنه، ما سر هذا
 الفتى؟، الجميع يحترمه رغم قسوتهم وطيبته، فهذا هو
 هنا بالكاد استطاع حبس عبراته التي تراحمت في
 أجفانه تآبى الخروج لكيلا تلوث سعادة هذا الحشد
 وحماسه، تقدمت إلى الفريق الذي تحولق أفراده حول
 السيد ياقوت وقد أفعموا بالحماس من وقع كلماته التي
 أصابت بيت القصيد تماماً، وعندما وصلت إلى هذه
 المجموعة الصغيرة احتلت صرخات فلمة أذان الجميع
 فكادت تصمّمهم من شدتها وهي تقول: "احتفظوا باليقين
 لأنفسكم، لدي طريقة للنفاذ بجلدنا من هنا!"

واحتلت الفوضى الأجواء، حتى أن أحداً لم يلحظ ألم
 فلمة وهي تعتصر رأسها ببنانها تحاول السيطرة على
 صداها فالوقت ليس مناسباً لذلك، انهالت على رأسها
 صورٌ من عينيّ من يحمل حمض قين النووي ستكون
 سبب نجاتنا وكشف ستار الأسرار التي أسدل على
 أعيننا طويلاً، وعندما استعادت فلمة جزءاً من تركيزها
 قالت مشيرةً بإصبعها المتهم إلى ذلك "الفتى" كما نعنته
 والانفعال قد اشتعل في مقلتيها الحمراتين: "أيها

الأحمق، ألا تعلم أنك مراقب؟، أنا أرى من خلف إحدى الكاميرات جرتك."، ماذا؟، وأحاطت الصدمة عقولنا كغماتٍ سود، خاصةً ريان الذي جرى إلى غرفته مسرعاً رغم إصابته التي مازالت خطيرةً وأليمةً عليه، يضغط على أسنانه ويحتقن وجهه بالدماء، يردع نفسه من الصراخ بصعوبة، أسرعنا خلف خطا ريان الذي شرع بالنبش بين حاجياته بحثاً تلك الكاميرا التي قالت عنها فلمّة، وبينما كان ريان غارقاً في قلقه تنهّى إلى مسامعي صوت ماريّا وهي تقول بخفوت: "مراقب، وكيف نسينا أنك كذلك؟، ولكن كيف استطاعوا فعل ذلك على أيّ حال؟، وكيف سقطت الكاميرا هنا؟، ألا يجب أن تثبت على عنقك أو بين شعيرات رأسك؟"، وفي هنيهةٍ صرخت والغضب ينهال مع حروفها قائلة: "أيها البغيض، إن كنت تسمعني فأعطني إشارة، سنعمل معكم أيها الحثالة."، وتتهدّت بغضبٍ معنّةً عن بدأ العاصفة، فها هي تلك الدمية التي تحملها في العادة تشتعل على حين غرّة، أخدمت النيران بسرعةٍ قبل أن تلتهم دميّتها الصغيرة وبدأت الصدمة جليةً على ملامحها حين قرأت لنا كلمات قد وجدتها على الدمية ولم تلاحظ أمرها من قبل: "إنها دمية جدتي، ماريّا أمازلت تملكين هذه إلى الآن؟، بالمناسبة، إن عائلتنا تفتقدك بشدة، لقد كانوا حزينين قبل أن أهرب أنا أيضاً، أعرفتي من أنا؟، ذلك ليس ضرورياً، فقط من الجيد أنك بخير، أيتها الرّاشدة الحمقاء."، ماذا الآن؟، ألا

تكفي الصدمات التي مررنا بها إلى الآن؟، لغزٌ آخر؟،
سحقاً.

ولم تنتهي عند هذا الحد أبداً، نريد معرفة الحقيقة كاملةً
مهما كلف الأمر، قلت بعفويةٍ لم أعلم أنها ستكون
الخيطة الذي سيقودنا إلى وجهتنا مستفسراً باستهزاء:
"أهذه الإشارة التي كنت تتحدثين عنها؟." ولم أتوقع
الإجابة وتفاجأت بصاحبها، "هذه إشارتي، ألم أكن
مقنعاً بما فيه الكفاية؟."، ذلك الصوت المستهزئ
الصادر من هذه الدمية الصغيرة لابد أنه من يراقبنا،
هناك صلةٌ ما بين دمية ماريا ومراقب ريان؟، يبدو أن
توقعي كان صحيح، أثبت ذلك ريان حين ردّ على ذلك
الصوت الصادر من الدمية وقد بدت الدهشة جليةً على
ملامحه وكأنه قد نسي أمر كل ما يحدث قائلاً: "داني،
إنه أنت، كيف تستطيع الاتصال بالكاميرا ومكبر
الصوت ونحن على هذا البعد؟، أنت عبقرِيٌّ يا فتى."،
واغتيل فرح ريان بصوت ريا وهي تصرخ فجأةً
بانفعال: "داني؟، كيف نجوت يا هذا؟، وهل نجا البقية
معك؟، إن لم تكونوا أنتم من دمرتم عالمنا وهربتم
تاركين فئات الأرض لبنات وردان ناسين أمرنا، كما
اعتدكم، حثالةٌ منافقون."، وبدأت العبارات تتسلل إلى
وجنتي ريا اللتان اصطبغتاً بحمرةٍ خفيفةٍ من شدة
الانفعال، وشرعت الشعيرات الدموية تظهر في زوايا
مقلتيها أيضاً، ما الذي يجري هنا؟، لا أستطيع فهم ما

يحصل، احتججت عليهم ليتهم يتحدثون ولكن دون أدنى جدوى، فريان قد شرع باستجواب ذلك المراقب "داني" دون أن أفهم كلمة واحدة من حديثهم الشيق كما يبدو، وريا بالكاد تستطيع كبح عبارتها التي أخفت خلفها الكثير من الألم، لم يستطع أحدٌ تهدئتها فنحن لا نعلم سبب ذلك الحزن، وماريا قد احتقن وجهها بالدماء وهي بالكاد تستطيع كبح نيران غضبها التي اشتعلت فيها وأبت الخماد، والسيد ياقوت وميسان وفلمة غارقون في بحور حيرتهم كحالي تماماً، لقد نسينا أمر نهاية العالم، لقد تجاهلنا مهمتنا، فقد كنا معلقين نجاتنا بخيط مراقبنا الذي يبدو أنه ليس في صالحنا، فهو "منهم" بعد كل شيء، أولئك "الحتالة المنافقون" يبدو أنهم خطرون بحق، أريد معرفة كل شيء الآن، فأنا أريد مدّ يد العون لحل هذه المعضلة أيضاً، فإن كان أحد أعضاء فريقنا يعاني من مشكلة، لن تكون مشكلته وحده، إنها مشكلتنا كلها وسنحلها معاً، نحن فريق المهمة الواحدة والعشرين، خمسة أعضاء وروحٌ واحدة.

- ١٢ -

داني...

بيدو أنني أستجوب الآن، وخلفي قد حلّ الهدوء ف" بروكسيما سنتوري بي" كوكبٌ كبيرٌ يتسع للفريق بحيزٍ صغيرٍ منه، أنا عضوٌ مستجدٌ في هذه المنظمة التي فجرت الأرض ونقلت الأعضاء إلى هنا، فكما ندعى نحن ب"المختارين" من الأنام، اختارتهم الحياة لينجوا دوناً عن سواهم، وحقاً نحن نستحق هذا، فمن أهم ركائز هذه المنظمة السرية الطيب وويليام المتواري خلف الظلال في الآونة الأخيرة لأسبابٍ أجهلها، وأوليفيا المسؤولة عن معظم المهمات التي تصدرها المنظمة، يبدو أنها كانت عضوةً قديمةً حتى استطاعت الحصول على ثقة المنظمة، فلأعضاء القدامى مزايا، الطيب وويليام هو العضو الوحيد الذي لا يحمل كاميرات مراقبةٍ مخبأةً فيه، يثقون به، ولكن ماذا؟، مجرد منافق، فهو وبكل بساطةٍ كان السبب لفشل إحدى أهم المهام التي كلفنا بها، لا يعلم أحدٌ فعلته سواي، فأنا كما يدعونني "ذا المليون عين" المراقب هنا، فنصب عينيّ الصغيرتين شاشاتٍ تظهر كل ذرةٍ يراها من زُرعت به إحدى الكاميرات التي اجتازت المسافات بتطورها، فها هو ريان الآن في غرفةٍ صغيرةٍ مع فريقه الصغير يمطرنني بتساؤلاته التي لا نهاية لها، أستطيع إجابته من خلال دمية ماريا التي زرعت بها

مكبرات صوتٍ وكاميرا أيضاً عندما وجدتها مع طفلها "جورج" عندما اختطفه ريان، لقد كان متمسكاً بها بشدة رغم تخديره، كان يعرف كل المعرفة أنها الأعلى على قلب والدته، فلا أستطيع نسيان تلك الليلة الدافئة الأخيرة قبل أن تشتد عواصف القلق التي احتلت سماء المنفى الذي كان منزلي أنا أيضاً قبل أن أهرب من حواجز الخوف تاركاً خلفي خوفين في قلوب أفراد العائلة الكبيرة، فكنت طفل الربيع العاشر عندما بدأت رحلتي لأواجه هذا العالم الكبير، هذا العالم الذي نفى جدتي وسلبها حركة ساقها، أخبرتني ذات يوم أنها كانت تعشق الركض في صغرها، وقد سلبت ما تحب، كانت دائماً ترهبني من هذا العالم القاسي ولكنني لم أبالي يوماً بما تقول، فقد كان تفكيري منشغلاً بتلك الحروف التي نطقها أمي عندما ضجرت من قلق الجميع على ماريّا الطفلة الهاربة: "يبدو أن الحياة هناك راقتها، كانت ستعود لو لم تكن كذلك"، لقد نست أمر كبرياء تلك الفتاة التي فاق كل شيء، كانت ماريّا في صغرها تفضل الموت على أن يخدش أحدهم جدار غورها التي اختبأ خلفها لطف هذا الفتاة الصغيرة لتصبح بعقل راشدة ولكن حمقاء، كانت تآبى التحدث إلينا عندما تخسر النقاش مع أحد الكبار، فهي "الراشدة الحمقاء" بعد كل شيء، التي أضحت غريمتي الآن، فهي تبغض هذه المنظمة وكل من يعمل فيها، سوى ريان الذي أرغم على ذلك، كان يبغضنا بدوره أيضاً،

ألا يعلم أننا من أنقذنا البشر من أنفسهم؟، ولم نبيدهم من فراغ، وقد رمينا بقايا ذلك الكوكب الهرم لبنات وردان وابتعدنا إلى بروكسيما سنتوري بي حيث لا يؤثر فينا تجاذب المجرات الذي أخذ يتسارع في الآونة الأخيرة في نجوم ذراع حامل رأس الغول وذراع الجبار، أعرف ريان جيداً، مجرد فتى أرغمة والدته على الانضمام إلى المنظمة فتجاهل أوامر كلاً من المنظمة وأمه، وكان صديق ابن الطبيب ويليام قبل أن توافيه المنية في الرحلة العشرين، وصار ذلك الفتى الكئيب بعد تلك الحادثة، ولكن لم لم تساعد المنظمة أعضائها للنجاة؟، أجزم أنها كانت تستطيع فعل ذلك، لقد حدث الكثير قبل أن أنضم إلى المنظمة، ورغم كل ما عرفته من أصدقائي من الأعضاء وخاصة ريان مازالت هناك الكثير من النقاط التي لم أفهمها بعد، لا أعلم لم ابنة الطبيب ويليام "ريا" شقيقة آدم هي الوحيدة التي لم تنضم إلى المنظمة من أبناء الأعضاء رغم معرفتها بأننا "جماعة" نعمل فيها أنا والطبيب ويليام والسيدة أوليفيا وترانا أيضاً أشراراً أو كما قالت لي بصوتها الملهب غضباً في المرة الأخيرة: "حتالة منافقون"، يبدو أن الجميع يستحقونا وكأننا أشراراً حقاً، كنا نصلح البشرية أيها الحمقى الطيبون، وليس كما تعتقدون، تابع استجوابك صديقي، ألا تريد معرفة كل ما تجهل؟، ودع الـ"نوبس باغو" خاصتكم تُدمر!.

- ١٣ -

ماريا...

إنها فوضى حقيقية، مازالت تحوم في الأجواء
 كالغربان وتُسقط على رؤوسنا من ريشها الأسود،
 تسكن تلك الفوضى عقولنا فتدمرها وتغتال هدوء
 أفكارنا، لن تصمت الغربان المزعجة قبل أن تسلبنا
 السيطرة، الرحمة، أودّ أن أهدأ ولو لوهلة، فقد ضقت
 ذرعاً، ها هي المفاجآت تنهال علينا كالسيل دون
 هوادة، لم أحظى بقدرٍ كافٍ من السكينة في أيامي إلا
 وتلاحقت المصائب علي تباعاً، فوداعاً أيها الهدوء قبل
 العاصفة الهوجاء، سأفتقدك، فغالباً لن أحظى بك
 مجدداً.

مرحباً بالنهاية المتمثلة بتجاذب المجرتين السريع، يبدو
 أن هذا ما أراد الماجلان النجاة منه، إنهم محقون
 بخوفهم ذلك، فأنت أيها الحمام وحشٌ قد التهم أرضنا
 وأباد البشرية على بكرة أبيها، وماذا أيضاً؟، وحوشٌ
 آخرون مازالوا أحياء يرزقون، ماذا الآن أيتها المنظمة
 التي أودت بي إلى وادي الجريمة السحيق؟، ألوثتِ
 أناملك الخشنة بدماء البشرية جمعاء؟، ومن غير
 المتوقع، لقد وفي المنافقون بوعودهم، فقد نجا كل من
 لطح يده بدماء إنسٍ بطريقةٍ أو بأخرى، وذلك الخائن
 الصغير، داني الذي عهدته طفل الربيع العاشر
 المشاكس، شقيقي الذي عرفته لطيفاً بكلماته وحنوناً

بتصرفاته، الصغير ذا الصوت البريء عندما يقول ساخراً "الراشدة الحمقاء"، كنت أعشق كل تفاصيل هذا الطفل البريئة التي هشمته الأيام دون أن يشعر، هو لا يعلم أنه قد انضم إلى تلك المنظمة التي "تمطر البشر" كما كنا نقول عنها في صغرنا، المنظمة التي سلبت من جدتي حريتها عنوةً، أولئك الوحوش، كانت دائماً ما تروي لنا عن تجربة المؤسسة الفاشلة التي أنشأتها قبل أن تُرسل بواسطتها إلى المنفى، فكما عرفت من مصادر عدة أن تلك المنظمة قد أسست للتخلص من المجرمين ليعم الهدوء في العالم من جديد بعد عقود من اشتعاله بنيران الحروب واختناقه ببارود البندقيات المتناثر، البارود الذي أصبح أوكسجيننا من بعد صممتنا عن الجريمة التي تضخمت إلى أن احتاجت البتر، كانت جدتي تشاركني الرأي فقد أنشأت هذه الجماعة الصغيرة التي صنعت مع تعلقها تمرداً على المؤسسة، وقد ألقوا بها إلى منفا الصغير الذي أصبح مقبرة ضحاياهم بعد أن ألقوا بسيطرتهم على المؤسسة بكفٍ تحمل مسدساً يُرفع في وجه كل من يعيق سير خطة تطهير البشرية التي اجتمعوا عليها جميعاً، وتضخمت تلك المنظمة بشكلٍ مرعب وأشتهرت بسفك الدماء حتى أصبح العالم يسعى للتخلص منهم فهم المجرمون الآن، ولكن من الأحق الذي سيعيد تنفيذ تلك الخطة الفاشلة والوحيدة لكبح الإجرام؟، لا أحداً، وتركنا تلك الأرواح البريئة تهاجر إلى الجانب الآخر

على حين غرّة لأننا أبينا إعادة الماضي ونعتنا هذا
 الفعل بالحمق، كم نحن حمقى، وكم كان داني جاهلاً
 بنوايا هذه المنظمة، أينتم من العالم القاسي لجدتي مع
 الذين أودوا بها إلى أرضنا الشبه فارغة قبل أن تحظى
 بالراحة أخيراً، لقد ساهمت بقتل عائلتك أيها الأحمق،
 انظر من نعتني بالحمقاء، أنتم لم تطهروا العالم من
 البشر الملوّثين، أنتم أنهيتم عصر البشر بذاته ونسيتم
 أنفسكم التي لطخت بالسواد، واصبحت جريمتكم جليةً
 للجميع، أعضاء المنظمة السرية، لقد انتهى عصر
 الأسرار، وانتهى عصر الحروب، سنعمل معكم أيها
 الحثالة، فالماجلان وفريقي الصغير يرغبون بالنجاة،
 وسأحقق لهم رغبتهم هذه ولو كلفني ذلك كل ما تركه
 لي العالم من فتات، وستنجو يا داني أنت أيضاً من
 قيود جهلك بمنظمتك، فمازلت ذلك الصغير اللطيف
 مهما غيرتك الأيام، فكلماتك على دميتي يا فتى أعادت
 لي الذكريات، ذكريات طفولتنا الهادئة بعيداً عن
 صخب البشر وشرورهم، ولا تأبهوا لأمرى يا رفاق،
 سأنجو أنا أيضاً، ولكن بطريقتي الخاصة، سأنجو
 بنجاتكم، فهلمي إليّ أيها الأجرام "الأندروميديّة"، أريد
 احتضانك بشدة والاستسلام لأشباح الحمام فقط.

- ١٤ -

ريان...

الكثير من الأيام العجاف مضت دون أن أشعر بما حولي، وأخيراً انقشعت غمامات جهلي، ليس جميعها فمازلت لا أعرف سبب وجودي هنا الآن، أقسم أن لكل ما يحصل معنا سبب، ولكن لا يحق لي معرفته الآن.

أريد تمزيق ذلك الستار اللامرئي الذي حجبني عن الحقيقة بناني المائد، وأنهل الواقع لأروي فضولي المتعطش للمعرفة كالذئب الهائج، ومن قال أن الذئب في لا يعوي الألم؟، وينهش بأنيابه الحادة سياط الحياة، سياط تنهال على جلدي دون رحمة، فها أنا ذا ذلك الأعرج الذي لا يكف عن عزف الانين بصرير أسنانه وآهاته الخافتة، فتي الثلاثة سيقان، رجل القطعة المعدنية، والكثير من الألقاب الأخرى التي اشتهرت بها بين الماجلان، ألا تعطفون قليلاً؟، يا لقسوتكم، أقسى من البشر حتى، ولكنكم قد أخفيتم أخطاءكم برداء فطنتكم فبدوتم أقوى منا، رغم جهلي بالكثير ولكني أعلم كل العلم أنكم من زاويةٍ ما حقاً أقوى منا.

أشعر بالندم ينهش روعي دون هوادة، أندم على الانصياع لأمي في صغري الذي جعلني الآن "عضو المنظمة السرية البغيضة الذي أتدثر بالعار لانضمامي إليها"، أحمل مشاعر صداقتي الزائفة مع ذلك الفتى

الأحمق "داني" كجبلٍ ثقيل، أمضيت برفقته وقتاً ممتعاً، لم يكن صديقاً وحيداً سيئاً أبداً، مثلي تماماً، دون أصدقاءٍ سواي، كنا وحيدين معاً، تماماً كالنجوم المتراسة التي تبرز السماء المظلمة، وحيدون معاً أيضاً.

ولم أنسَ أيضاً أيام الألم والخوف والقلق والفرح مجتمعين، مشاعر تزين أيامي التي اكتست بمغامراتٍ كثيرة، فأنا لولا مشاعري هذه لا شيء، مشاعري المزيفة والحقيقية التي دفعت بي إلى هنا ولحالي الآن، كلنا كذلك، فنحن لسنا صخوراً في نهاية المطاف.

وبكل إيجابيةٍ مني عشت أول ثمانية أعوامٍ لي مبتسماً لأمي التي أخفت عني خطتها الشنيعة، فبعد وفاة والدي الذي لم أعرفه استأثرت أُمي بكل نفوذه لنفسها مدركةً أهمية ما وقع بين يديها، إن لم تكن هي من أودت بحياة والدي طمعاً بكل ما كان يملك أصلاً، لا أعلم كيف ولكنني أجزم أنها من تسببت بكل ما يحصل معي منذ نعومة أظفاري، وبعد أن خسرت حنان جدتي -التي رحلت قبل أن أحتفل ببلوغي السابعة من عمري بأيام- لم أعد أهتم لهذا العالم، اختفت آخر ذرة حبٍ في عالمي الصغير، وكتلك الفتاة التي أتت مع جدتي لتقيم برفقة عائلتي المهشمة وددت الهرب، ماريا التي استطاعت المضي قدماً رغم وحدتها القاسية، تمنيت أن أحل محلها ولو للحظة، بشريةً حطمت كل القيود التي

حجبتها عن تحقيق ما تسعى إليه بأناملها العارية التي لطالما مسحت قطرات العرق والدموع، كالمعجزة تماماً، كانت التجربة الناجحة للهرب من وحوش هذا العالم على خلاف شقيقها الأبله داني الذي انغمس في الآلات حالما تجاوز عتبة منزله الصغير ناسياً العالم من حوله، وخُذع دون أن يشعر، فأصبح عضواً في المنظمة حيث عرفته حينها، وتعرفت على الكثيرين أيضاً، كآدم قبل وفاته وظله الصغير ريا، سُلار التي كانت عضواً سابقاً أيضاً قبل أن تُفقد في الرحلة العشرين كآدم تماماً، انطلقوا ولم يعرفوا سبيلاً للأرض بعدها، أخبرني داني ذات يومٍ أن المنظمة قد اختارت الأعضاء المشاركين في الرحلة ولكن بطريقتهم السرية، ولكن لمَ لم تسع المنظمة لإنقاذ أعضائها المهمين أيضاً؟، ألم تكن سُلار ابنة أحد الأعضاء؟، ألم يكن آدم عضواً مجبراً على الانضمام لأنه ابن ويليام مثلي تماماً؟، لماذا لم ينقذوهم إذاً؟، ألا يخشون تمرد آبائهم أو ما شابه؟، هذه المنظمة مزدحمة بالأسرار، لدي سؤال آخر، لمَ لم تنضم ريا إلى المنظمة رغم كونها ابنة أحد الأعضاء وأهمهم كما فعلنا نحن؟، ظلت هذه التساؤلات عالقةً في سقف واقعنا طويلاً قبل أن يؤول لها أن تسقط على رؤوسنا تبعاً تاركةً فينا إجاباتها السامة، فها هي عبراتنا تستعد للقفز عند إعلامها بالإشارة، إشارة تحطم قلوبنا، ولكن ذلك لن يحصل الآن، فنحن نحتاج لأن ننجو بالجميع أولاً.

لقد مرّ الكثير على ذلك اليوم الأسود، حين حُقت بذلك السائل الأصفر الذي سلّمني و عيي لمدةٍ ليست بطويلة، ولكنها كانت كافيةً تماماً لزرع كاميرات المنظمة فيّ، كنت طفلاً مشاكساً حينها فخشيت أمي أن أكشف أمرهم بطريقةٍ أو بأخرى، لقد عشت بين أطراف الأعضاء الأشرار مرتاعاً في تحركاتي المراقبة مهما كانت، وسكنني الحذر فرحبت به بحبور، حتى لاحظت من أترابي الأعضاء أنهم يتصرفون بطبيعيةٍ كي لا يثيروا الشبهات، فهم أطفالٌ في نهاية المطاف، وددت أن أكون بهدوئهم ولكن الخوف أبى مغادرة أفكارى، أمضيت مع الأعضاء الصغار جلّ أوقاتي، كنا سبعة، أبناء أعضاءٍ هنا أرغنا على الانضمام وترك حياتنا الهادئة تذهب أدراج الرياح، كان داني ابن أحد الأعضاء بالتبني، أكبرنا آدم وأصغرنا ريبا أو "ظل آدم الصغير" كما كنا ندعوها، كانت ترافقنا طوال الوقت رغم عدم انضمامها للمنظمة وعدم معرفتها بمخططاتها، هذا ما أعلمنا به آدم لكيلا نبوح لها بشيءٍ أقسى من أن تستطيع السكوت عنه، فقد كانت في قمة العند والفضول والتمرد أيضاً، فإن عرفت بما يحدث حولها لن تتكتم عن الأمر، فإما أن تنهي زمن سرية المنظمة، أو تنتهي هي غير أبهين بوالدها أو شقيقها الذي أضحي عضواً مهماً بعد أن تم اختياره وسُار والآخرين من قبل وكالة الفضاء ليكونوا رواد الرحلة العشرين لاستطلاع ذلك الجسم الغريب المتوضع على

مقربةً من مركز مجرة درب التبانة، وفي نهاية المطاف كانت نهاية هذه المهمة مأساويةً محطمةً توقعات المنظمة بتقدم أعمالها عن طريق استغلال أهمية الفريق المألف من أعضاء فيها، رحل الجميع، ورحلت مع أرواحهم ابتساماتنا، فقد خسرنا أنا وريا وداني عطف وحنان إخوتنا الكبار، آدم، سُلار، أورورا، وآلن، وأضف إلى ذلك تهشم قلب ريا من آلام الفراق المتوالية على رأسها تباعاً، فها هو آدم قد ذهب إلى والدته تاركاً شقيقته لتتحف بوحدها وتغرق بشجنها وخوفها من العالم المظلم، لم تكن زيارتها لقبر أمها كافيةً لتوصيها به أبداً، كانت تحتاجه بشدة، ذلك الكتف الذي لطالما اتكأت عليه وتركت كل أعدائها له وكأنها لا تستطيع مواجهتهم بنفسها، كان ذلك النور الذي استمدت منه لمعان ضحكاتها التي كانت تضيء على الأجواء قبساً من التفاؤل، لقد كان بطلها، بل بطلنا جميعاً، كيف صممتنا عن موته هكذا عندما لم تقو ريا على الكلام، ولكن ما باليد حيلة، لم تقو ريا على البكاء، لم تقو على الحراك قيد أنملة دون مرشدها، لقد غادرت طيفها عالمنا برحاً من الزمن تاركةً لنا زمام أمور حياتها، فظللت أجزها من كفها المائد إلى الحياة مجدداً حتى استعادت تركيزها أخيراً، كان ذلك في يوم دفن السيد ياقوت الذي كلفتنا المنظمة باغتياله، لقد تولت أمي مهمة إقناع مارييا بفعل ذلك عنا، فقد اختطفت جورج عنوةً وأبقته تحت رعايتنا أنا وداني

فوجدنا معه تلك الدمية القديمة التي نقش عليها داني كلماته الكثيرة وزرع فيها مكبراً للصوت ليتواصل مع شقيقته حين يستعد للكشف عن حقيقته لها، كان جورج ذلك الطفل النائم اللطيف الذي لم يستحق ما قاسته روحه الغضة، فقط لكونه ابن ماريّا الهاربة المقيدة بأوامر أمي التي سيطرت عليها بجبروتها الذي استمدته من المنظمة كالعم وويليام تماماً، السيد وويليام لم يكن بذلك الشر الذي يظهره للملأ أبداً، ولكنه جيد التمثيل، لا أحد يعلم سبب كل ذلك، إلا يجب أن يكون طبيعياً قدر الإمكان لكيلا يثير شكوك الحضور، فما دافعه المخفي خلف جميع أقنعتة؟، حقاً أريد أن أعرف، وأريد أن أرى السيد وويليام الحقيقي يوماً.

حضرت دفن السيد ياقوت رغماً عني، لم أستطع تحمل ما حصل حينها أبداً، ذهبت إلى موقع الدفن مع العم وويليام وريا بينما انشغلت أمي بمناقشة الخطة مع ماريّا، لم أكن راضياً عما حدث، لكن يجب أن أهدأ قليلاً أمام عائلة الطبيب لكيلا أفجعهم أكثر، فها هي ميسان ابنة الفقيد التي سترافقنا في الرحلة قد سُلبت كلماتها التي هدأت من روعنا سابقاً، اتجهت ريا لتواسيها فور وصولنا إلى الموقع وكدت أتبع خطواتها السريعة لولا استوقاف أمي لي وهي برفقة السيدة ماريّا التي بدا الوهن جلياً في ملامحها التي كادت تبوح بذنبها الفظيع الذي اقترفته، لقد ضاق ذرعي وشرعت

أبكي كالأطفال، لقد اكتفيت، لمَ تفعلون كل ذلك؟، تدمرون وتدمرون وتدمرون دون أدنى رحمة، صرخت داخلي وطويلاً حتى قُتل الذئب فيّ، وددت الصراخ بشدة، وفعلت، صرخت بكلمات أمي التي أخفت الكذب في طياتها حين قالت بنبرتها الخدّاعة: "صدقني أنا أفعل هذا لمصلحتك، فعندما تدمر المنظمة هذا العالم سينجو الأعضاء فقط."، واغتيل صوتي بكف أمي القوي وهو يمنعني عن النطق والتنفس، وكانت كلماتها المختبئة بين ثناياها تذكرني بأنني مراقب، ها هي ماريا تتدثر بصدمتها قبل أن يعلمها العم ويليام عن الكاميرات التي تُزرع فينا، وقد هدأت من روعي قليلاً قبل أن أستعيد رباطة جأشي تماماً لأستطيع الثبات قليلاً أمام الحشود الباكية، لقد كان طبيباً عظيماً حقاً، بالكاد استطعت كبح عبراتي إجلالاً لصبر والده ميسان من بين الجميع، فحتى الطبيب ويليام تخلى عن كبريائه وأقنعتة فجثا باكياً لقبر من اغتيل من قبله، أكان يبكي حقاً أم أنه قناعٌ آخر ليبعد عنه الشكوك؟، وصلتني الإجابة من مهمات ريا الخافطة وهي تقول في غيظ: "منافق"، محقة، فهو لم يذرف دمعاً واحدةً لابنه أو لزوجته حتى، هو لم يبكي خداعاً للحشود، هذه ليست من شيمه، هناك سببٌ آخر بالتأكيد.

رحل الجميع أخيراً وتركوني لعبراتي قرب القبر البريء من الضحية، لم أكن أعلم بهذا قبل أن تهلم إليّ ريا والشرار يتطاير مع كلماتها في الهواء، فقد أردفت بصوتٍ أشعل الخوف فيّ: "إنه منافق، وويليام ذاك، لن تخدعني هكذا، أشح بعبراتك بعيداً ريان، أحتاج مساعدتك."، ماذا؟، لقد نسيت كل ما حدث في لحظة، ما الذي سأساعد ريا به؟، ما الذي تنوي تلك الحمقاء فعله؟، إنها تحمل مجرفة، ماذا الذي يدور في رأسها؟، حجبت تصوير الكاميرات المزروعة فيّ بوشاحي وقبعتي، أرجو أن يكون ذلك كافياً لكيلا يُكشف أمرنا، فهي تنوي نبش القبر على ما يبدو، لا يجب أن يعلم أحدٌ بهذا، وبخطتي البسيطة لن تكشف المنظمة سرنا، هذا ما ظننه حينها، نسيت أنهم ليسوا بتلك البساطة.

دمية؟، ماذا؟، لقد ابتسمت ريا بخبتٍ وهي تقول بصوتٍ اشتعل غرابةً لم أعهد لها على صديقتي الهادئة: "أعرفك جيداً أبي، مجرد منافق."، ولكن من يخدع؟، أليست المنظمة من أمرت باغتيال الطبيب يا قوت، فأين جسده الحقيقي الآن؟، وويليام الخائن وليس المنافق فقط يا ريا، لقد خان المنظمة بعد عقودٍ من الولاء المزيف، أنت عظيمٌ سيد وويليام، ولكن لحظة، إنه حيّ، الطبيب، أقسم، ولكن أين تخفي نفسك سيدي العبقري؟.

تأرجحت التساؤلات في رأسي كالثرية التي أوشكت على السقوط، ستهشم على حين غرة تاركةً آثار

الزجاج اللماع يجرح كل عابرٍ على هذه الذكريات،
 فمنذ بداية رحلتنا في الفضاء السحيق شرع فضولي
 ينهش عقلي دون هوادة، ما الذي يجري حقاً؟، فما أنا
 ذا قد آذيت ساقي بسبب وحوش فضولي التي ثارت
 عند رؤيتي لتلك البيضة الغريبة، لم أعرف أن الندم
 سيكون بتلك الفظاعة وكأنني لم أجربه قبلاً، مجرد
 أحمق، ولكن ذكيّ أيضاً، فلولاى لما نجونا على أقل
 تقدير، فما كانت فلمة ستخرج إلينا من تلقاء نفسها
 المغرورة، وليس ذلك فقط، لقد كشفت لنا الكثير من
 الحقائق برحلتنا إلى نوبس باغو تلك، فما هم البشر قد
 مكثوا في ذلك الكوكب "بروكسيما سنتوري بي"، يبدو
 أنه كان صالحاً لحياة البشر، ولكنهم وبكل بساطة لا
 يصلحون للعيش على هذا الكوكب الهادئ، ولا
 الماجلان أيضاً، فهم متحجرو القلوب رغم كل شيء،
 باستثناء ذلك الفتى فينيكس وتلك الطبيبة الخمسينية
 الحنوننة فيكتا رغم أن الشكوك تراودني حول طبيبتها
 الحقيقية، ولكنني لن أنكر معروفهم مهما مرت الأيام
 أيضاً، ففي يوم عملنا الأول مع حاصدي السُّدم بادرني
 فينيكس بالسؤال عن معضلة ساقي اليسرى، وأخبرني
 أنه سيؤمن لي علاجاً في أقرب وقتٍ ممكن، فقط عندما
 أتلقى الإشارة، كنت أنتظرها بفارغ الصبر كالفلاح
 يأمل الغيث في أغسطس ليكسر رتابة فقره بعمله
 الدؤوب، لقد انتظرت طويلاً ولكن ذلك كان يستحق،
 حتى أتى ذلك اليوم الذي قلب روتيننا في هذه الأرض

رأساً على عقب، كانت سيولٌ من الكتب قد انهالت على ريا تاركةً الدماء ترسم مجراها على الأرضية المزدحمة بالكتب المتناثرة جراء السقوط، وأسقطت شيئاً صغيراً لم يلحظه أحدٌ سواي، ورغم صغر حجمه كان كافياً لأتهد وأقول في قرارة نفسي: "من الجيد أننا قد نجونا بعد كل ذلك، لم تكن أسراراً في نهاية المطاف."، حسبت أن كل شيءٍ أرضيَّ قد ولّ زمانه، ولكن للأسف، مازال لما في راحة كفي قيمة، قيمةً كبيرة، تجيد استخدام أسلحتك ببراعة، داني.

كانت زيارتنا لعيادة الطبيب برفقة ريا في غاية الأهمية بالنسبة لي، قابلت هناك تلك التي حملت حنان جدي وخبرة العلماء والأطباء، لقد كانت تلك هي الإشارة، فقد بادرتني الطبيب فيكتا بالسؤال على انفراد عن الكثير، كانت تعرف بشأني منذ مدة، لقد أخبرها فينيكس بكل شيء، وبحسب كلامها سألتقى العلاج بإشرافها، يبدو أن مشكلة ساقي فظيعة، فبالإضافة إلى الأدوية التقليدية والعملية الجراحية السرية سأضطرّ للمكوث في غرفةٍ للأشعة لمدةٍ ليست بالقصيرة، ربما كانت تعادل الساعتين الأرضيتين في كل يوم ولمدة أسبوعٍ أرضيٍّ تقريباً، كان العلاج سرياً تماماً، لم يعلم به أحدٌ سواي وفينيكس والطبيبة ومساعدتها القاسية ماري التي تستمر باحتقار طبيبة فينيكس ومساعدته الدائمة للورى دون مقابل، اردت أن أعلم سبب كل تلك

الضغينة اتجاه هذا الفتى، ولكن كيف؟، من المستحيل أن أستطيع فهم كهن دماغ هذه الفضائية، كقلمة تماماً أو أشد تعقيداً حتى.

بعد جلسة الأشعة الأولى هبّت أندروميذا على مجرتنا كالوحش، كما هبّت على رأسي الصدمات في حجرة الأشعة السرية، لقد أبصرت الهول والروعة في آن معاً، وتضادت الحقائق والمشاعر داخلي فولّدت زوبعةً جديدةً من الضياع فيّ، تعصف هدوئي على حين غرة ودون هوادةٍ أو أدنى رحمة، لايزال ضجيج الصدمات يصمّ أذني إلى اللحظة، فأولاً كاميرا المراقبة التي سقطت من ريا بوقوع ما في الرفّ السادس عشر على رأسها، لم يشعر بها إنسٌ كل تلك المدة، فالكاميرا التي تواصلت بواسطتها مع داني لم تكن عاديةً أبداً، يبدو أن كاميراتي قد توقفت عن العمل ولكن هذه لا، إن المسافة بيننا وبين بروكسيما سنتوري بي تكفي لتفسر تلف كاميراتي، ولكن ما الذي يفسر عمل تلك الكاميرا الخفية عن الجميع؟، علمت الآن لما لم تُنضم ريا إلى المنظمة، لقد كانت الجاسوس دون أن نشعر، فها قد خُذعت بسرية نبشنا لقبر السيد ياقوت، ولكن لا للأسرار هنا، ستُكشف الخبايا كلها يوماً ما بوجود صديقي صاحب المليون عين، باستثناء بطولة الطبيب ويليام، ستبقى سراً حتى يبوح بها هو بنفسه.

وتزاحمت الذكريات في رأسي في حجرة الأشعة البيضاء الموحشة، شعرت بالموت، بالنهاية، وبالصدمة، فعندما أشحت بنظري إلى خلف الزجاج حيث يقع النصف الآخر للحجرة بدت لي المفاجأة، جثة مشوهة من الصعب تمييز ملامحها رغم التصاقها بالزجاج الشفاف ليتني أفهم ماهية ما حطت عيناى عليه، شعرت بالانتماء لهذا البشري كما بدا لي من لون الجلد المتبقي من جسده المهشم، فالماجلان يتميزون بجلد أزرق تقريباً، ازدادت لهفتي لتلقي العلاج، فلدي هنا زميلٌ جديدٌ، وأيضاً في يومٍ ما سأهرع لنجدة أحدهم وأعدو إليه دون ألم، لقد ذكرتني تلك الجثة بأيام الأطباء على الأرض، بالتأكيد كان هذا البشري طيباً ومتفائلاً، أجزم أنه كذلك، فما كان ليصل إلى ذلك الحد من المقاومة للعيش إن لم يكن.

لم تنتهي مدة الجلسة حتى أنهت أمري، بالكاد نجوت من أطراف الحجرة البيضاء ذات الجثة المتهشمة، كيف سأنتهي من هذا العلاج قبل أن يقضي علي الملل والذعر؟، فحتى مراقبة جثة بشرية لم يعد ممتعاً، وعندما خرجت إلى دفء الشفق هرعت إلى مساعدة الطبيبة فيكتا ماري أسألها عن ماهية ما عثرت عليه وبالكاد أجابتنى، فبعد جهدٍ كبيرٍ عرفت أن هذا البشري في غيبوبةٍ وهو حيٌّ حتى اللحظة، وأنهم قد احتفظوا بأغراضه في حجرةٍ خاصةٍ خشية أن تكون الجثة

حاملةً لمرضٍ معديٍّ ما، وبعد الكثير من الإلحاح استطعت إلقاء نظرةٍ إلى تلك الأعراض عساي أعرف شيئاً عن الجثة، هذا ما رجوته.

بين كل تلك الأشياء العتيقة وجدت ذلك الكتاب الذي وجدت ريباً مثله بين كتب لوكاس، ذلك الكتاب العربي ذا الاسم "المفكرة السوداء" الغريب، يبدو مريباً، أقسم أن الغاز العالم قد أُخفيت بين هاتين الدفتين المهترئتين، ولكنني لم أحظ بكامل صدمتي إلا عند وقوع عيني على تلك البطاقة الشخصية القديمة، لم أفقه ما كُتب فيها لتأطخها بالدماء، حتى ملامح الصورة الشخصية قد شُوهِت كالوجه الحقيقي تماماً، ولكنني أعرف هذا الشخص، أعرفه جيداً، أشعر بهذا في قلبي الذي لن يخيب أبداً.

وسط الحشود ركضت أقاسي ألمي الشديد وأكزّ على أسناني حتى اشتدّ ألم رأسي واحتقنت الدماء في وجهي تاركاً خلفي صراخ الماجلان وتشتتهم بين استسلامٍ وأملٍ في النجاة، خطواتي تلك كانت الأصعب من آثار العلاج الابتدائية التي ستزول قريباً، وكانت الأهم أيضاً، فهنا نحن الآن نحمل حيوات الماجلان بكفٍ راجفٍ وكأنهم جمراتٌ من قعر الجحيم، يجب أن نسرع، إن رماح النجوم ستغثال أرضنا في برهة، ولحسن الحظ، لن يتأثر بروكسيما سنتوري بي بهذه العاصفة الهوجاء، لقد أحسنت المنظمة الاختيار مجدداً،

توليت أمر استجواب داني بنفسي، لقد باح بالكثير حقاً، وأعطى السيد ياقوت الأمر بالشروع بإعداد المركبات للاستعداد للهجرة، وكان المنظمة سترحب بنا بعد كل تلك المدة، لقد كان لأمبرا النصيب الأكبر من العمل، فقد نظم المركبات بحيث تقاوم ضغط النجوم في هذه الحرب حتى نصل إلى بر الأمان، كان لسائر الماجلان أدوارهم ومهامهم الصعبة أيضاً، فهناك لونا قد قاومت الضوء لترصد التغيرات المستمرة في الأعلى، والطبيبة فيكتا والطبيب ياقوت وكلاً من ماري وفينيكس يعملون على مساعدة المرضى ليقاوموا مشقة الرحلة، وأما البقية فهم يشرفون على العمال في البناء والتجهيز لهذه الرحلة المستعجلة والمصيرية، بينما عجزت أنا عن العمل فقد اشتد الألم بي وما عدت أستطيع السير الآن، أخبرني فينيكس بأنني سأستطيع استكمال العلاج في المركبة ولكن لمدة أطول لشح في المعدات الكبيرة التي لن تتسعها المركبة مهما كان حجمها، أشعر بالنقص، الجميع يكفكون عبراتهم ويستكملون عملهم وكان شيئاً لم يكن، فالعبرات رخيصةً مقابل نجات أولئك العاقرة، فماذا لو رأينا السعادة غامرةً فينا وفيهم أيضاً؟، إنهم يستحقون عبرتنا وما أغلى من ذلك حتى.

وفي وسط الحشود المتراخمة وعند بوابات المركبة وقفت لهنيهة قبل أن أركض إلى فينيكس جازاً ساقياً

الغبية خلفي لأعلمه عما اخفيته في خلدي عن فريقي الصغير، "يجب أن نأخذه، تلك الجثة البشرية المشوهة، أرجوك."، وفاضت أنهار عيناى معلناً بذلك عن صدقي فيما أقول وحاجتي الملحة لقوله، قد لا يصل إلى بروكسيما سنتوري بي حياً، ولا حتى نحن نضمن نجاح هذه المهمة لأنفسنا، ولكن لنجرب، لن نتركه لأطيفاف الحمام لتنقض على روحه هنا دون أن نحرك ساكناً لمساعدته، صدمني فينيكس بخطته المسبقة لاصطحابه في حجرة خاصة تضمن سلامته حتى نصل، أمل أن يستفيق قريباً، فنحن نحتاجك أيضاً من كنت، بالتأكيد أنت تحمل لنا سراً خطيراً، وإلا لما صارعت الحمام ونجوت حتى اللحظة رغم إصاباتك المميتة.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ١٥ -

ماري...

لقد مرّ الكثير، وتغير الكثير، لم تعد نوبس باغو كما اعتدت عليها، أصبح الجميع ضعفاء على حين غرة، أترهبون الموت يا حمقى؟، أتريدون عون أضعفكم وأنتم العباقرة هنا؟، لقد استسلم أذكانا ولكن لم تستسلمون أنتم أيضاً؟، يا أغبياء لن تنتهي بتلك البساطة، لن تنتهي حضارة الماجلان عند هذا الحد مستسلمةً فقط، نحن مخلوقات لا تعرف الركود، ولم نخش الصعوبات قبلاً، فأين أنتم من أسلافنا أيها الجبناء؟، فقط قدّروا صمودهم لنحيا وناضلوا أنتم أيضاً لحياة أبنائنا، ولا تكونوا حمقى كما تفعلون الآن.

وكانها عدوى، ابتعد عن الجمع الصاخب يا لوكاس واترك للتفكير المنطقي مجالاً هنا، فنحن نريد أن ننجوا، أنا أريد أن أنجو، لذلك انصعنا لكم أيها البشر الأغبياء كما حسبتكم سابقاً قبل أن تغيروا صورتكم في عقولنا بأقلام أرواحكم الحقيقية، تعملون رغم تزام عبّراتكم وثوران الزوابع داخلكم، أنتم أشبه بالأساطير، أيها الفضائيون.

حلت الضجة في عالمي الصغير تاركةً أيام الماضي الرتيبة تتلاشى أدراج الرياح، رغم بعض الصخب الذي ولد فيّ في صغري وأبى الموت رغم محاولاتي

الكثيرة للنسيان، تلك الطفولة التي عشتها مع والدي
الكهل والضعيف، ولكن الحنون أيضاً، لذلك هو
ضعيف، فرغم طعن الآخرين لهدوء روحه تبعاً
ما زال ذلك الحكيم الذي يدثر روح كل من احتاج عوناً
بعباءة حنانه المعطرة بعبير زهور المحبة وذات عبق
يشفي كل قلبٍ جريح، كانوا يدعونه بـ"العم العنقاء"
توقيراً لكلماته الناصحة التي تخرج بحياءٍ من بين تلك
الشفاه التي اختفت خلفها ابتسامةٌ درداءٌ تحمل كل
الحب في طياتها، وكالعنقاء تماماً، يحمينا بجناحه
المشتعل دفناً وعطفاً، لقد كان ذلك الرجل الذي حمل
الفضة على رأسه والذهب في قلبه الذي يتسع للكون
بأسره، ولذلك لم أشعر بالوحدة وأصبحت زيارات
الجموع لمنزلنا أمراً روتينياً كسائر ما كنت أمر به من
أحداثٍ في أيامي، وحصلت على العديد من الصداقات
الحقيقية رغم صلابة تفكيري واستهزائي بكل من
حولي، كفيان مثلاً، تلك التي احتلت مكانها فيّ ولم تكن
لي مجرد صديقة، تلك التي حملت في ابتسامتها الهادئة
الكثير من الوقار رغم براءتها، ولم تخفِ عنا حكمتها
ومعرفتها الواسعة فقط، لقد اخفت بين ثناياها الكثير من
الألم والحزن، وفي عينيها بدا لنا بريقٌ جميلٌ يعطينا
قبس نورٍ يكسر عتمة المكان، لم نأبه أنها العبرات تلمع
دائماً، ولم نر انعكاس روحها المحطمة فهي تجيد
التنكر، لقد خدعتنا، حتى أقربنا إليها، إلا قطعة السكر
الصغيرة، لونا أعزُّ صديقتي، لم تكن تلك الطفلة

المهقاء فقط، بل أكثر بكثير، فقولي لكلماتٍ أشبهه بنابغة، عبقرية، أو حتى أسطورة لم تمر على الكون قبلاً، سأكون قد ارتكبت جريمةً لا غفران لها، سأظلمها بتلك الكلمات مهما عظمت خباياها، ستظل السكرة الصغيرة مخلوقاً لن يتكرر، ومن المستحيل أن تبقى هذه الفتاة سرّاً في هذا الكون، فعبقريتها لن تُحبس في نوبس باغو الصغيرة إلى الأبد.

رغم أن أبي قد أضحى شيخاً كبيراً فجأةً دون أن نشعر بآلامه الخفية لكنه مازال من نحتمي به رغم قوتنا مقارنةً به، ولكن ما نفع قوة الجسد بوجود عقولٍ تعمل دون كللٍ لبناء حضارةٍ دفع لأجلها أسلافنا أرواحهم؟، وسفكوا الدماء رخيصةً لأجل أن نحيا، لم يكونوا حمقى بتضحياتهم، لا أبداً، بل في قمة العبقرية، فعندما تدرك أن الآخرين سيبنون عالمك بكفاءةٍ مضاعفةٍ وبعزمٍ أكبر فلم لا تترك لهم زمام الأمور إن اضطررت للتراجع؟، وماذا وإن كنت أكثر خبرة؟، أوليست الحياة تجارب؟، أولست مثل البقية بدأت مبتدأً في يومٍ من الأيام؟، فاترك لهم مكانك بهدوءٍ ليقوموا بدورهم على أكمل وجه، لكل شيءٍ نهايةٍ وقد حانت نهايتك فاستسلم وحسب، ولكن في الوقت المناسب، تاركاً إشارةً لنستدل بنورها إلى التقدم الخفي، هكذا ستعيننا ولكن خلف الكواليس، هذه مهمتك الآن.

أصبح لوالدي عكازٌ ضعيفٌ لا يستطيع تحمل مكان العنقاء، وهناك أيضاً طفرةٌ أخرى، طيبٌ آخر، ولكن بغباء، فمن ذا الذي يضحى بمستقبله لأجل فانيةٍ ضعيفة؟، وبات يدعى بين السكان بالجاهل أو يتيم العقل أو ابن الروح الفانية، فذلك الشاب تخلى عن دراسته ليرعى والدته التي أضحت على فراش الموت، ولكن ودون أيّ شفقةٍ لابنها؛ هربت إلى الجانب الآخر عنوةً تاركةً خلفها فتى حاذق ولكن جاهل في آنٍ معاً، لقد كُسر بعد وفاتها، بهذه البساطة، وجرّ نفسه إلى عالمه المظلم الصغير تاركاً خلفه خطأً من العبرات التي لن تجف أبداً، فقد خطاه وبسبب غشاوة عينيه المتعبة لم يرَ خط الدموع لكي يعود إلى عالمنا من جديد، فجذبه العنقاء واختضنه بجناحه الدافئ كما يحن الأب على صغيره، وأصبح فينيكس البغاء ذراع والدي اليمنى، رغم كونه اللاشيء في الماضي، أصبح أفضلنا بعد أعوامٍ من الاستحقار والاستخفاف به، غالبنا قد تغيرت نظرته إلى هذا الفتى، أولئك الذين خُدعوا فحسب، وقلّةٌ منّا لم يرَ من هذا الفتى سوى شفقتة على الجميع حتى من لا يستحق ذلك، وحتى من آذوه سابقاً، أحمقٌ كبير، كيف يسامح الجميع ولا يبالي بالإساءة بتلك البساطة؟، أين حَقك في الانتقام أيها الهادئ؟، كيف تحافظ على هدوئك وكرامتك تُجرح وتُهان دون هوادة؟، لست جباناً ولا ضعيفاً، مجرد أحمق.

ومرت الأيام، أنشأت فيان فريقها الصغير للاستكشاف في رحاب هذا الفضاء الفسيح، باسم "حاصدو السّدم" انطلقنا في رحلتنا بين النجوم والمركبات الفضائية، وبقيادة فيان شرع الفريق ذا السبعة أجسادٍ والروح الواحدة بالعمل والتألق، وبرفقة ذوي الخبرة عشت لحظات لا تُنسى بجلوها ومرّها، ومن أولئك الستة أيضاً وُدّعت بحرارة، فالعضو السابع لم ينسحب بهدوئه أبداً، فأنا التي أثارت الفوضى دون أن تشعر قبل أن تترك خلية النحل الصغيرة وتهتم بشؤونها بعيداً عن النجوم، لا أعلم لم ولكنني انسحبت وحسب.

العمل مجهد، وآلام الماجلان فظيعة، وصرخاتهم المستمرة تأبى هجران عقلي، على خلاف السماء، تتسع الجميع بصمتها المهيب، ومرآبتها من مقعدي المريح ودراستها دون الحاجة إلى جراحةٍ أو تقطيب، ودون رؤية خيوط الدماء السوداء تتسلل بين أناملك في الجراحة، ففي بحور الدماء المصابة بداء سواد قلوبنا تغرق آلام المرضى، ويجب انتزاعها دون تردد، ليس أبداً كانتزاع المعلومات من السماء، أين رميت نفسي؟، كيف تركت السماء لأواجه صعوبات الأرض وأهلها؟، فمن الأحق هنا ماري؟، لابد أنك تعلمين الآن.

بين ستة عباقرةٍ قضيت أجمل لحظات حياتي وأقبحها أيضاً، وبين نماذج المركبات الفضائية المتطورة ومخططات النجوم تعلمت الكثير، فبمثابة المعلمين

وأكثر كانوا أصدقائي، كنت كالجاهلة مقارنةً بأقلهم
 علماء وخبرة، للمرة الأولى أشعر بجهلي أمام "الجاهل"
 حتى، أشعر بالضعف، أشعر بالغباء، أشعر بالحمق
 يشتعل داخلي، وأشعر بخيوط جبروتي أمامه تتمزق
 لتلتف حولي وتقيدني بقوةٍ ودون أدنى رحمة، لم تصبح
 حاذقاً فينيكس، لا، بل أنا هي الغبية هنا، "يجب أن
 أهرب من المكان الآن"، ذلك ما صرخت به في نفسي
 بعد احتقان وجهي بالدماء واشتداد صريري لأسناني
 غيظاً وحرماً، مقر الأذكىء هذا لا يناسبني، سأبقى في
 المستوصف الصغير مع الطبيبة فيكتا ولو كان عملي
 هناك رتيباً، فذلك العالم الصغير يناسب بساطتي،
 وبعيداً عن يثير غيظي بخبرته التي ظهرت من العدم؛
 سأحفظ هدوئي وماء وجهي ذا الملامح الباردة
 كالموتى، ولن تدب دماء الحياة به مجدداً.

وفي ذلك اليوم الشاق، أعلمتني الطبيبة فيكتا بما
 أفرعني، هي تحتفظ بكائنٍ غريبٍ مشوهٍ بحجرة الأشعة
 في مستوصف نوبس باغو سراً عن الجميع سوى من
 أمرها بفعل ذلك، وكما قالت لي بصوتها الرقيق ذا
 الوقع الحنون في أذني: "هذا الجسد يحمل روحاً، يجب
 أن نرعاها فتلك أمانةٌ من الله يجب أن نحفظ بها لسر
 ما، هذا ما أقنعني به ذلك الفتى فينيكس ذا القلب الطيب
 والعقل الراجح، إنه حكيمٌ حقاً، لقد أحسن العناء رؤية
 حكمته بعيداً عن قدر المعلومات التي يحملها في

جعبته."، فينيكس؟، ما الذي وجدته يا فتى؟، خطوة جيدة، قد تُغير العالم بها، لم تعد أحمقاً يا بن الروح الفانية بالنسبة لي، يبدو أن الحياة قد عطفت عليك وهدئت من زوابع حمقك قليلاً، بدأت تميل إلينا أيها الطيب وشرعت تتحلى بالتفكير العقلاني رغم بقاء آثار عطفك كالبصمات على كل ما تلامسه أناملك، كالعنقاء تماماً، ذا فكرٍ عطوف.

وفي يومٍ رتيبٍ آخر من العمل زارتنا تلك الفرقة البشرية التي تعمل مع حاصدي السُّدم، جاؤوا لتقطيب جرح تلك الشابة ذات الدماء الحمراء الغريبة، بدا التوتر جلياً على الفريق حينها، فكما قالوا أن المصابة قد أسقطت رف الكتب السادس عشر من مكتبة لوكاس مما تسبب بتلك الكارثة التي نقشت آثارها على ملامحهم البيضاء من الخوف، وخاصةً ذلك الفتى الأعرج، لقد بدا تائهاً في أفكاره ولا يجيد البحث بسبب ألم ساقه الفظيع، إنه يحتاج العون الذي ترددت أنا عن تقديمه فسبقني إليه فينيكس والطبيبة فيكتا، فمن المستحيل أن يرى أحدهما ألمه دون هرعهم لمساعدته حتى يزول تماماً، ولكنني قد حصلت على حصتي من المساعدة أيضاً، فبفرقة الطبيبة فيكتا بذلنا قصارى جهدنا لعلاج ذلك الفتى الطيب، وعندما بادرت به بسؤاله عن سبب رغبته للخضوع للعلاج الأليم أجابني والثقة ملء شذقيه: "رغم كل هذا الألم الذي أقاسيه الآن، إلا

أنني في يومٍ ما سأهرع لنجدة أحدهم وأعدو إليه دون
تثاقل، دون عرج."، لقد تركت تلك الكلمات العبرات
تتأرجح بين جنفاي لا يهدينها حريتها في القفز إلى
العالم الخارجي حفاظاً على كبريائي الثمين.

تقابلت الأحوال، وشرعنا نفقد السيطرة، فهذا هي
أندروميذا الآن تتأهب للهجوم الساحق علينا، ودون
أدنى محاولةٍ منا بعد استسلام لوكاس، تجمدنا كالأصنام
ننتظر حلول نهايتنا بنواحنا ونشيحنا الصاخب، وسُقيت
الرمال السوداء بعباراتٍ تسقط ولأول مرةٍ كالطوفان
مع زوابع الصراخ، "أترهبون الموت يا حمقى؟"،
صرخت بها بعد أن استعدت وعيي قليلاً وأدركت خطة
البشر المنجية لنا جميعاً، رغم اكتشافهم للكثير من
أسرار عالمهم القاسية الآن إلا أنهم لم يأبهوا بحطام
قلوبهم، وشرعوا بقيادتنا لننجح في صنع المركبة
للهجرة، ها هم الحشود يتزاحمون عند الأبواب بينما
وقفت أهدي نوبس باغو نظرتي الأخيرة قبل الوداع،
وفجأةً ظهر طيف ريان ليدنو من فينيكس ويدور بينهم
حوارٍ قصيرٍ وددت فهم فحواه، ما الذي يريد ريان
الآن؟، ألم يعلم بخطة استكمال علاجه؟، ما الذي يريد
أيضاً؟، لحظة، ليس تلك الجثة!، لم تود معرفة سرها؟،
فقط مجرد جسدٍ مهشمٍ ملطخٍ بسائلٍ أحمر اللون، مهلاً،
كدماء تلك البشرية، إنه بشري، استعدوا أيها
الفضائيون، هناك المزيد من المفاجآت بانتظاركم.

- ١٦ -

ميسان...

وسط الحشود استوقفت ساقى قليلاً لأودع تلك الأرض
الجميلة، بحبات رمالها السوداء المتمازجة بلطفٍ مع
الشفق والغمام، مشكّلةً لوحةً كونيةً لن تتكرر، تلك
الأرض التي خطونا عليها أهم وأخطر خطواتنا، فهنا
غيرنا حياة شعبٍ بأكمله، لم ينتهِ دورنا بعد أصدقائي،
ولن ينتهي قريباً، لم تنتهِ قصتنا هنا، لا أبداً، مازال
هناك الكثير أماناً لنعيشه، وشتى الحقائق لنكتشفها،
سنحل لغز هذا الكون يوماً ما، أنا أو من بذلك.

في حزن المركبة الدافئة اجتمعنا، كباراً وصغاراً
بشراً وماجلان، محاطين بنجومٍ سفاحيةٍ من كل حدبٍ
وصوب، وخلف قطبان سجننا هذا قد شنت الحرب،
الحرب بين النجوم والكواكب، فمن سينتصر في
النهاية؟، ربما لن نعيش لنعلم.

ها هي اللحظات تمر بهدوءٍ دون أن يشعر أحدنا بألم
الآخر، فكل ذي ألمٍ احتفظ به لنفسه، لا وقت لمواساته
الآن، كلنا نعاني، لا عطفٌ ولا رحمةً هنا، فنحن لا
نملك أنفسنا لنهدئ من روع الآخرين، أستطيع رؤية
كل ما حولي من عيون الآخرين، إنها عبراتهم
المحبوسة تعكس لي العالم، الجميع يتألم، هل تشعرون
بأطياف الحمام تحوم حولنا كما أشعر؟، فليكذب حدسي

مرةً واحدةً يا الله، لا أريد أن نرحل هكذا بعد كل تلك المعجزات التي أنقذتنا مراراً.

بينما كنت غارقةً في التسبيح بدا لي طيف ريا من بعيد، دنوت منها لأجدها في عالمها الخاص، تغوص بين دفتي كتابٍ ثخين، لكزتها لتثب واقفةً وقد نال منها الفرع، يبدو أنها لم تشعر بقدومي، كعادتها عندما تغوص بين صفحات أيّ كتاب تنسى العالم من حولها، وتعيش بين الحروف، تجد سعادتها هناك فقط، بين السطور.

بعد هنيهةٍ من الصمت المطبق على الأجواء بادرتني بالسؤال بصوتها الهادئ: "كيف لمحتني بين كل تلك الجموع؟، ظننت أن أحداً لن يجدني هنا."، حقاً لم أكن لأستطيع رؤيتها لولا تحرك أحدهم من أمام ناظري، ولكن لماذا أرادت التواري عن الأنظار؟، هذا ما أردت أن أسأله ولكنها استوقفتني بكلماتها تلك: "أشعر بالغبرة حقاً، لا وطن لي سوى الكتب، أشعر بالوحدة، ألا تشعرين بذلك؟، ألا تشعرين باقتراب النهاية مثلي؟، أرجو ذلك، ألا يكفي ما مررنا به حتى اللحظة؟، لقد سئمت من هذا الكون، لم أعد أريد المزيد، فقط أريد دفء أمي وأخي، أحن إليهم حقاً."، وشرعت العبرات تتسلسل من بين أجفاننا تعلن عن استسلامنا، لم أعد أستطيع التحمل، أحن إلى حضن أمي الدافئ أيضاً، لكلٍ منا ما يريده بشدة، ولكن الحياة قد شاءت بسرقة

الطيبين منا، لتتركنا على حافة الوحدة نذرف عبراتنا بصمت، لا معين لنا سوى الله، التي لن تهتز ثقتنا به لحظة، فها هي زهور اليقين تتفتح في قلوبنا رويداً، فباليقين سنحيا.

استندت رياء إلى الجدار المعدني تلقي حمل تعبها الذي ضاقت ذرعاً منه عليه، وشرعت بالضغط على مقلتيها تمنع سيل الدموع من الهرب ف"لا وقت للألم" و"أنا أقوى من دموعي"، والكثير من الهمهمات التي هدأت بها تلك الفتاة من روعها قليلاً، وعندما استعادت رباطة جأشها أخيراً قالت بصوتها المرتجف: "كفّي عن البكاء ميسان!، لا تظهرى للعالم ضعفك لكيلا يستمتع بعصر قلبك مجدداً، ألا تخشين الفقد؟، لا تفقدي من بقي يا فتاة، كوني أقوى من الكون الذي تعاركينه بصمودك، وكوني أقوى من تلك المخلوقات التي تريد أن تسخر من ضعفك على أهون الأسباب"، قاطعت كلماتها قائلةً بنبرة زدها ثقة: "لن أفقد أحداً إلا بمشيئة الله، وما العيب في البكاء؟، لا أهدم جبروتي أمام العالم، لا أبداً، بل أخدعه بدموعي وأباغته بقوة قلبي على حين غرة، ألم تقولي ما شابه ذلك بنفسك سابقاً؟، قلبي القائم بيقيني بالفوز وبتقتي بالله سيفوز، أنت تحتاجين للإيمان بقوتك، وليست تلك التي تظنينها، يجب أن ترمي بعض العبرات في طريقك للوصول إلى مبتغاك، وإلا سيثقل العبء حتى لن تقوي على حمله، وستستسلمين بعد كل

ذلك التظاهر بالقوة، فترمين كل جهدك أدراج الرياح، فأي طريقة للفوز تفضلين؟"، واحتلت أطياف الصمت المكان لبرهة قبل أن أتهد وأبادرها بابتسامتي معلنةً عن عودتي لهدوئي مجدداً، يبدو أنها قد سامحتني على غضبي هذا، فها هي ابتسامتها اللطيفة تظهر على محياها مجدداً بعد برح من اختفائها، لا أستطيع إغضاب هذه الفتاة فأحياناً ترعيني بثورانها كالبركان المشتعل بالحمم والنيران، وهي أيضاً صديقتي المقربة والوحيدة، لا أستطيع التخلي عنها لسببٍ تافهٍ كهذا.

اتخذت رياء إحدى زوايا المركبة مجلساً لها بعيداً عن الأنظار وعن ضجيج الحشود، وكادت تبدأ بذلك الكتاب الغريب قبل أن تفاجأني بعنوانه "المفكرة السوداء"، كيف حصلت عليه؟، همست لها وأنا أودّ الصراخ بتلك الحروف لتجيبني بكل بساطة: "إنه ثمرة إنجاز كل تلك المهام، لقد كانت مهمة إحضار الكتب المهمة من مكتبة لوكاس من نصيب ريان لولا اشتداد ألمه وهذا ما كان في صالحه، أوكلت بتلك المهمة عنه واستلمت قائمة الكتب التي -ولحسن الحظ- لم تكن تحوي اسم هذا الكتاب، فأخذته أنا، يبدو أنه كتابٌ مهمٌ فلمَ لم يأبهوا لإحضاره؟، لقد كان الكتاب في الرف السادس عشر، ذلك الذي سقط ما فيه على رأسي، ولكنني لم أرَ ذلك الشيء الذي وجدناه خلف الكتب هناك، يا للخسارة، كنت أريد أن أعرف ماهية ذلك الشيء العجيب"، كان

الانفعال يبدو جلياً على ملامح ريا وهي تخبرني بمغامرتها واختطافها لكنزها الصغير، وفجأة دنا منا ريان وقد بدا على ملامحه الوهن، يبدو أن ألم ساقه قد سرق من راحة هذا الفتى الكثير، فليكن الله في عونته، فهو الضحية هنا، ضحية أنياب فلّمة المتوحشة تلك، وعلى خلاف ريا تماماً، ريان يسامح الجميع ويكتفي بعبراته لتخفف عنه قليلاً، هكذا هم الطيبون، لا يتعافون من جراح الكون سريعاً.

وبمقدار الحماس ذاته أخبرت ريا ريان عن كنزها، وقد بادرها بالحماس ولكن مرافقاً ذلك باصفرارٍ في وجهه حاول إخفائه ولكن دون جدوى، وقال متصنعاً الهدوء: "لأنني لم أستطع النوم جيداً بالأمس، لا تلقوا بالاً لهذا دعونا نكشف أسرار هذا الكتاب"، لا تخدعنا يا فتى، أنت كتابٌ مفتوحٌ أماننا الآن، بالكاد تستطيع إخفاء سرٍ صغيرٍ ليومٍ واحد، نستطيع قراءتك صديقي، فلا جدوى من حفظ الأسرار هنا.

وشرعنا نقلب بين أوراق هذا الكتاب العتيقة، وكدت أترجم لهم ما رسم بالحروف العربية المتناغمة في سطورٍ صغيرةٍ كالبنيان المرصوص، وكدت أن أتلفظ بالكلمة الأولى وأنا بالكاد أستطيع كبح ازدراد لعابي من هول صدمتي التي أجدت إخفائها جيداً، ولكن فجأة اهتزت المركبة بعنفٍ عنوةً فسقط الكتاب من بين أنامل ريا وبُعثرت أفكارنا، وعلى حين غرةٍ هرع ريان

مسرعاً لسؤال قبطان المركبة أمبرا عما جرى منذ برهة، همهمت ريبا وقد بدا الاستغراب واضحاً في صوتها المنخفض: "كيف استطاع ريبان الذهاب بتلك السرعة إلى مركز القيادة بساقه المصابة تلك؟، إنه يخفي عنا أسراراً كثيرة، لننتبعه."، محقة، وكيف لم أشعر بذلك؟، وبينما كنت غارقة في بحر تساؤلاتي لكزتني ريبا لأتبع خطواتها فالفضول قد اشتعل فيها وأبت نيرانه الخمود، وأنا أيضاً أريد معرفة كل الأسرار التي تحيط بنا، فألى متى سيظل هذا الكون لغزاً نعجز عن حله؟، لا أعلم ولكن ليس إلى الأبد.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ١٧ -

أميراً...

نخضع للاهتزازات دون هوادةٍ ولا أدنى رحمةٍ من تلك النيازك المنهالة علينا لإبادتنا على بكرة أبينا فلا تترك منا سوى آثار الغبار المتناثر بين النجوم، فها أنا القبطان لا أدري ما أفعل، سيل النيازك لا يتوقف، والجميع يعتمد علي، لا! لن ننهي هنا، ولن ننهي على يد صخور، حتى لو كانت تلك الصخور التائهة بين النجوم، ولن تتمرد أيتها النيازك علي، أنا القائد هنا، رغم عجزني عن الجهر بالحقيقة الخطرة ما زلت القبطان، ومهندس المركبات التي يعرفها شبراً شبراً، سألقي حكمي على نيازك الموت بالإعدام عاجلاً وليس أجلاً، سأزيل الخوف من نصب عيني وأتجه لواجبي الأساسي مجدداً، فها نحن ذا أيتها النيازك الحمقاء، تجهلين من ستواجهين، وها هي الحرب تشتعل في عيني وفي قلبي الحديدي.

بين صرخات الآلات قد استفاق ذلك الغلام مفزوعاً من اصطباغه بالوقود الرمادي اللزج، أفرج عن مقتلته الزرقاوتين ومسح وجهه بكم قميصه المهترئ ليفتش بنظرات خبيرٍ عن الفاعل، من ألقى عليه دلو اللزاجة ذاك؟، لقد أصبح ذلك السؤال هاجس فتى الاثنا عشر ربيعاً، "إلى متى سأبقى هكذا؟، سأقود من يثيرون غيظي يوماً وسأنتقم منهم شر انتقام"، قالها الغلام في

نفسه لتغرق أمنيته في قلبه كما يغرق هو في الوقود دائماً، ولكنها ستطفو إلى السطح يوماً وستُحقق رغماً عن أنف الجميع، وسترمي أطنان الغبار التي تراكمت عليها بعيداً كما يزيل بقايا الوقود عن وجهه ليعود إلى عمله الشاق وكأنه لم يُؤذى يوماً، وأخيراً وبعد رحلةٍ طويلةٍ من البحث وجده، المجرم، سيعاقبه أشد عقاب، صرخ الغلام به قائلاً والغضب قد أغشى أبصاره ككل مرة: "لا ترمي علي القاذورات، كيف تكون قائداً علي وأنت لا تقدر وجودي؟، شخصٌ لا يستحق الاحترام."، وفي هنيهةٍ انقض القائد على غلامه وأبرحه ضرباً ليذيب ثلوج عينيه وليطفئ جذوة قلبه التي لا تهدأ، واختفى صوت أمبرا الصغير بين أزيز الآلات، أراد أن يفكّ وثاقه وأن يؤذي يد قائده المُقيّدة لحرّيته بثناياه البيضاء كقلبه حتى اصطبغت بسواد دماء القائد ولكن دون أدنى جدوى، لا حريةً ولا انتقاماً حتى، كاد الفتى يلفظ أنفاسه الأخيرة ولكنه نجى مجدداً، ها هو يتمسك بخيط الحياة، فهو يملك حتماً يقاسي ليحققه، فبين المركبات والآلات قد نشأ وبينها سيفنى، "ولدت خادمها وسأموت قائدها، سأصبح يوماً قائداًكم جميعاً، ماجلاناً وآلات، فأنا أمبرا الذي لا يرمي حلمه على قارعة الطريق ويستكمل حياته وكأنه لم يقترف جريمةً بحق قلبه الطموح، احتفظوا بكلماتي هذه، الغلام لن يخسر أمام رياح الحياة، الغلام أقوى مما تتصورون.".

إنه فتى المصنع في الماضي، واليوم هو أهمّ أعضاء

الفريق الألمع في نوبس باغو "حاصدو السُّدم"،
وقبطان مركبة الهجرة المصممة بأمره بأحدث التقنيات
وأفضل التصاميم، مصنع مواد المركبات الأولية جعل
منه مهندساً يحتذى به، ففور سماع اسم أمبرا في
الأرجاء تنهال ذكريات الماغلان عن مهمات مركباته
الناجحة، ناسين ماضيه الذي عاشه وسط صراخ
الآلات وبين بحور الوقود اللزج، يصرخ داخله سراً
فهو يعلم أن ذلك العذاب سيوصله إلى حلمه الذي لن
يتمتع عن تحقيقه، فمنذ أن أسرّ لشقيقه الأكبر أنه يطمح
لأن يصبح مهندساً عظيماً أخبره عن المصنع البعيد
عن منطقة السكن أو كما قال له بصوته الحنون
ناصحاً: "أمبرا، سأخبرك بمكانك الحقيقي لتصبو إلى
ما تطمح إليه ولكن عدني بالالتزام بأوامر مني، مصنع
المركبات ذلك الذي يبدو من بعيد، إنه مسقط رأس
حلمك، ولكن الوصول لهذا المكان ليس بالأمر الهين،
فأبي قد وافته المنية حال دلوفه بين الآلات فأرجوك لا
تفكر بالذهاب إلى هناك، ستفطر قلب أمي المريضة،
ألا تخشى أن تصاب بمكروهٍ بسببك؟"، ظنّ ذلك
الشاب الطيب أنه قد سيطر على قلب شقيقه العنيد
ولكنه قد أدرك بعد برهةٍ فقط أنه في مأزق، فها هو
الذهب الأزرق قد شرع يشتعل في عيني الغلام معاناً
عن الحرب، إنه النصل الذي سيمزق نصائحك يا فتى،
لقد أُشهر عن سلاح أمبرا الآن، كانت حروفه الملتهبة
تنتهي أمر الهدوء سريعاً حين صرخ قائلاً: "فينيكس

توقف عن الهراء، ربما ستحزن أُمي لمدةٍ ولكن ليس إلى الأبد، ستكون فخورةً بي في المستقبل، وسّع آفاقك صديقي، لا أريد أن أرمي حلمي على قارعة الطريق مثلك لأهدر عمري في حاضرٍ فان، لست غيباً مثلك، وماذا وإن متّ هناك، على الأقل قد حاولت، لا يجب أن أستسلم، أليس كذلك أخي الكبير؟"، اشتعل الصمت لبرهةٍ بين الشقيقين قبل أن يعلن الأكبر استسلامه للغلام فهو يعرف أمراً جيداً، عنيدٌ ولكنه فطنٌ أيضاً، سيتدبر أمره، ويفتخر به فينكس أيضاً في المستقبل، أوليس شقيقه الصغير؟.

سريع الخطى ودون الالتفات لتوديع ذلك المنزل الصغير انطلق الغلام راكضاً إلى دخان المصنع، والعَبرات تتناثر خلف خطاه لتسقي الرمال السوداء شوقه لحضن والدته الحنون، ولكن لا مجال للتراجع، حلمه ثم حلمه، وكأنّ حلمه سيصنع المستحيل ويعوض كل عَبرةٍ قد دُرُفت، دموعهم الطاهرة لن تعوض يا فتى، تراجع، تبالك وطموحاتك مقابل عَبرةٍ واحدةٍ من قلبِ حنون، ستحطم الكثير لتبني بالفتات سقف آمالك يا غلام، أمستعدُّ للتضحية؟.

ويبين حبات الرمال المتناثرة خلف خطى الغلام اختفت الكثير من المشاعر المتناقضة التي هاجمت الفتى الهارب، أيعود؟، لا مجال ذلك، يكمل المسير؟، ولكن الجري خلف الحلم اللائح في الأفق يتطلب الكثير من

القوة التي عجز أمبرا عن امتلاكها، إنه لا يخفي في جعبته الصغيرة سوى صلابة قلبه وعنده الشديد، ومن قال أن تلك الأسلحة لن تعينه في خوض الحرب، والانتصار فيها محملاً بغنائم الخبرة من سنين العمل بين الآلات وضجيجها، فها هو دخان المصنع يلوح للفتى بأن "تقدم"، سيصل ليضع اللبنة الأولى لبناء حلمه الكبير، تلك اللبنة الصغيرة التي أسرت له بالكثير، فالعديد من الأسرار قد رُفِع الستار عنها لتبدأ بعرضها على خشبة المسرح وتدلّهُ عقل الغلام بغموضها، فبعد كل شيءٍ إنها أسرار.

كالحصاة تسمّرت أمام بوابة المصنع المهولة أسترجع الذكريات والمشاعر التي هاجت زوابعها فيّ دون هوادة، وقفت أتأمل تلك البوابة التي ابتلعت والدي ويبدو أنها على وشك ابتلاعي أنا أيضاً، فكما قال لي فينيكس عن الخطر وقد صدقت كلماته، فهو الفتى الفضيل هنا، إنه مشهورٌ بطيبة قلبه وبنقاوة روحه كالعين العذبة وسط الصحراء، صحراء الرمال والقلوب والدماء السوداء نوبس باغو، سيدة الشفق القرمزي المتمازج مع غمامات السماء الناصعة ببياضها مشكلاً ثوب هذه الأرض الجميل، وبحلّة اللؤلؤ الأسود قد زُين المكان، بسكانها ذوي الانعكاس المظلم اللامع كاللؤلؤ تماماً، الأرض اللامعة بطريققتها المميزة.

بالكاد دلفت إلى المصنع الكبير لأصدم بأصواتٍ قد
 أصمّت أذني، خلت للحظةٍ أنهم اعتبروني دخيلاً ولكن
 لم يهتم أحدهم لأمرني لانشغالهم بإخراج قدم أحد
 الغلمان من بين المسننات لإحدى الآلات المهيبة،
 والصراخ قد أشعل نيران الخوف والرهبة فيّ فترددت
 وهربت بجسدي الصغير بين دخان الآلات الضخمة،
 زعمت لبرهةٍ أنني قد هربت من العقبة الأولى
 باختبائي ذاك، ولكن لا شيء يتحقق بمجرد الهرب
 هكذا وحسب!، فلكل حلمٍ عقبات، ولكل عقبةٍ ثمن.

وعلى حين غرةٍ شعرت بكفٍّ شرعت تجذبني من
 سترتي بقبضةٍ من حديد، حاولت الالتفات لرؤية هيئة
 رجل القبضة الحديدية فهو ذا جثةٍ مهيبةٍ شامخاً كجبلٍ
 حازماً قوياً كصقر، وفي عينيه قد اشتعلت النظرات
 الحادة والوقّادة تلك التي اخفت خلف أهدابها ملايين
 الأسرار عن هذا العالم الذي مر على عيونٍ قد
 ازدحمت بعبرات على العمر الفاني في المصنع البعيد،
 البعيد عن الحياة، والقريب من الدخان، ومن أطراف
 الحمام التي لا تمل التجوال تلاحق الجميع دائماً لتقوم
 بمهمتها المرعبة.

أنامل الرجل الضخم تلتف حول عنقي كأفعى سامة،
 والبنان يدغدغ جلدي تحميةً للضغط بقوةٍ على العنق
 الضعيفة لإنهاء أمرها، يبدو أن رحلتي لتحقيق
 طموحي ستنتهي قبل أن تبدأ، بدا الضباب جلياً فيما

أرى، وقل الأوكسجين في رئتي، وأرخي رأسي على ذراع الرجل القاسي مغشياً علي، وبين يدي رجل القبضة الحديدية وجدت نفسي أنتفض من شدة تأثير الوقود على جلدي، فتلك المادة اللزجة المقززة تضر بنا نحن الماجلان بقدرٍ طفيفٍ من سمومها الكثيرة، بقدرٍ كافٍ للوخز على الجلد مما يجعل الجسد ينتفض بشدةٍ محاولاً التخلص من كل ذرة من الوقود العالق في الجلد لإيقاف الوخز المزعج، ومن هنا تولد باقي المصاعب، ولكن الأمر يستحق حقاً، فهذا هي المعلومات والخبرة تنهال على رأسي بلطفٍ دون هوادة، إنه وقع تناثر قطرات المعرفة في الأرجاء الذي عزف سمفونيةً رائعةً في قلبي فيها تناغم الألم والعلوم في آنٍ معاً، فكما قال لي رجل القبضة الحديدية الأصلع بصوته الأَجَش: "يا غلام أتعلم إلى أين دخلت؟، طالما وقعت هنا فلا مجال للعودة، لأعرفك على القواعد هنا، أولاً أنا هو القائد هنا، وثانياً أنت لم تُرسل إلي هذه البقعة المنعزلة عن العالم من فراغ، أنت هنا لتتعلم ولتكتسب خبرةً بما حولك لربما تصبح ذا شأنٍ في المستقبل بخبرتك تلك، والأهم من ذلك كله، لن تتعلم شيئاً إن لم تدفع الثمن، الحياة هنا قاسيةٌ حتى على أقوانا نحن الماجلان، بالكاد نحيا نحن بسواعدنا فانجُ بنفسك، لا أحد سيكثرث لرحيلك هنا سوى نفسك فأنت لست في منزلك بين أحضان أمك آمنٌ محصنٌ من كل ما يمسك بأذى، فهل أنت مستعدٌ لخوض المعركة؟، لا

تقل شيئاً فأنت لست مخيراً، هنا بين هذه الجدران الصدئة لا لرأيك صديقي، اكتف برأيي وقوانيني لكيلا تندم، لتشهر سلاحك الآن يا غلام، أمامك الكثير من العوائق لإنهائها على بكرة أبيها، هيا إلى ساحة المعركة!."، وربت القائد بكفه الضخم على كتفي الصغير وبالكد استطعت كبح ألمي من شدة تلك الحركة اللطيفة، ورأيت بعيني ضعيف قسوة العمل هنا، كنت سأشعر بالندم لولا إثبات العمل لي أن جهودي التي سأبذلها لن تذهب سداً، ذلك كان أحد أسرار اللبنة الأولى، وما زالت تخفي عني المزيد والمزيد.

وبسواعدي الضعيفة شرعت أعمل بكل عزم حتى لم تعد ذراعي كما كانت في السابق، ونهلت من عيون الخبرة التي تنبثق أمام ناظري كل يوم، حتى علا شأني بين هذه الجدران وقاطنيها، وما زال قائدي ذاته ولكن صحته بدأت بالتدهور ببطءٍ دون أن نشعر بألم رجل القبضة الحديدية العاصف في جسده، فما زالت روحه الصلبة ذاتها لم تتغير يوماً، رغم رحيل الكثير من جنوده المخلصين إلى الجانب الآخر لم يلن، فهو أقوى من أن يعصره الزمن، وأواصر القوة لن تُهزم بسهولة.

مرت الأيام وأضحت نغمات الآلات ذلك اللحن الجميل الذي احتل أذني حتى أصبحت قائد الأوركسترا أخيراً، فيها هو رجل القبضة الحديدية يراقب عملي من السماء

بهدوءٍ على خلاف عاداته، تنهال العبرات الصامته مستذكرةً ضجة المصنع بصوته الخشن، نفتقد لحن خطى ذلك الرجل الذي لم نعرف عنه شيئاً حتى اسمه الحقيقي، مازالت صورة وجهه ذا الملامح القاسية محفورةً في قلوبنا نحن الغلمان القدامى، فالكثير من الغلمان والشباب قد دلفوا إلى الثقب المظلم من بعدي، وقد حمل لي أحدهم أقبح خبرٍ قد مرّ على أذني وقلبي، ففي إحدى الأيام المنصرمة أظلم الحلم فيّ لهنيهةً قبل أن أتصالح مع التضحية من أجل المستقبل المشرق، فبين حديثٍ وحكايةٍ قد ذكر أحد الغلمان المستجدين ذلك الفتى الأحمق "ابن الروح الفانية" كما كانوا يدعونه، ذلك الفتى الذي رمى مستقبله على قارعة الطريق ليرعى أمه الفانية، وبعد برهةٍ من شرودي وغرقي في شكوكي صرخ أحدهم بما أعادني للعالم حاملاً أطنان الصدمة على كاهلي المتعب، فقد قال مستذكراً: "تذكرت اسم ابن الفانية الحقيقي ذاك، لقد كان فينيكس، أجل، ألا تعرفه أيها القائد؟، الجميع يعرفه، حتى أنه يعمل مع العنقاء الآن، تعرف العنقاء صحيح؟، أيها القائد، هل تسمعي؟"، بصفعةٍ خفيفةٍ على وجهي عدت لتركيزي لأستعيد رباطة جأشي أمام الجموع، وكأن قلبي لم يهشم أبداً، ما الذي قاله الفتى مند وهلة؟، فينيكس؟، ابن الفانية؟، أمي؟، مستحيل!، واغرورقت عيني بالعبرات، وهاج البحر أخيراً، لا أستطيع عدم تصديق ما سمعت، فأنا أعلم الحقيقة التي أبكتني بعد

سنين من البرود، ولكن منذ متى؟، ذلك السؤال الذي ظلّ معلقاً بسقف تساؤلاتي المرتفع طويلاً دون إجابة.

لقد كان كل شيءٍ على ما يرام اليوم قبل أن يصمّ أذني صوت الطرق الشديد على البوابة الحديدية، لم يطرق أحدهم الباب هكذا من قبل، اتجهت صوبه مع العديد من الغلمان الفضوليين حولي لنتفاجأ بما رأينا، إنه هو!، بابتسامته الحنون قد أطلّ علينا وهالته الدافئة غزت المكان، سيدلف إلى المصنع ولكنه سيخرج، وليس كما فعلنا نحن، فالعالم يحتاج إليه حراً، إنه العنقاء شعلة الحكمة التي أضفت الدفء على الأجواء الباردة في مصنعنا الكبير، هدأ قلوبنا وآذاننا بكلماته التي أطربنا بوقعها الرائع وفحواها المدهش، لقد مرّ الكثير على حصولي على هكذا حديثٍ هاديٍّ وكأنني أخاطب أبي الذي لم أحظّ به يوماً، ولكن لا شيء يدوم إلى الأبد وخصيصاً الهدوء في حيواتنا، فقد قال العنقاء متسائلاً ومحطماً قلبي: "كان شقيقي يعمل هنا، كان أصلعاً ذا قوةٍ وجبروت خارقين وكانت قبضته شديدةً وكأنها صنعت من حديدٍ أيضاً، أين هو لم أره؟"، وبالكاد استطعت التعبير عن حزني الشديد لرحيل شقيق العنقاء ولكن أحد الغلمان قد بارده بسؤالٍ أحدث العاصفة الحقيقية في الأرجاء، فبكل براءةٍ من الفتى خرجت الحروف صانعة العاصفة حين قال: "سيدي العنقاء هل لي بسؤال؟، ما كان اسم القائد السابق؟،

شقيقك."، كان كل شيءٍ سيمر بهدوءٍ لولا قول العنقاء للفتى: "أتعرف اسمي أنا حتى؟، نحن نخفي اسماءنا يا فتى فقد نصدم أحدهم بها، فاكتفِ بمناداتي بالعنقاء وشقيقي بصاحب القبضة الحديدية كما تقولون لكيلا تدمر هدوء من حولك، ولكن يجب أن تظهر الحقيقة يوماً ما، وأظن أنه قد حان الوقت، أمبرا هناك الكثير لتعرفه، ليس وفاة والدتك فقط يا فتى، فرغم أنك لم ترها في آخر لحظاتها ولكنك فعلت ما تمنى شقيقك فينيكس فعله، ليس أمراً عادياً كما تظن، تمنى أن يعيش أيامه ينهل علمه من والده كما فعلت يا فتى، لم أكن أريد الجهر بالسر ولكن الوقت قد حان، شقيقك لا يعلم بذلك فإن رأيت يوماً لا تخبره بالأمر التي سأرويها لك الآن، شقيقي صاحب القبضة الحديدية هو والدك الذي ابتلعه المصنع في صغرك، ألم تشعر بالانتماء؟، هو شعر بذلك وقد عرفك عين البحر أجزم بذلك، فروحه لن تضيع قطعةً منها أبداً، وبعد كل شيءٍ أنت عين البحر لن يخطئك أحد، ثق أنه الآن فخورٌ بك كفينيكس ووالدتك تماماً، وثق أن جهلك بهويته حكمةً إلهية، فتحلى باليقين واستكمل خطى أبيك الذي أهداك دوره واثقاً بقدرتك على تولي زمام الأمور، فلا تخذله ولا نخذلنا نحن أيضاً، وابذل قصارى جهدك عين البحر."، وذهب بهدوءٍ تاركاً خلفه ذلك الفتى المتدلّله في أمره، ما الذي حدث منذ قليل؟، ماذا قال ذلك الكهل بدمٍ بارد؟، سيتبعه، فهو يريد معرفة المزيد عنه، عن

"عين البحر"، فقد تبين أنه يجهل الكثير، كان يحارب المستقبل قبل قليلٍ ولكنه قد فوجئ بالماضي الذي كان يشحذ سكينه طوال تلك المدة، وحانت ساعة شنّ الهجوم الآن، إنه الماضي الأسود، عدو أمبرا اللدود، ستشتد المنافسة، فعين البحر يجري لاهثاً خلف العنقاء منادياً إياه بكامل صوته ولكن لا حياة لمن تنادي يا فتى، ذلك الشبح اللائح لك في الأفق مجرد سراب، ولكنك قد تخطيت بوابة المصنع، مازالت مفتوحةً على مصراعيها والغلمان بانتظار إشارتك لإغلاقها، فمن أين ستعطي إشارتك؟، وهل سيكون ذلك أمرك الأخير؟.

وداعاً أيها الحزورة، سأفتقدكم وسأحن لتلك الأرض المنسية التي حكمها أبي صاحب القبضة الحديدية طويلاً، أظن أنني قد حققت ما بُعثت من أجله إلى هنا أخيراً أبي، وإلا لما أتى العنقاء وأهداني مفتاح الخروج، مرحباً أيتها الرمال السوداء التي أمطرت عليها عبراتي سابقاً، أنت هي الشيء الوحيد الذي لم يتغير بعد اختفائي، أنا ممتنٌ لذلك.

أخطو بخيلاءٍ على الجبل بعيداً عن الضجيج الذي احتل أذني طويلاً، وأتحسس التراب بقدمي الحافيتين سعيداً كطفلٍ صغير، ولكن كل سعادتي تلك اختفت عند وصولي لموقع السكن، مزدحمةٌ وصاخبةٌ كما اعتدتك نوبس باغو، لكنك لا تحوي حنان أمي، أشعر بهذا،

أشعر بنقص هذه اللوحة، وأخيراً إنه مجدداً، "سيدي العنقاء" صرخت بها منادياً ذلك الرجل الملتفت إلى شابٍ يحادثه حتى نظر الاثنان إليّ فتجمدت الدماء في عروقي، فينيكس، لم تتغير علي يا فتى، ما زلت فينيكس ذا النظرة الحنونة الطيبة على خلافي أنا، فتى قاسٍ عصرته الآلات وسيدها عصراً، هل أحكي لك عن قائدي أم أبقى حقيقته سراً كما أمرني العنقاء؟، لا وقت لتساؤلتي الآن، "اشتقت لك أخي" قلتها والعبرات قد تسابقت على وجنتي كالسيل، أسرع فينيكس إليّ الخطى واختضنني بقوةٍ قائلًا بصوته المخفي من سيطرة الدموع على كلماته المتلذذة: "أمبراً، افتقدتك، لا تبكٍ فالبحر لا يمطر أخي."، هذا ما كان يصرخ به القائد لي، فينيكس يبدو أن أيام طفولتك التي قضيتها رفقة والدي في صغري كانت كافيةً لتتعلم أقواله وتنقشها في قلبك، ولكن وقع هذه الحروف من شفاه أبي أجمل، فلا تسرقها أرجوك.

مرت الأيام رتيبةً علي بعيداً عن الآتي، فقط في المنزل العتيق بين جدرانٍ حملت رائحة أمي الحنون، فقد أمرني فينيكس بأن ألزم المنزل حتى يجد لي عملاً يناسبني، وقال لي أيضاً أنني لا يجب أن أجهر عن قرابتي به، فالجميع يعلم أن شقيق فينيكس قد هرب إلى البقعة المظلمة ومات هناك، يبدو أن هذه الإشاعات تنتشر بسرعةٍ فكل من يدلف إلى المصنع لا يعود،

اعترفتم بموت أبي هكذا أيها الحمقى؟، أظنون أن حزاورتكم قد رحلوا إلى الجانب الآخر بعملهم في تلك الأرض؟، لا أيها القوم، صاحب القبضة الحديدية وعين البحر والحزاورة لن يستسلموا بتلك البساطة، فقط هم لا يعودون إليكم، فالمصنع ليس وحشاً يبتلع الجميع، إنه مأوانا فقط.

أطالع الحي من نافذة أمي، كم يكتظ بالأنام، وأسمع كلمات سخريتهم من ذلك الفتى "ابن الروح الفانية" كما يدعونه، أود إخراسهم جميعاً، لا تقولوا عن فينيكس ما تقولونه، إنه رجلٌ عظيم، وسترون.

في ذلك اليوم المنصرم تغيرت حياتي، فبينما كنت غارقاً في نومي طُرق بابي الخشبي بلطفٍ مخفياً خلفه المفاجأة، يعلو صوت أنفاسي، مستحيل، أقرب من الباب بقدمٍ مرتعشة، هل أفتحه؟، لا، بل نعم!، سأفعلها، وجررت الباب بصعوبةٍ رغم خفته لأصدم بما رأيت، ليس كما توقعت، لقد خاب ظني، ولكن وفي تلك الهنيهة التي سيطرت فيها تساؤلاتي على عقلي جذبتني تلك الطفلة بأناملها البيضاء إلى مكانٍ معتم، ذكرني بالمصنع، لكن أين أنا؟، حاولت تحرير يدي من بين الأنامل البيضاء ولكنني قد عجزت، وأخيراً أفلتتني ولكن بعد أن قُيدت، وظهرت لي أطيفاً أخرى تفهقه بصوتٍ مرتفعٍ قد أصمّ أذني، أريد معرفة ما الذي يجري هنا الآن، وسط جماعةٍ من المختلات مقيدٌ

بأصفاً لا تُقهر، لينقذني أحدهم رجاءً، طفلة مهقاء
وفتيات عابسات أم ضاحكات؟، لم أعد قادراً على
التمييز، الظلام احتل المكان قبل أن تشعل إحداهن
شعلة صغيرة وهي تقول بوقع صوتها المخيف: "أمبرا
أليس كذلك؟، إنه شقيق ابن الروح الفانية الصغير يا
فتيات، ولكنه يبدو أفطن قليلاً، آه تذكرت، أنت الذي
هربت إلى البقعة المظلمة، إنه أحمق يا فتيات أسحب
كلماتي السابقة، يبدو أنك لم تتذكرني، عين البحر
أعرفك بنفسى أنا ماري ابنة العنقاء كما يدعو الجميع،
ودعني أخبرك بشيء أيضاً، فينيكس مشارك في عملية
اختطافك هذه"، وقبل أن أتلظ بحرف واحد نطقت
قطعة السكر الصغيرة تلك بصوتها البريء: "سيد عين
البحر، نحن لا نود إيذاءك ولكن ماري قاسية قليلاً في
كلماتها، شقيقك لا ينوي لك شراً صدقني، من
المستحيل أن يضمر لأحد شراً فماذا عن شقيقه
أمبرا؟"، هدأت تلك الفتاة من روعي قليلاً، تذكرت
ماري، كانت تشتعل خبثاً في صغرها، يبدو أنها لم
تتخل عن ميزتها بمرور الأيام، وتلك في الخلف أخرى
تعبس بوقار، حتى قالت والحكمة تفيض مع كل حرف
تتلظ به: "أمبرا دعني أشرح لك، نحن نريد أن تعمل
معنا، فأننا أشكل فريقى الصغير للبحوث الفضائية
وأردت أن تنضم إلينا، نحن هنا سبعة أعضاء، أنا
القائدة فيان وماري ولونا الصغيرة وروبي وميكو
اللتان تقههان طوال الوقت، وفينيكس أيضاً، وأنت إن

وافقت طبعاً، ألسنت مهندس مركباتٍ بارع؟، نحن نحتاج لأمثالك في حاصدي السُّدم، فما قرارك يا فتى؟"، تجمد لساني لوهلةً قبل أن تنير المصابيح المكان، إنه ظل فينيكس قد ظهر في زاوية الغرفة الواسعة، شرع يهرول إلينا وهو يشتعل غضباً على غير عادته، صرخ واللهب يتطاير في الأجواء مع كل بنت شفةٍ تخرج منه إلى العالم: "ما الذي يجري هنا؟، يا حمقاوات أهكذا تعملون؟، فيان لست المسؤولة عن هذا صحيح؟، فمن فعل هذا به؟، أمبرا أنت بخيرٍ صديقي؟، سأفسر كل شيءٍ أعدك، ولكن انتظر قليلاً"، في بحور صدمتي قد غرقت بينما شنت الحرب بين فينيكس وأولئك الفتيات ناسين أمري مقيداً حتى حلت لونا وثاقي خلسةً لأشعر بالأمان مجدداً بعد ساعاتٍ من الحيرة، هذه الطفلة غايةً في اللطف كحبة سكر، ولكن ما سر لون جلدها الأبيض هذا؟، وما سر عملها مع حفنةٍ من البالغين في فريقٍ للبحوث الفضائية؟، إنه سؤالٌ آخرٌ أبت الحياة الإفصاح عن إجابته حتى الآن.

أيامٌ تمضي، وأسرارٌ جديدةٌ تُكشف بعد رحلةٍ مضنيةٍ من البحث، إنها طبيعة الحياة، لا تنتهي الأسرار التي تخفى في جعبتها، فمهما سعيت وبحثت ستبقى بعض الخبايا لا تُكشف، ومهما ضاعفنا جهودنا نحن "حاصدو السُّدم" فإننا لن نعلم بكل شيءٍ وستظل صدمتنا بأسرارٍ قد أُسدل الستار عنها وكانت أقرب

إلينا من أنوفنا ولكن لم يُقدّر لنا معرفتها سابقاً كبيرة،
أنا موقنٌ أن لذلك حكمةً من الله، كيقين تلك البشرية
ميسان تماماً!، تلك الفتاة تملك يقين الكون كله في
شغاف روحها البيضاء، فمن بين حفنة الزوار الغربيين
ظهرت وثوب الحياء يُجرّ خلف خطاها الصامتة، ابنة
العلامة المقعد الطيب ياقوت الطيب، ذلك الرجل ذا
روح الطير التي تتطاير آثارها الطيبة في الأرجاء
كالريش الناعم، تيم قبطان مركبته وقلوبنا هنا، ولا
أستطيع نسيان ذلك الملاك الأعرج!، ريان فتى
التضحية والتفاني الطيب، فتى الابتسامة الأحن في
الكون وكأنه يحمل نجوم الفضاء في شذقيه، سرٌّ جديدٌ
احتل أفكاره واغتالها عنوة، وفدٌ بشريٌّ حطّ على
نوبس باغو كالغيث في أغسطس، كهبوط الشهب في
سماءٍ لم تشهدها قبلاً، لقد كانوا ستة وقلمةً تلك، ابنة
الماجلان ولكن بحلّة الحمق مميزة، فما الذي فعلته
بريان أيتها الحمقاء؟!، ليست كل نيرانٍ تضر في
وجوهنا نخمدها بالعنف، أنت تستخدمين الوقود عوضاً
عن الماء، فتكون تلك النيران لتتير لك طريقاً لم تريه
ولكنها تجعلك رماداً لا حول له ولا قوة عنوة، فتأني يا
فتاة، واحذري فنحن على حافة الخطر.

إنهم البشر، الإنذار الأخير لننجوا بأنفسنا فالخطر على
الأبواب، أو هذا ما خيّل إلي قبل انضمامهم للعمل معنا
في فريقنا الصغير، فريق الست شموع بعد ذهاب

ماري للعمل في مكانٍ آخر، لقد كان انطفاء إحدى الشموع أمراً مروعاً لنا، فلا تستطيع الشموع قتل العتمة إلا بتكاتفها جميعاً، ودون إحداها ستذوب الشموع عبثاً، كما اشتعلت نيران الغضب في الفريق قبل انسحاب ماري بهدوءٍ وخلفها خيطٌ من الرماد، إنه أثرها فينا، ذا وقعٍ أسود، رغم عدم إمامي بكل التفاصيل ولكنني أجزم أن سبب المعضلة لم يكن يستحق كل ما حصل، لا أبداً فأصدقائي ليسوا أغبياء ولكنهم لم يأبهوا لآثار شجاراتهم يوماً، فها هي الآثار قد ظهرت جليّةً باختفاء طيف ماري، وهذا الفريق بعد حدوث ذلك، وإلى اللحظة أحاول معرفة سبب ما جرى، ولكن الأسباب لا تود إظهار نفسها رغم سؤالي للجميع عنها، ولكنني لم أجاب إلا بالتجاهل والعبارات اللامرئية التي ازدحمت بها العيون، وحتى عندما ألححت على لونا لتهمس لي بحرفٍ واحدٍ اعتذرت بشدةٍ وقالت لي وهي بالكاد تستطيع حفظ رباطة جأشها: "إن لم يخبرك أحدٌ فذلك يعني أنك لا يجب أن تعلم صديقي، فأنا لست مخوّلةً للبوح، ولست مخوّلةً لمعرفة ما تريد معرفته ولكنني اكتشفت الخبايا بنفسني، أتعلم؟، أحن إلى ماري، لقد كانت لطيفةً جداً معي، يجب أن تعود!". صرخت بكلماتها الأخيرة وقد استسلمت لعبراتها التي غزت وجنتيها البيضاءوتين كقمرين صغيرين، أودّ أيضاً أن تعود ماري لتعمل معنا مجدداً ولكن الكسور التي حدثت لن تُجبر بتلك

السهولة، ولكن وإن عادت؛ سنرحب بالشمعة السابعة بحبور، فهي منا في نهاية المطاف، وحاصدو السُّدم لن يكتمل إلا بنا جميعاً، وبتحادنا لن نُخمد قناديل المعرفة مجدداً.

أصبحنا اثنا عشر قنديلاً ومازلت أشعر بالعممة تغزو الأرجاء، فمهما أضاء البشر دروبنا لن نكتمل، ولن نكون حاصدي السُّدم هكذا، رغم نهش الفضول لعقلي وأفكاري تجاهلت فضولي فتلك هي سنة الحياة، أنامُ ترحل والغازُ تظهر، والتفتُ إلى قوة البشر وفطنتهم رغم عدم تقدم تقنياتهم كخاصتنا، ولكنهم لم يعرفوا الاستسلام يوماً وعاشوا بآمالهم ويقينهم بالحياة، تلك كانت مسوغاتٌ كافيةٌ للإشهار عن ذكاء تلك المخلوقات، ست مخلوقاتٍ والكون كله، إذا قارنا بين الطرفين ستهوي كفة الميزان لصالح البشر، فهم ليسوا مجرد أجسادٍ تنفذ مطالب عقولهم، إنهم ذوو أرواحٍ تنبض بالحياة بين جنببيهم، وليس كحالنا، رغم امتلاكهم الأشرار من صنفهم ولكن من المستحيل أن يصلوا لمستوى الذي اعتاد عليه الماجلان، فبعضنا يحمل قلباً فولاذياً والبعض لا يملك واحداً أصلاً، فلا تحاولوا أيها البشر أن تكونوا مثلنا وتشوهوا أثركم الجميل، ابقوا زهوراً أرجوكم أصدقائي، فريق الرحلة الواحدة والعشرين.

دقّت نواقيس الخطر، إنها السماء تشعّ بأضواء الحرب،
 حانت ساعة الصفر، يجب أن ننجوا بجلدنا، يجب أن
 نهرب، ولكننا وبكل بساطةٍ قررنا الاستسلام للشعاع
 المضئية التي ستغزو أرواحنا وتبيد أرضنا على بكرة
 أبيها، ونحن دون حولٍ ولا قوةٍ هنا، فأين نحن من
 أسلافنا؟، لقد واجهوا أطيف الحِمام المتناثرة في
 الأجواء طويلاً لنحيا، وها نحن الآن رفعنا الرايات
 البيضاء لترفرف بفضل رياح الموت بقوة، فالموت
 زوابعُ الآن، هائجةٌ تردعنا عن التمسك بأرض الحياة،
 منذ زمنٍ بدأت وظلت تحتّ الماجلان على الاستسلام،
 وها نحن كدنا ننصاع لها لولا كلمات رجل اليقين ذاك،
 ياقوت حين قال بصوته الواثق كلمات لها وقعها المميز
 على قلوبنا: "سننجوا، فنحن نخبي في جعبتنا ما يقينا
 من أطيف الموت التي كادت تخترق قلوبكم الضعيفة،
 لدينا علمنا يا سادة؛ ولدينا اليقين بالله فهو لن يخذلنا أبداً
 إن شاء الله."، ربما هو لم يتوقع ذلك الأثر الذي تركه
 في قلوب المستسلمين، ولكنه كان يعلم أننا نحن
 الماجلان أقوى من أن نُهزم بهكذا صراع، أذكى من
 أن تسحقنا النجوم، أو هذا ما حسبه، لا يا عم، نحن
 لسنا الأذكى هنا بل أنتم، ولست أنا القبطان بل صديقك
 تيم أيها "الرئيس ياقوت"، تستحق اللقب يا من مددت
 لنا يد العون لنتشبث بها بكل قوتنا وبنجوا، يداً من يقينٍ
 وثقةٍ بالله، فهنا نحن قد عدنا للعمل بعد ساعاتٍ من
 التخبط في جدران حيرتنا وعجزنا، نبحت عن كل خيطٍ

يصنع لنا بساط النجاة الدافئ، نتدثر به ونهدأ كطفلٍ صغير كان يخشى لسعات البرد، كل شيءٍ بخير فنحن نعمل لحيواتنا الآن، وتلك المركبة على وشك أن تسلم نفسها للفضاء وتغرق بين زحام نجومه، وأولئك النسوة يحضرن المؤن من طعامٍ وشرابٍ ولباس، والأطفال يركضون هنا وهناك يرمون ما حضرته أمهاتهم في المخزن الكبير، العرق ازدحم على الجبهات، الجميع يعمل عدا ذلك الفتى ذا الوجه المحترق بالدماء من شدة الألم، إنه يقاسي وحوشه الخاصة وحده دون أن نستطيع مدّ يد العون إليه، أشعر بالأسى من أجله، فهو أطف من أن يواجه ألماً كهذا حقاً، وأرق من كل الصراعات التي أرادت سحقه هو وفريقه الصغير دون جدوى، فما ذلك الماضي الذي سبب الحرب مع كاميراتٍ صغيرةٍ منذ قليل؟، ومن أولئك الذين سيكونون سبباً لنجاتنا بعد أن كانوا سبباً لتدمير البشرية، ما الذي نحن مقدمون على فعله؟، إلى أين سنتجه أيها البشر؟، لا أعلم ولكننا لا نملك حلاً آخر للنجاة.

حدثت مفاجآتٌ وسط الزحام، واستطعت ملاحظة الكثير، فما الذي همس به العنقاء في أذن فينيكس قبل برهة؟، وما الذي حدث ريان فينيكس عنه وسط الحشود؟، وما الأسرار التي خبأتها فتاة الكتب في جعبتها؟، وما الذي ظلت ميسان والعم ياقوت يهتمان

به طويلاً منذ رأيتهم أول مرةٍ حتى اللحظة؟، وما سر غضب لوكاس القاسي وستيلا الطيبة من حفنة البشر وقلّة تلك؟، هناك الكثير من الألغاز لم تُكشف حتى اللحظة دلّلت عقلي، وأهم ما غزا أفكاري، هل سنصل إلى بر الأمان في نهاية المطاف؟.

وسط النيازك نُسحق وضجة الفولاذ احتلت المكان دون أثرٍ على الفضاء الأبيك، لا تستسلم للصخور أيها القبطان، تذكر أن الجميع يعتمد عليك، فبقدرتك أنت ومساعدك الماهر تيم ستتنجو المركبات من سيول الفضاء، فقط ابق هادئاً واسترجع مهاراتك في التحكم بالمركبات المعقدة، فلن تضيع جهود صاحب القبضة الحديدية سداً، اجعله فخوراً، واجعل ثقة الجميع بك تزداد أيها القبطان، والأهم من كل ذلك، اعتذر لروح والدتك التي قاست فراقك دون أن تشعر، أظهر مهارتك وحصاد تلك السنين المنصرمة الباهر، لا تكن مرآة كلمات الناس المادحة لك فحسب، وارسم انعكاسك الخاص، فأنت مختلف، فتى المعجزات الذي واجه سيل النيازك بمركباته بكل شجاعةٍ وأنقذ الجميع من دمارها المحتم، إنه القبطان، ملك أجهزة القيادة يأمرها بما يشاء، وليس ملك الأجهزة فقط، بل ملك الرحلة أيضاً برفقة حاصدي السُدُم والبشريين وبعض الماجلان الشجعان الأخر، حفنةٌ من العلماء لن تهزمهم الحياة فهم الحلقة الأقوى هنا، وسيحطون بشعبهم إلى

بر الأمان رغماً عن أنف الصعاب التي ستواجههم فهم مسلحون بأقوى الأسلحة التي عرفها الكون، العلم واليقين بالله.

وسط المواجهة ضد النيازك ازدحمت فوق رأسي تساؤلات الوري، اهدؤوا قليلاً أرجوكم سنكون بخير أعدكم بذلك، ولكن اصبروا قليلاً وثقوا بي، سننجوا، هيا أمبرا ستفوز!، وبالفعل ذلك ما حصل، وعادت المياه إلى مجاريها بعد طول حرب، الحمد لله، مرت نصف الرحلة على خيرٍ من بعد سيل النيازك ذاك، ولكن أمنياتنا لن تُحقق بتلك البساطة، يجب أن ندفع الثمن، وعائقٌ آخر ليختبر صبري، ولكنني لن أستسلم، توقعت حدوث ذلك وأمتلك بالفعل خططي، لن تعيق رحلتنا يا خزان الوقود الفارغ، فرغم أننا لا نملك قدراً احتياطياً كافياً لاستكمال الرحلة، ولكن ما نملكه كافي جداً لنحط على كويكبٍ ما ونحضر مصدر طاقةٍ ما، ولو حتى حفنة تراب، ستكون كافيةً لإشباع المركبة بالقوة لإيصالنا لوجهتنا، أرايت أيها العالم؟، أمبرا ليس خصماً سهلاً، ولا رفاقه أيضاً، وثق أيها الكون أنت لن تربح هذا النزال مادمننا معاً، مئة جسدٍ وروحٍ واحدة، هذا ما نحن عليه الآن.

- ١٨ -

ياقوت...

لحظاتٍ تمر، ومفاجآتٍ نعيشها أجملها وأقبحها بذات الروح الصابرة الهادئة، فضائيون نلتقي، ومعهم نقضي الأفراح والأتراح وبعونهم سنواجه الصعاب إن شاء الله، فقد وصلنا بهم إلى طرف خيط النجاة، بل خيوطٌ ذهبيةٌ مشعة، العلم، الخطة، التوكل، واليقين، أسلحتنا ضد هذا الكون المتهاالك، فالنجوم تهجم الآن، والقبضات تحتضن الجراب الفضية خاصتنا، لقد عشنا الهدوء في الأيام السابقة وحن وقت الحرب الآن، نجنا يا الله فنحن مجرد حبات غبارٍ تتطاير برياح الحياة الشتوية، واحمنا فمركبتنا رغم إتقان صنعها فهي مجرد قاربٍ ورقبيّ صغيرٍ في بحر العناقيد النجمية، نحن لا شيء رغم كل ما صنعنا، مخلوقاتٌ تخطئ وتصيب، تحيا وتفنى رغماً عن الجميع، تحمي مبادئ وأسرار وقد لا تستطيع مثلي، فرغم صوني لمفكرة الطبيب السوداء العتيقة إلا أنني أجزم أنني قد أبصرتها بين يدي شخص آخر، لا أعلم كيف وصلت إلى نوبس باغو حتى ولكنني أخشى من الأسرار التي أخفيت خلف وجودها بين الكتب في المكتبة الكبيرة تلك، وأيضاً أخشى من بقية الأسرار المخفية في أرجاء الأرض، فما الذي انجلى لميسان والبقية خلف الرف السادس عشر؟، وما الذي أخفاه ريا وماريا وريان عن

الجميع؟، وكيف وجدوا بشراً على أرضٍ ما؟، هناك الكثير من الأسرار، وبعيداً عن كل شيء، ريان منجم أسرارٍ يجب أن ينقب عنه، فخلف تلك الابتسامة الدافئة قد أخفي الكثير، أسرارٌ لا تُعد ولا تُحصى، ليكون الله في عون ذلك الفتى فالكتمان حملٌ ثقيل، أود إزاحته عنه حقاً، أود تحطيم جدران صمته ولو بمطربةٍ من زجاج، فقط ليفشي بما اعتلج في صدره طويلاً، ليقتل الشبح الأسود داخله لكيلا يحطم قلبه إلى فتات.

تتراحم المخلوقات إلى البوابات هرباً من أطيف الحمام التي احتلت الأجواء، ولو هلة صرخ قلبي: "إنها نهاية العالم، سنموت جميعاً"، كم أنت ضعيف، ألا تؤمن برسالتك التي خلقت لإيصالها؟، أعلم أن قلبي ليس بقلبٍ نقي، وأعلم أنني لست مخوَّلاً لأحكم الأنام، ولكنني أوّمن أنني ما خلقت عبثاً، وأؤمن بقدرتي على تهدئة الوضع الكارثي ولو لهيئة، وأؤمن أنها ستكون كافيةً لالتقاط طرف الخيط، وهذا ما حدث حقاً، فحمداً لله أننا جميعاً على سطح المركبة نبحر بين النجوم الآن، أمبرا وتيم، أمل أن تستطيعوا تحمل هذه المسؤولية وأن نحقق مبتغانا على أيديكم، نثق بكم!، فأنتم أهلٌ للثقة.

لا زوابع في الفضاء، ولكن ما تلك الضجة التي أصمت أذناي؟، لم تستمر طويلاً ولكنها كانت مدة كافية لترهب الجميع مجدداً، سيل نيازك كالبرد انهال

عائنا من كل حدبٍ وصوب، لقد نجونا بفضل الله سريعاً ولكن ماذا الآن؟، سكونٌ غزا الأجواء عنوةً، أطفئت الأنوار، صممت المحركات، وعمّ الخوف الأرجاء، فأمبرا القبطان لم يخبرنا عن ماهية مصيبتنا الآنية، جررت كرسيّ بخفةٍ على الأرضية المعدنية صوب حجرة القيادة ولكن كفاً انتشلتني إلى الزاوية فجأة، ما الذي يحصل؟، من أنت أيها العجوز الهرم؟، دعني وشأني، كدت أنطق بتلك الكلمات اللاسعة قبل أن يصعقني ذلك الهرم بكلماته حين قال بصوته الأجلش ذا الوقع اللطيف: "الطبيب ياقوت صحيح؟، الحكيم البشري، بحثت عنك طويلاً، أريد التحدث معك عن أمرٍ مهمٍ سيدي، أتمنع ذلك؟"، وبانفعالٍ شديدٍ أخرجت ما خبأته بين طيات أفكاره إلى العالم دون أن أعي في وجهه من قد صرخت: "من أنت يا هذا؟، لا أملك وقتاً لك ألا ترى أننا قد نُحطم بكويكبٍ في أي لحظة؟، ابتعد عن طريقي أرجوك، لدينا أرواحٌ لنحميها"، دون سابق إنذار تلقيت صفةً كالعاصفة على وجنتي حتى احمررت من وقعها الشديد، وما عاد الصوت لطيفاً حين صرخ بالحقيقة على حين غرة: "لا تستولي على عملي يا صلوك!، أتظن نفسك قد حكمت شعبي؟، أفسح أنت المجال للعنقاء يا سيدي، هناك أمورٌ ستعود إلى نصابها"، دفنت رأسي في الأرض لوهلةً قبل أن أدرك ما قال وأصرخ بذلك الرجل معذراً: "العنقاء، أحقاً؟، أعتذر بشدة، لحظةً أيها العنقاء، هل أستطيع سؤالك

عن بعض الأمور؟"، نار الحماس قد اشتعلت في عيني وقلبي يكاد يخرق أضلعي من وقع الصدمة، أحقاً هو العنقاء؟، أنا لم أصادفه قبلاً، أردت مقابلته بشدة، وها هو الآن نصب عيني ولكن بعيداً عن صدى صوتي الراجي، أو هذا ما حسبته، فقد لاقاني العنقاء بابتسامةٍ درداء تشع نوراً ولطفاً توحى لي بالقبول، هناك الكثير من الألغاز ستحل إن أُجيببت تساؤلاتي، زوابع الحماس تنبض فيّ الآن، أود إسدال الستار عن الغموض أخيراً، أود نهل المعرفة لأوقف نزيف الجهل الذي أراق دماء أفكارٍ، معرفتي تهرب أدراج الرياح بعيداً، حتى ستيف لم يعد كما كان قابلاً وربما هو مجرد آلي، ولكنه مثلنا تماماً يتغير باختلاف بيئة عمله، ربما هو مجرد شريحةٍ صغيرة، ولكنها تنبض بالحياة.

مرت اللحظات بصمتٍ مطبقٍ قبل أن أنبس أولاً للعنقاء مستأذناً إياه أن أشرع بطرح الأسئلة، فأوماً برأسه بأن "أجل" وعاد لجموده الغريب، كدت أنطق لولا أن المفاجأة الجديدة قد ردعتني، العتمة احتلت الصمت وتقاومت الرهاب فينا معه بالفعل، ولكن فجأة، أضواءً حمراء وصفاراتٌ ذات وقعٍ يشي بـ "نحن في خطر!"، حقاً، لقد كنا في خطر، ولكن أمبرا كان قادراً على تلافي المشكلة بخطةٍ جيدة، فكما وصل لنا من صدى صوته في المكبر: "الأمور تحت السيطرة، فقط نحن لم نعد نملك وقوداً كافياً لاستكمال الرحلة، ولكن لا بأس،

لدي الحل، فقط اصبروا قليلاً."، همست لنفسي في الوهلة الأولى: "بماذا تهذي يا فتى؟" ولكنني سريعاً ما استدركت خطته، حظاً موفقاً لك أيها القبطان الماهر، سننتظرك حتى تحل المشكلة بفارغ الصبر، مشكلتنا جميعاً.

ومن دون أن أشعر تقدم العنقاء وسط الظلمات متجهاً صوب مقر القيادة، تسمرت مكاني لهنيهة قبل أن أجرّ مقعدي بسرعةٍ رغم عدم إبصاري لما أمامي، يجب أن أعلم ما الذي يجري هنا، ربما أنا مجرد بشري وسط العباقرة، ولكن من حقي أن أعرف بما يجري هنا.

ازدحم المقر بشراً وماجلان، فهنا اجتمع حاصدو السم جميعاً من بعد استدعاء أمبرا لهم، وتلك الممرضة المساعدة ماري أيضاً، والعنقاء وأنا، شرع العنقاء بطرح أسئلته على القبطان فأجابه بهدوء: "سيدي العنقاء، لدينا هنا من الوقود ما يكفي للمركبة الصغيرة الاحتياطية في الخلف، نستطيع أن نصل بها إلى أقرب كويكب لنحصل على مصدر طاقةٍ ما، هذه المركبة تتسع لثلاثة أشخاصٍ فقط، سنذهب أنا وتيم وفينيكس، اعتمدوا علينا!". احتل الصمت الأجواء للحظة قبل أن يصرخ العنقاء كما لم يصرخ من قبل: "أغبي أنت؟، كيف ستترك المركبات هنا دون قبطان، لن تذهب أنت، يجب أن تبقى هنا، لا تصبح أحمقاً يا غلام، توقف عن قول الترهات الآن، مازلت ذلك المتهور الذي نعرفه

جميعاً." وتتهد للحظة قبل أن يهمس بهدوء: "لتذهبي أنت ماري"، ماذا؟، ما الذي تقوله؟، المهمة تحتاج إلى أقوياء، إضافة إلى خطورتها، كدت أصرح باعتراضي لولا أن فينيكس قد حسم الوضع بكلماته الغريبة متجاهلاً كلمات العنقاء: "ريان، أتستطيع الذهاب أنت؟، نحن نحتاج إليك، لا أحد هنا غيرك يستطيع الذهاب فبحسب ما قاله العنقاء منذ قليل يجب أن يبقى أمبرا هنا، ويبدو أن ساقك تتحسن، نحن نعتمد عليك، نريد النجاة."، استشاط العنقاء غضباً قبل أن يهمس فينيكس له بصوته الحنون: "اعتمد علينا سيدي، لن نخذلكم إن شاء الله."، هدأت الزوابع لوهلة قبل أن تصرخ ماري بنبرة قاسية: "لحظة، كيف توكل أعرجاً بمهمة خطيرة كهذه؟، قد يظهر لكم شيء ما وستحتاجون للركض والهرب، وهو بالكاد يستطيع المشي حتى، أتراني فينيكس أضعف من أن أذهب في مهمة أوكلها لي أبي؟، أنا أثق بقرارات العنقاء أكثر منك أيها الأحمق."، التفتت ماري إلى والدها ليهمس لها بصوته الحنون: "ثقي بالعنقاء يا بنتي، إنه الأحمق الذي تستهزئين به، هو على حق، ريان مناسب للمهمة، بالتوفيق يا فتيان."، احتل الصمت المكان لوهلة قبل أن ينبس أمبرا لفريقه الصغير: "هيا اتبعوني، نثق بكم!."، رحلوا جميعاً في حين كنا نحن نتخبط في حيرتنا، واستأذن العنقاء للذهاب قبل أن تستوقفه ريا قائلة: "سيدي أنا لا أعلم من أنت، أو كما يدعونك العنقاء،

يبدو أنك مشبعٌ بالغموض، فأود منك مساعدةً إن وافقت، هناك بعض الأسرار هنا أريد اكتشافها، فهل تساعدني في ذلك سيدي؟"، يا لجرأتك يا فتاة، وبكل برودٍ تتحدثين عن أمرٍ خطيرٍ كهذا، أرجو أن تجدي من العنقاء الإجابات التي تبحثين عنها فقد وافق على طلبك، ولكن كوني حذرةً فالمفاجآت بانتظارك، تراقبك من كل حذبٍ وصوب، ستنتظر شرودك وتنقض عليك في آنٍ معاً كالأسود الضواري، فتأهبي واستعدي للمعركة واستلي سيفك الفضي، فليس كحالنا، ستبدأ حربك الآن!.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

-19-

ماريا...

ماذا الآن؟، المزيد من المشكلات؟، أسنموت هنا في الفضاء الفسيح قبل أن نصل إلى البشر على ذلك الكوكب الذي أضحي مستعمرتهم الخاصة؟، أم سنصل بعد دهرٍ من المشاق لنجد السيوف قد أُستلت وأُشهرت في وجوهنا من كل حدبٍ وصوب؟، لا أعلم حقاً، لا أحد يعلم، نحن فقط سلمنا أمرنا لله لعله ينجينا من كل الصعوبات التي واجهتنا والتي ستواجهنا مستقبلاً، فنعم التوكل والثقة، سننجوا إن شاء الله.

وسط الزحام قد أُشيد صراع الكلمات فمن سيفوز في النهاية؟، من سيستحوذ على المقعد الثالث في المركبة الصغيرة المرسلّة لإحضار مصدر طاقةٍ للمركبة الضخمة بعدما تخلى عنه أمبرا بأمرٍ من ذلك العجوز المدعوب "العنقاء"؟، من سيسلم نفسه إلى وحوش الخطر لتنهشه نهشاً؟، أياً كان فهو أحمقٌ كبير، اتركوا هذا المقعد للوكاس قبل أن ينتزعه منكم بنفسه، أوليس قائد البحوث العلمية هنا؟، فهو أحق بالمقعد من أيِّ منكم، ولكن لأهتم بشؤوني الخاصة، حلوا مشاكلكم بأنفسكم فلن تستمعوا لرأيي على أي حال، فمن هذه الناحية أنا أستسلم واترك زمام الأمور لكم يا رفاق.

في نهاية المطاف ذهب تيم وفينيكس وريان في تلك المهمة، وبالطبع لم يكن أمبراً أحمقاً فقد أخفى عنا أمر وجود المقعد الرابع المخصص للوكاس ذاك، فذهب هو أيضاً، رغم أنني أشعر بضالة نسبة نجاحكم ولكن أرجو لكم التوفيق من أعماق قلبي يا فتيان، فبعد كل شيء إن نجحتم ستتنقذون حيواتنا جميعاً، نحن وضعنا أرواحنا في قبضتكم الحديدية، وإن صدأت؛ فهي لن ترخي أناملها أبداً، تماماً كطفلٍ صغيرٍ احتضن في كفه زهرةً انتشلها من الحقول لأمه الحنون، لن يفلتها حتى تصل إلى الكف الأحن.

لحظة، ما الذي تفوهت به تلك الفتاة للتو؟، ريا أتهذين أم ماذا؟، أبكل تلك البساطة سيفشي لك العنقاء عن أسرار عالمه؟، تحلمين، فمهما حاولت لن يقول حرفاً واحداً، هو ليس أحمقاً في نهاية المطاف، أنت ترمين نفسك في النار يا غبية، ألا ترين إلى أين يؤدي بك فضولك في كل مرة؟، كنت أريد ردعك ولكنني أعلم جيداً مع من أتعامل، لذلك دعيني أعرف ما الذي سيجري فأنا ينتابني الفضول أيضاً.

وعدنا إلى أرجاء المركبة المختلفة بعد الاجتماع في حجرة القيادة، الجميع يشعر بالتوتر، لا أحد بخير، سوى اثنين، السيد ياقوت وذلك العنقاء، فماذا وإن لم ننجوا؟، فستوافيهم المنية قريباً على أي حال، ربما لم أكن أريد العيش في السابق، ولكنني أرغب بذلك الآن.

كنت أحسب أننا قد عرفنا الثقة بالله، ولكن كلمات السيد ياقوت كانت مجرد ذراتٍ تطايرت مع الزوابع النجمية، وأول من رمى الحكمة أدراج الرياح هي ميسان، ما بالك يا فتاة؟، ما تلك الرعشة التي سكنت أوصالك؟، والخوف قد احتل قلبك، وما بال ريا أيضاً؟، بالكاد تستطيع كبح عباراتها قبل أن تلوث وجنتيها، وفيها صرخاتٌ قد كُتبت بصعوبة، استوقفت فلمّة الفتاتان دون أن تلاحظ شحوبهما قائلةً والخبت ملء شديها: "ريا ألم يجبك العنقاء عن أسئلتك؟، بالتأكيد قد أخبرك بكل شيء، حمقاء!". وكالسهم قد انطلقت حروف ريا المرتعشة مع سيل الدموع في فضاء المركبة الكبيرة محطمةً هدوء الأجواء مشهرةً عن سبب الشحوب الذي قد سكن الفتاتين وهي تقول: "لقد أجابني حقاً، وليتني ما علمت شيئاً". وفرت هاربةً عنا وللعبرات وقع على الأرض المعدنية كسمفونيةٍ مرعبة، حاولت اللحاق بها ولكن ميسان قد نهتني عن ذلك، كانت تقول وبالكاد قد حفظت رباطة جأشها للحظة: "أرجوك ماريًا، دعيها وشأنها قليلاً، لقد عرفنا ما أفزعنا، حتى أبي بالكاد تماسك أمامكم، وريا، لقد حطمت الكلمات قلبها إلى غبار، إنها منهارَةٌ ولم تعد تستطيع تصنع القوة كسابق عهدها، فأرجوكن دعوها وشأنها قليلاً، قدروا ألمها ولو قليلاً، حتى وإن أخفته عنكم". وقد رمقت فلمّة بنظرةٍ توشي بالكثير حتى جعلت الأخيرة تعتذر من أعماق قلبها حزناً على تلك

الفتاة، وقد لحقت بجملة "أنا أعذر حقاً" التي صدرت من فاهها بخفوتٍ وبحروفٍ قد هزت الأجواء فقالت ميسان بنبرة حاسمةٍ ساخطة: "أتسمي ذلك اعتذاراً حتى؟"، وعلى كل حالٍ هناك شخص آخر ستعتذرين منه وبشدة، أرجو ألا يعلم شيئاً لكيلا ينهار هو الآخر."، ما الذي تتفوه به تلك الفتاة؟، لا أفهم شيئاً، ويبدو أنها لن تفصح عن حرفٍ واحد، ولكن سأجرب، "ميسان!، من تقصدين بهو؟"، وعلى عكس توقعي قد نطقت قبل أن تولينا ظهرها قائلةً: "أنتساءلين؟، أقصد ريان، أرجو أن تتفهموا الوضع حقاً".

احتل الصمت الأجواء لوهلةٍ قبل أن يصمّ أذني صوت وقع أقدام فلمّة الصغيرة التي نوت اللحاق بخطوات ميسان قبل أن أجذبها من شعرها الملتهب بعنف، اعتقدت أن كفي سيحترق للحظة، هذا ليس مهماً ولكن "ما الذي كنت مقدمةً على فعله يا حمقاء؟"، صرخت في فلمّة والنار تكاد تخرج من عيني من شدة الانفعال، أجابتي بصوتٍ خافتٍ وهي تهذب مظهر شعرها الأشعث الطويل قائلةً: "كنت سأسألها عن موقع العنقاء ذاك، أنا أريد أيضاً أن أعلم عن تلك الأسرار."، تنهدت قبل أن أكمل صراخي على تلك الحمقاء قائلةً بصوتٍ قد بُحّ من شدة الغضب: "يا غبية، لقد أخبرهم بشيءٍ يخصنا نحن البشر فما شأنك أنت؟، وأيضاً ألم تسمعي ما قاله لابنته ماري تلك؟، فينيكس هو العنقاء الآن، لا

أعلم كيف ولا أفقه شيئاً عن العنقاء من الأصل ولكنك بالتأكيد لن تجدي ضالتك عنده، فالزمني مكانك دون أن تحدثني فوضى قليلاً، أرجوك."، حل الهدوء لهنيهة قبل أن تقول بخفوتٍ كطفلةٍ صغيرةٍ "حاضر"، وأخيراً تنفست الصعداء بعد سيلٍ من التوبيخ، ولكن حقاً، ما الذي أخبره العنقاء السابق لهؤلاء؟، أنا أيضاً أريد أن أعرف، هل أخبرهم بما يتعلق بالبشر حقاً؟، ولكن كيف سيعلم عنا وهو في بقعةٍ بعيدةٍ عن عالمنا؟، وهل انطلقت على فلمةٍ كذبتني أم أنها قد شعرت بالتناقض أيضاً؟، لا أعلم.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٢٠-

ريان...

بعد سيل النيازك أعلمتني الطبيبة فيكتا بموعد جلسة العلاج الأخيرة، وحان الوقت، لم تكن هذه الجلسة كسابقاتها أبداً، لم تمر الأمور ببساطة هكذا، فليس مجرد أنني برفقة تلك الجثة البشرية مجدداً، لا، لقد كانت المفاجأة أكبر بكثير، أطفئت الأنوار وبدأ ناقوس الخطر بالصراخ عنوةً، لحظة، صوتٌ آخرٌ قد احتل مسامعي، صوتٌ صادرٌ من تلك الجثة، صوت سعال، استفاق البشري؟، كدت أذهب إلى الجانب الآخر من الحجرة المعتمة ليأتي أرى بوضوح ولكن استدعاء أمبرالي قد وقف حائلاً دون معرفتي شيئاً عن الجثة، اتجهت صوب مقر القيادة أجر نفسي جرأ بكل ملل، ما ذلك الشيء المهم الذي منعني من التواصل مع ذلك البشري؟، أمل ألا أُخذل.

حالما وصلت وجدت الجميع هنا، يبدو أن الأمر مهمٌ حقاً، لكزت فينيكس سائلاً إياه عن سبب الاجتماع ولكن دون جدوى، وأخيراً تحدث أمبرا عن سبب استدعائنا جميعاً، ما الذي تتشاجرون بشأنه الآن؟، وتقررون مصيري دون أن أنبس ببنت شفة أيضاً، حسناً، سأذهب بساقي الغبية تلك في المهمة الخطيرة التي نتحدثون عنها!.

لم أسمع حرفاً من كلمات الحشود إلا عندما أخبرنا أمبراً باتباع خطواته وحين أسرت ريباً لذلك المدعو بالعنقاء عن رغبتها بمعرفة الأسرار المخفي أيضاً، أرجو حقاً ألا يعلمها بشيء، فبالتأكيد هي أخطر من أن نكتشفها، الأسرار لم تدع بذلك من فراغ، ولم تُخف عنا دون سبب، أجزم أنها ستندم إن عرفت ما أخفي في قلب ذلك العجوز، سنندم جميعاً.

بالكاد ازدردت لعابي من شدة خوفي، فها هي المفاجآت مازالت تنهال على رأسي كالسيول، وزوابع الرعب قد هاجت فيّ، ولكن كما نجونا من حزام النيازك سابقاً سننجوا الآن إن شاء الله، فقط لتدعوا لنا يا أصدقاء، وكونوا على علمٍ أن فينيكس وتيم ولوكاس لن يُهزموا، أما عني أنا، فربما سأحتاج للمساعدة.

كان المكوك صغيراً جداً، لا أستطيع فعل شيءٍ فيه سوى التفكير، وشرعت التساؤلات تتسلل إلى رأسي دون هوادة، أشعر أن صديقي الجثة البشرية ليس بأي أحدٍ هكذا وحسب، فلو كان كذلك؛ لما كان الآن حياً، وذلك الكتاب العربي الذي سرقتَه ريباً، إنه يحمل الكثير من المفاجآت حتماً، أريد معرفة المزيد عن كل شيء، ولكنها أسرارٌ قد أخفاها الله عنا لسببٍ ما، وأنا أو من بهذا السبب من أعماق قلبي مهما كان.

وكأننا مقيدون، حطّ مكوكنا على كويكبٍ صغيرٍ دون أن ننحرف عن المسار شبراً واحداً، تزلزلنا من

المركبة والحذر قد أخذ منا الكثير، كدت أتُنفس الصعداء لولا أن فينيكس قد أغلق كلاً من فمي وأنفي، كدت أهرب من اختناقي في المكوك الصغير ناسياً خطورة ما كنت سأقدم على فعله، ففي نهاية المطاف نحن لا نعلم شيئاً عن ماهية هذا الكوكب أو ما قد يحمله من غازاتٍ ومخلوقات، ربما أخفي الخطر عنا خلف تلك المرتفعات اللائحة في الأفق، وربما هناك بين الضباب ضواري تكشر عن أنيابها لتفترسنا جميعاً، شرعنا نمضي إلى الأمام بحذر، أرضٌ جرداء لا نبات فيها، فقط حصيٌّ أبيض هنا وهناك، استوقفنا لوكاس لوهلةً قائلاً بحزم: "لقد قال أمبرا أن حفنةً من التراب ستكون كافيةً لنصل إلى وجهتنا، ولكنني لا أظن ذلك، فأمبرا لا يعلم أن الغذاء على وشك النفاذ أيضاً، هناك شيءٌ يتحرك هناك، لا بد أنه مخلوقٌ ما، لنصطده!". أمجنونٌ أنت يا فتى؟، "توقف يا أحمق"، لم يسمعني وبدأ بالجري محتضناً حِربته الفضية التي عكست شكل المخلوق الغريب ذاك، يبدو غايةً في الرعب، ذا قامَةٍ ضخمةٍ وأنيابٍ لامعةٍ كالعاج، كاد المخلوق الغريب ذاك ينقض على لوكاس لولا تدخله في المجزرة قبل أن تحدث، جذبت لوكاس بعنفٍ وركضت به بعيداً حتى أضل الوحش الطريق إلينا، وحالما وصلنا إلى المكوك تنهدت بصعوبةٍ وقد اشتد ألم ساقِي كثيراً، أردت أن أصرخ ليت الألم يهدأ قليلاً ولكنني لم أفعل خشية قلق البقية علي، كتمت وجعي

بصمتٍ حتى أحضر تيم وفينيكس قليلاً من التراب
لنعود إلى المركبة به، لقد كانت تلك غنيمتنا التي
استحقت كل ذلك الألم الذي أقاسيه الآن، ولكن حمداً لله
أن كل شيءٍ مر على ما يرام، كنت أظن أن المفاجآت
ستنتهي هنا ولكن لا، فمازالت الصدمات تحوم حولي
من كل حدبٍ وصوبٍ تنتظر اللحظة المناسبة
للانقضاء على قلبي وتحطيمه، كنت أجهل الكثير،
وليتني بقيت كذلك ولم تحل علي لعنات الصدمة أبداً،
فخلف ما أخفي عني أضمرت النيران التي ستتهشني
حالما أحطم جدار الأسرار اللامرئي ذاك.

صوت الضجيج يحتل المكان، ما الذي حدث هنا؟،
ازدحمت المركبة بالفوضى حالما وصلنا، بينما كان
الجميع يرحب بعودتنا سالمين مع الكنز كنت بالكاد
أستطيع التكم عن ألمي، اتجهت صوب الطيبة فيكتا
على جناح السرعة عليها ترشدني إلى علاج للعلاج
السابق، ولكنني فور رؤيتها أستقبلت بنظراتٍ غريبةٍ قد
بدا الغضب جلياً فيها، ما الذي أصاب الجميع بمن فيهم
الطيبة الطيبة؟، تقدمت لأبادرها بتساؤلاتي فاستوقفتني
قائلةً بحزم: "ريان، لن تستطيع استكمال علاجك، وإلا
ستؤذي صدقني، وأيضاً يا فتى، استعد للعاصفة
الهائجة في قلوب أصدقائك البشر، ستشدد أكثر فيك
فحصن قلبك الهش."، تسمرت مكاني لوهلةٍ قبل أن

أذهب إلى "أصدقائي البشريين" مسرعاً، أريد فهم ما الذي قصدته بالعاصفة، وحالما فهمت؛ ندمت.

ها هو تيم والحزن يحتل ملامحه، كدت أتخطاه ذاهباً إلى البقية ولكنه استوقفني قائلاً والنيران تلتهب في نظراته وأنفاسه: "ريان توقف!، أكنت تعلم بكل شيء؟، ما الذي فعلته وجماعتك أيضاً؟، أي جرائم أخرى، أجبني!."، وجذبني من كتفي إلى الجدار فكاد يسحق أضلاعي بين كفه الضخم والحائط المعدني، وشرع يصرخ مجدداً حتى أجيبه بما يريد أن يعرف، وأنا بالكاد أستطيع التنفس لضغطه علي بشدة فقلت له: "لا أعلم الكثير، ولكن إن كنت تريد المعرفة عن عملية اغتيال السيد ياقوت؛ فاسأل ماريما."، ظننت أنه قد اكتفى بكلماتي لوهلة قبل أن يمسك بعنقي ويضغط عليها بأنامله القاسية ويرفعني عن الأرض قائلاً بصوته الحاد المشتعل غضباً: "كاذب!، أخبرني بكل ما تعرف وإلا ستنتهي هنا والآن."، حاولت جاهداً إبعاد قبضته عني دون جدوى، فاستسلمت قائلاً: "أقسم لك، أنا لا أعلم الكثير، ولكنني سأخبرك بما أعرف، فقط أطلق سراحي، أرجوك صديقي!."، وأخيراً أرخى أنامله عن عنقي التي اصطبغت بحمرة الألم فتتنفست الصعداء، وأشارت له أن نذهب إلى ركن حيث لا يسمعنا أحد، وأنالي طلباتي أيضاً، هناك أمورٌ أريد معرفتها.

وبعد بحرٍ من الأسئلة التي أمطرها تيم علي حان دوري بطرح ما في جعبتي، أولاً: "كيف عرفت بأمر المنظمة؟"، وصُغت بإجابته البسيطة تلك: "ماريا أخبرتني"، ماذا؟، هل استسلمت أم ماذا؟، استعدت رباطة جأشي بعد الصدمة تلك قائلاً بحزم: "حسناً، لا تخبر مخلوقاً عما تعرف، إلا إن أردت أن ينتهي أمر ثلاثتنا."، ازدد لعابه بصعوبةٍ متفهماً خطورة الوضع، وحن وقت سؤالي الثاني: "تيم، كيف نجا السيد ياقوت؟"، تنهد ثم قال بهدوءٍ مهيب: "عندما اتصل بي السيد ياقوت في تلك الليلة موصياً إياي لم أفكر سوى بأن أطلب مساعدة الطبيب وويليام صديقنا أنا وياقوت، وبالفعل قد أتى وأغلق الجرح العميق، أشكره من صميم قلبي، ليرقد في سلام هو وباقي البشرية."، بدت الابتسامة الساخرة جليةً على ملامحي حين قلت باستهزاء: "أسفٌ ولكن ألم تخبرك ماريا عن هذا أيضاً؟، السيد وويليام ذاك من أكبر الأعضاء في المنظمة وأقدمهم، أرجو أنه لم يصب السيد ياقوت بأذىً متعمداً لإنهاء أمره تماماً، فهو مجرد منافقٍ كبير، ألم تسقط عَبراته عند قبر من أنقذ؟، لقد خدع بذلك الكثير من الجموع."، اتسعت عينا الرجل قبل أن يحبس خوفه في جوارحه ويقول بثقة: "أهذه أسئلتك؟، ماذا تريد أن تعرف أيضاً؟"، حان دور الأمر الأهم الآن: "طلبٌ أخير، سيد تيم هل يمكنك إحضار تسجيلات كاميرات القبطان الموزعة في الأرجاء؟،

أريد معرفة ما قد حصل في غيابنا"، وابتسم تيم قائلاً
بمكر: "يا لفضولك يا فتى، التسجيلات بحوزتي".



ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٢١ -

ريا...

وسط الحشود ولا أستطيع كبح عِبْراتي، أين ريا القوية الآن؟، أنا أحتاجها بشدة، تختفي وتظهر دون أن يشعر بها أحد، كطيفٍ صغير.

أيها العنقاء لم أخبرتني بكل ذلك؟، أنا حمقاء كبيرة، لم استمعت إلي حتى؟، فماذا إن لم تُفشي الأسرار؟، أفضل من أن تجعل الجميع يُصدم وأولهم أنا، وماذا إن لم أعلم ما أخفيتم عنا؟، تبا للرف السادس عشر ذاك ولتلك المفكرة السوداء المهترئة، والكثير أيضاً، أيها البشر ما الذي جذب مركبتكم الفضائية إلى نوبس باغو؟، ألكي نكتشف ما خبأتموه عن العالم؟، تبا لكم ولأسراركم.

لن أنس تلك اللحظة حين قال لي العنقاء والحزم قد دثر كلماته: "أمستعدة يا فتاة؟، حذاري ستندمين!".، أو مات برأسي موافقةً بغيباءٍ غير مكرثةٍ لما قاله من تحذيرات، لم يسمح لي بطرح سؤالٍ واحد بل أسكتني ليروي لي تلك القصة التي كشفت لي كل ما لا أعرف عن نوبس باغو، «أنكر ذلك اليوم المنصرم حين شرعت شظايا معدنية تتساقط على أرضنا من حيث لا نعلم، وبعد دراسة "حاصدي السُدْم" للوضع تبين أن سفينةً فضائيةً قرب سماننا تفتت، أرسلت فيان رحلةً

إلى موقع المركبة عسانا نحصل على بعض المعلومات الهامة، وبالفعل قد وجد الفريق بعض الأعراض الغريبة كالمفكرة السوداء التي بين أناملك الآن، والجثث المتواجدة في المركبة كانوا بشراً أيضاً، ومازلنا نحفظ ببضع الصور والدماء لهم، وذلك الشيء الذي أُخفي خلف الرف السادس عشر واستعدناه، هو الآن بحوزتي، أتودين الاطلاع على تلك الأشياء؟»، وافقت وأراني إياها بالفعل، لحظة، رغم أن وجوه البشريين مهشمة ولكنني أعرف تلك البذلات التي يرتدونها جيداً، وإنه هناك الرقم 20 مازال واضحاً على إحدى البذلات، أغلقت فاهي بكفي الراجف بسرعة كاتمة صرختي التي كان ستخرج بقوة، إنها الرحلة عشرين، كانوا أربعة، جثتان ببذلات زرقاء واثنان ببذلات وردية، ولكن أين هم الآن؟، وأيهم أخي؟، احتفظت بتساؤلاتي تلك لنفسي فلا أحد يعلم أصحاب هذه الصور سواي وريان، وهو لا يعرف بوجودها هنا، هذا ما ظننته.

شردت للحظاتٍ أستعيد الماضي فيّ، لقد كنت تلك الفتاة الصغيرة البكاءة والشقية، كنت مشاكسةً جداً، لكن طيبةً أيضاً كحبة سكر، بيضاء حلوة، لم ترمها الحياة بالمصائب الحقيقية بعد.

بين حفنةٍ من أترابي أمضيت طفولتي، بعيداً عن أبي المنشغل بعمله وأمي المريضة عشنا أنا وشقيقي آدم

أياماً جميلة، نقضي جلّ أوقاتنا مع أصدقائنا الذين يقاسون مثلنا، ريان، داني، سُلار، آلن، أورورا، آدم، وأنا كنا جميعاً بعدين عن عوائلنا لانشغالهم بعمل واحد، عملٌ كما قال لي أبي ذات مرة "في جمعية خيرية".

كان ريان الأقرب إلى آدم، كان يزورنا دائماً ويعبث بأشياء، فأنتقم منه بإتلاف أغراضه أيضاً، لقد كان فتىً مرحاً راسماً ابتسامته الدافئة على محياه دائماً على خلاف ما أصبح عليه الآن، لست الوحيدة التي تغيرت، أشفق علينا حقاً، نحن لا نستحق كل ذلك.

كان الجميع سواي وريان بعمر آدم تقريباً، يكبرونني قليلاً ولكن بقدرٍ كافٍ ليعلموا الكثير عن "الجمعية الخيرية" تلك مخفيين عنا كل شيء، ولكن شيئاً فشيئاً شرع داني يسرّ لريان بما يعلم، وبقيت أنا الوحيدة الجاهلة بينهم، شرعت أشعر بالغربة حتى بين أصدقائي المقربين، وبدأت أكرههم جميعاً، فهم سيسرقون أخي مني إلى العالم الغريب المعقد ذلك، ونجحوا في فعل ذلك حقاً، ولكن ريان لم يبق معهم في العالم الشائك إلى الأبد، ولكن ما فائدة ريان هنا؟، أريد أخي لا هذا الفتى الذي لا يُطاق، ولكن الحياة لا تأبه لحصاةٍ مثلي حتى تصغي لرجائي.

كانت أمي بئر أسراري الوحيد قبل اشتداد مرضها، فحين تستقر حالتها أزورها حاملاً بين كفي الصغيرين

طاقة زهورٍ جميلة، فهي تعشقها بشدة، في البداية كنت أذهب إلى المستشفى برفقة آدم حتى بدأ بالانشغال هو الآخر بدراسته فأصبحت أزورها وحدي، وكبرت الكفين الحاملين للورود، ولكن الطاقة لن توضع في الماء في المستشفى لكيلا تذبل، بل ستزرع فوق ترابٍ قد دفن أجمل الزهور، كانت أمي جميلةً حتى سلبها مني المرض والتراب، وكثرت زياراتي لحفنة التراب التي ابتلت بعبراتي كلما قصصت لأمي معاناةً صامتةً أخرى، ولكن منذ آخر أيام أمي عاد آدم للطفه معي مجدداً، وازداد تعلقي بشقيقي الطيب، حتى شرع يبتعد مجدداً، ففي ربيعي الرابع عشر أقيم زفاف أخي وسُلمر بحفلٍ أبهر الجميع، إلا أنا فقد اكتفيت بعبراتي الصامتة وصراخي الأخرس، أتحد مع الجدار ليبتني أختفي عن الجموع، احتل مسامعي صوت وقع أقدامٍ خافتٍ لطيف على حين غرة، لقد كان ريان الذي مدّ لي منديلاً محاولاً مواساتي قليلاً، حركت أناملي المائدة لأنتشل المنديل ولكن سُلمر قد سبقتهني إليه وشرعت تزيل دموعي عن وجنتي بعنفٍ وكأنها تتعامل مع جماد، وقالت بغضب: "أتدّعين أنك في الرابعة عشر من عمرك؟، تبدين كهذا مجرد طفلة، ستفسدين زفافي بيكائك هكذا، توقي في الحال، أنتِ تثيرين اشمئزازي."، وذهبت في حال سبيلها لتستكمل حفلها تاركةً خلفها بركاناً قد خمد، تسمرت مكاني للحظة قبل أن يهمهم ريان بغضب: "ما الذي دهاها؟، ما الذي

أصابهم جميعاً؟، لقد كانوا لطيفين في يومٍ من الأيام، ولكنها ليست أيام الطيبة الآن، لديكم همومكم و مهامّ لتنجزوها أيها الكبار."، محق، لديهم مهامهم وأعمالهم، ولكن هل هذا الحفل جزءٌ من مهمةٍ ما أيضاً؟، لم أستطيع النبس ببنت شفة، فقط قلت بخفوتٍ وبصوتٍ احتله الحزن: "حظاً موفقاً لهم".

منذ ذلك اليوم اختفى كل شيء، ما عدت ألتقي آدم كما كنت في السابق، وما عدت أبرح غرفتي المظلمة إلا قليلاً، وتخلّيت عن سلاحي السابق، فما عدت أذرف عبرةً واحدةً حتى، فقد علمتني سُلار درساً لا يُنسى، "البشر لا يستحقون رؤية ضعفي، فأنا لم أخلق لأكون سخريتهم".

في ذات يومٍ مظلمٍ آخر استيقظت على أصوات تحركات شخصٍ ما في المنزل، ليكن لصاً لن أترك فراشي، بتّ أحاول رؤية أقدام الزائر من الفتحة أسفل الباب، وفجأةً انبثق شيءٌ ما داخل غرفتي من الفتحة بهدوء، يبدو شيئاً ورقياً، قمت متناقلةً إلى موضع ذلك الشيء وانتشلته لتبدو لي ماهيته أخيراً، إنه ظرفٌ ورقيّ صغير، لم أعره اهتماماً فرميته على مكتبي عائدةً إلى فراشي لأغرق في حلمٍ آخر أرى فيه عائلتي مجتمعاً على مائدة الطعام ونتجاذب أطراف الحديث بسرور، فأخبر أمي عن يومي المتعب في الثانوية لتخفف عني، وادم يروي لنا عن الكواكب الضخمة

التي يدرس عنها بحماسة الكبير، وأبي يستمع إلينا والابتسامة لا تفارق محياه الهادئ، لطالما تمنيت قضاء يومٍ هاديٍّ مع عائلتي كسائر البشر، لكن الله قد فرض علي أن أتعايش مع الجدران المغلقة، فالجميع يتلاشى، فأين أخي الحنون الآن من بين الحشود؟، وأين ذهبت لحظات الفرح عندما يعمل جاهداً لرسم الابتسامة على محياي؟، لن أنسى يوماً جعلني فيه آدم سعيدة، ولن أنسى كلمةً تلفظها لإبهاجي، مهما ابتعد عني فهو مازال يسكن هنا هو وأمي، في قلبي.

شرعت أستعيد هدوئي قليلاً وها أنا أعود إلى العالم الحقيقي مجدداً، تمنيت أن تغفو الحياة عني قليلاً ولكن مستحيل، فأول ما أردت فعله بعد تحسني هو زيارة أخي في منزله، وذهبت بالفعل، لكن لا استجابةً لطرقاتي على الباب، لن أستسلم بتلك البساطة!، وشرعت أضرب الباب الغبي ذاك بكل ما تبقى لي من قوة، لكن دون جدوى، أرخيت ساقي لأجلس قرب الباب مسندةً جذعي له بيأس، وشرعت أنتظر عودة آدم إلى منزله، وأرخی الليل ستاره المظلم على المدينة وعلى قلبي، وفجأةً لاح لي ظلٌّ من بعيد، شعرت بالخوف فدفنت رأسي بين يدي مستسلمةً لهذا الطيف المرعب، وقع الخطوات يرتفع، قلبي يصرخ بصمت، تسارعت أنفاسي كثيراً، واستسلمت لضغفي، فأغمضت عيني، وما عدت أشعر بشيء.

بين الظلمات مجدداً، ولكن أين اختفى وقع نبضات قلبي الخائف؟، وما الذي دهى رتتي اللتان لم تعودا تخطف أنفاسي؟، لحظة، أين ذهب الطيف المرعب ذاك؟، وأين أنا وحدي دون قلبي حتى؟.

أفرجت عن عيني الجاحظتين أخيراً لأغشي أبصاري بتلك الأضواء البيضاء الشديدة، مددت يدي لأحجب الضوء عن عيني قليلاً فظهر لي ذلك الأنبوب المتصل بكفي إلى كيس التغذية المعلق بقربي، ماذا الذي يحصل؟، بحثت بعيني عن دليل يعينني على حل هذا اللغز، لم أجد شيئاً على الإطلاق، ولكن يبدو لي أنني في مستشفى ما، أهذا بسبب فقداني للوعي عند منزل آدم؟ ولكن من أتى بي إلى هنا؟، لا بد أنه هو!، اتحلت ابتسامتي الطفولية محياي الشاحب بمجرد تفكيري بذلك، مهلاً، من خلف الباب الآن؟، وعلا صوت الصرير مصماً أذني، ولاح لي ذلك الظل مجدداً، إنه آدم دون شك.

إنه ليس آدم، تنهدت بأسى وأنا أطالع ريان بطرف عيني بضيق، هلم إلي بخطواتٍ متثاقلةٍ وهو يقول بيروود: "لقد أغمي عليك عند عتبة منزل آدم فأتيت بك إلى هنا بعد مروري من هناك بالصدفة، أخبرني الطبيب أن هذا قد حدث بسبب نقص تغذيتك في الأونة الأخيرة، لهذا الأنبوب المغذي يلزمك الآن."، أوقفته بكلماتي المشتعلة بدموعي الهاربة من عيني المتعبتين

قائلةً ببحّةٍ واضحةٍ: "وما شأنك أنت؟ أستطيع الاعتناء بنفسي، وإن ضعفت فسيعينني أخي على النهوض، لا أنت." لم أستطع استكمال كلماتي فقد قاطعني ريان وهو يهمهم بصوتٍ خافت: "ألم يخبرك؟"، "بماذا؟" صرخت في وجهه طالبةً معرفةً ما يخفيه الجميع عني، وبالفعل، تكلم.

"لقد أوكّل كلٌّ من آدم وسُلاّر وآلِن وأورورا بمهمةٍ في الفضاء الخارجي، سأخبرك بالتفاصيل لاحقاً، ولكن آدم أخبرني بأنه قد أعلمك بذلك، وأخبرك أنني سأهتم بك إن احتجت شيئاً في هذه المدة، ويبدو أنك لست على ما يرام، وأنا هنا للمساعدة."، تصلّب لساني للحظةٍ قبل أن أبادر ريان بتساؤلاتي الكثيرة، كيف فاتني كل ذلك؟، أحقاً أخبرني آدم؟، إنه لا يكذب في العادة، ولا يبدو أنه يفعل الآن، مهلاً، أريد العودة إلى المنزل، الآن!.

بعد ثلاثة أيامٍ لملازمتي فراش المستشفى الأبيض عدت إلى حجرتي المظلمة أخيراً، كانت الفوضى تعمّ المكان، فشرعت أنظف، عساي أجد ذلك الظرف الورقي الصغير من ذلك اليوم.

وبعد رحلةٍ بحثٍ مضنيةٍ من العناء؛ وجدته أخيراً، وقد خُطّت فيه كلمات أخي الحنون لي بوقع كلماته اللطيف، شرعت ألتهم الكلمات واحدةً تلو الأخرى حتى تنفست الصعداء بإنهائي القراءة أخيراً، لقد بدا كل شيءٍ جلياً لي الآن، آدم، أسرارك المخفية في هذه الورقة

الصغيرة لن تُفشى أبداً، ووصاياك سَتلقى بالسمع والطاعة، ولكنها لن تكون آخر نصائحك أخي، فأنا أحتاج المزيد، عد آمناً وعش لأجلك ولأجلي ولأجل البشرية جمعاء، فنحن نحتاجك، بشدة!.

مرت الأيام رتيبةً وأنا أمل عودة الرحلة عشرين كما أخبرني ريان، لقد كانت في مهمةٍ لاستطلاع الجسم الغريب المتوضع على مقربة من مركز مجرة درب التبانة، أتمنى أن تنجح المهمة من أعماق قلبي، فأنا لا أريد خسارة أخي ولا أي رائد فضاءٍ ماهرٍ آخر، لقد فقدت البشرية ما يكفي من أسلحتها في التسع عشرة رحلةٍ سابقة، باءت جميعها بالفشل الذريع، فأضحى فتات المركبات بصمةً للبشر في الفضاء الفسيح، سديماً سيُنار لأبنائنا يوماً ما في المستقبل، فلم تُهدر أرواحهم سدىً، فهم ممهدو الطريق، طريق لاحتلال الفضاء بنجومه يوماً ما.

لقد مرّ الكثير من الوقت منذ زرت أمي آخر مرة، كلما أنوي الذهاب إليها أتذكر ما حدث لي في آخر مرةٍ تخطيت فيها عتبة المنزل، ولكنني سأزورها يوماً مهما كلف الأمر، أريد البوح بالكثير.

مضت ليالٍ لم أذق فيها النوم وأنا أفكر في وسيلةٍ لزيارة أمي، فماذا وإن أصبت بمكروهٍ هناك؟، وأنا وحدي في أرض الموتى تلك، بعيدةً عن سائر الأحياء،

فلن أجد سوى الحارس الهرم لنجدتي، هو الذي بحاجةٍ للمساعدة.

في كل مرةٍ تتسلل إلى رأسي فكرةٌ أدحضها بعيداً فوراً، ولكن ما باليد حيلة، تنهدت قليلاً واستسلمت لفكرتي الغبية تلك بعد رفضي لها مراراً.

لم أنتظر انبلاج الصباح لأنفذَ خطتي الحمقاء تلك، فمنذ أن شرعت الشمس بإسدال خيوطها الدافئة علينا هيات نفسي بسرعةٍ وخرجت إلى وجهتي الأولى.

وجدت نفسي فجأةً قد تسمرت كالحمقاء أمام ذلك الباب الخشبي قبل أن تشرق الشمس تماماً حتى، شعرت لوهلةٍ بغبائي فأبعدت بناني عن الجرس وتراجعت إلى الخلف مقررَةً انتظار وقتٍ منطقي أكثر من الآن، وشرعت أقلب في هاتفي بتململٍ حتى طفح الكيل فيّ، وثبت ونويت أن أطرق الباب حالاً مهما كانت النتيجة.

وقبل أن يشرع الجرس بالرنين تنهتني إلى صوت وقع أقدامٍ عند الجهة الأخرى خلف الباب الخشبي، عذمت على الهجوم ولكن الإجابة قد سبقت السؤال، تسمرت مكاني لوهلةٍ قبل أن أقول بحزمٍ لمن وقف أمامي متفاجئاً بحضوري هذا: "أُسدي لي معروفاً؟، أريد زيارة أمي، ولكن مرضي لا يسمح لي بالذهاب إلى تلك الأرض الخالية وحدي، بصراحةٍ أخشى أن أصاب بمكروهٍ هناك، أترافقني؟"، رمقني ريان بنظراتٍ مستغربةٍ لوهلةٍ قبل أن يجيبني وهو منهمكٌ بالضغط

على مقلتيه ليستطيع طرد أشباح النوم من رأسه: "منذ متى وأنت هنا؟، أغبية أنت؟، كنت تستطيعين الإتصال بي وسأتي لأقلك متى تشائين."، كنت سأخبره بأن ننتقل الآن لولا أن تتأوبه المتكرر قطع حبل أفكاري، يبدو أنه متعب، حسناً، سأذهب في وقتٍ لاحق، كدت أتخذ خطاي إلى المنزل قبل استوقافه لي قائلاً: "انتظري قليلاً، لنذهب اليوم، ولكن فقط امنحيني لحظة".

على ذلك التراب الذي استأثر بأمي خطوت بحذر، الكثيرون هنا، فالمكان مزدحمٌ بالأرواح وخالٍ من البشر، فقط أنا وريان وحارس المقبرة العجوز، وحالما أبصرت شاهد قبر أمي؛ هرولت إليه وبالكاد استطعت كبح عباتي، وصرخت بصوتٍ خفيٍ مسرور: "اشتقت إليك أمي، كيف حالك؟".

لقد كنت في قمة سعادتي هذا اليوم، منذ زمنٍ طويلٍ لم أبتسم، أنا هنا أخيراً، بقرب أمي وعلى أتم الاستعداد لأبوح لها بكل ما يضح به عقلي.

لم أستطع النبس ببنت شفة فكلمنا ألمح طيف ريان بالقرب مني يتجمد لساني وأعجز عن النطق، وبعد العديد من المحاولات الفاشلة لتجاهله دنوت منه قليلاً وأنا أقول بخفوت لسيطرة الإحراج علي: "ريان، أرجوك دعني وحدي قليلاً."، فاستجاب لرجائي بكل بساطة، وراح يجول بين القبور هنا وهناك، واختفى

عن ناظري بعدها، ما كان يجب أن يقتحم هذا الفتى
حياتي، لن أكون سوى ذكرى سيئة أخرى قد مرّ بها.

شرعت أفرغ ما حملته في جعبي لأمي الحنون، أقصّ
عليها ما حصل لي في الآونة الأخيرة من أحداث،
فيتناهى إليّ صوتها الحنون وهي تواسيني، وتحمل
الرياح حضنها الدافئ لي فأغرق في حنان طيفها
البعيد، وأهمس لها بسري الصغير؛ فتأتي الرياح حاملةً
وصايا الأم في أذني ملقنةً إياي ما يجب أن أفعل، ثم
تمسح على قلبي، تأمرني بالاعتناء به وتنصرف
بهدوء، وأعود للواقع واضعةً كفي البارد على قلبي
الصغير والرياح قد سرقت عباراتي المتناثرة على
وجنتي، تنفست الصعداء وتحركت بحثاً عن ريان الذي
اختفى طيفه خلف الرياح الشتوية المحملة برائحة
الحمام الثقيلة، وبعد جولة متعبة بين القبور وجدته
أخيراً، دنوت منه لأجد قطرات الماء قد غزت وجهه،
ليست دموع، بل مجرد مياه، هناك أمرٌ غريب، أنفاسه
الصاخبة قد أصمت أذناي، وصرخات نبضات قلبه
تحتل الأجواء، بادرت لسؤاله والقلق شرع يتسلل في
أوصالي: "أنت بخير؟" ولكن لا استجابة، فقط تلك
النظرة الخاوية التي عصفت فيّ رعباً، ربما لم يسمع
كلماتي، رفعت نبرة صوتي قليلاً وأنا أحدثه ولكن دون
جدوى، رفعت كفي الراجف إلى وجنته الباردة وكدت
أصغه ولكن صوت رنين هاتفني قد ردعني، وضعت

الهاتف نصب عيني ليرسم الغضب فيهما، واشتعلت
 حبالى الصوتية حين قلت بنبرتى الساخطة: "إنه ويليام،
 سحقا ما الذي يريد منى الآن؟"، كدت أضغط على
 زر الإجابة ولكن كف ريان كان أسرع من بناني،
 انتشل الهاتف منى على جناح السرعة وافرغه من
 الشريحة ورمها على الأرض، انتشلت شريحتي
 الغارقة في التراب وصرخت في وجهه والغضب قد
 سابني السيطرة على ما أقول: "ما الذي دهاك؟،
 أعطني هاتفي الآن."، تسمّر ريان مكانه وقال وهو
 بالكاد يستطيع حفظ رباطة جأشه: "لا!، لن تأخذه،
 ستندمين، صدقيني أرجوك، أنا أفعل هذا لمصلحتك."،
 لم أنصت لتحذيراته قبل أن يمد إليّ هاتفي فأنكبّ
 بسرعةٍ لأضع الشريحة وأهرب منه إلى قبر أمي ليته
 يفقد خطاي قليلاً، ولكن ريان لم يستسلم بتلك السهولة
 وجرى خلفي واستوقفني محذراً إياي مجدداً: "ريا، أنت
 حرة بما تردين أن تعرفي، ولكن لا تتسببي بأذى
 لنفسك أرجوك، تراجعى عما ستفعلن الآن!."،
 وشرعت العبرات تتسابق على وجنتيه الشاحبتين معلنةً
 عن ألم ما سأعلم، ولكن لن أتراجع!، فها هي رسالة
 من أبي قد وصلتني، ضغطت لأقرأها بينان مائد،
 شرعت عبرات السماء تبلل تراب قبر أمي الطاهر،
 وها هي تختلط مع دموعي رويداً، عرفت أن المركبة
 الفضائية للرحلة عشرين قد فقد أثرها في الفضاء
 الفسيح، فقلت بصوتٍ قد بحتته العبرات المكتومة حروفاً

قد وُلدت في شغاف قلبي: "هناك في الجانب الآخر؛
أمي أرجوك اعتني بآدم جيداً".

بحرّ الدموع يزداد ضخامة، أفرج عن عبراتي أخيراً
بعد دهورٍ من الاختباء من البشر، ظهرت الآن للفتى
ريان ليشاركني البكاء بدوره أيضاً، وبعد ساعاتٍ من
بدأ حفل الدموع الصامت استعدت رباطة جأشي قليلاً،
رغم أن قلبي لم يهدأ ولكنني حاولت أن أبدو بخير،
وعدنا أدراجنا إلى منازلنا أخيراً بعد أن أسدل لنا الليل
ستاره اللامع بنجومٍ جميلة، لم أستطع النوم في تلك
الليلة، الألم يقتات علي رويداً ويكاد ينهي أمري، بعد
حربٍ طويلةٍ هزمني النعاس أخيراً، فاستسلمت لعالم
الأحلام حيث التقيت بأمي وآدم من بعيد، وعبق الورود
يحتل أنفي، أحاول الركض إليهما ولكن هناك ما
يردعني، جلت بعيني بسرعةٍ بحثاً عن ذلك الشيء
لأبصر أمامي مرآةً قد انتصبت ورُسمت فيها أنا بثوبٍ
جميلٍ وبحلةٍ أنيقة، طالعت نفسي لأجد تلك الفتاة رياء قد
تعثرت بحافة الفستان الجميل، وفجأة، الظلمة تحتل
المكان رويداً، وتناهي إلى مسامعي صوت أمي تهمس
في أذني مع صدى وقع أقدامٍ في آنٍ معاً، وأخيراً أتدثر
بعضنها قبل أن تتلاشى ويظهر لي نورٌ في الجانب
الآخر من المرآة، تجاوز الحاجز اللامرئي ودلف فيّ
كشبحٍ احتل قلبي، عاد النور للمكان مجدداً، ولكنني لم

أعد أرَ أمي ولا آدم، لُكزت ببنانٍ دافئٍ من خلفي
وعندما التفتُّ لأكشف هويته؛ أفقت.

أحدث وقع أنفاسي المرتفعة ضجةً في الغرفة، ازدردت
لعابي وشرعت أستعيد ما رأيت، ولكن خيوط الشمس
التي داعبت وجهي كانت كفيلةً لمحو كل شيءٍ وجعلي
أذوب في حضنها الدافئ، الشمس تشرق لدنيا لم تعد
تحمل آدم فيها، لن أتخطى هذا بسهولة، ربما لن
أتخطاه أبداً.

أحتضن نفسي متدثرةً بغطاءٍ سريري لا أصنع شيء،
فقط أتأمل الجدران البيضاء حولي وأنا أهز السرير
قليلاً بحركة قدمي الدورية، وشرعت بنات أفكارني
تتسلل إليّ ببطء، تتولد مع عودة الذكريات، فها قد
تذكرت الكثير والكثير من السعادة التي عشتها، عندما
كان أخي يمسك يدي ويشد عليها بأنامله بقوة، وكأنه
كان يخشى أن أخفي عنه على حين غرة، وحدث ما
كان يخشاه، فقد أتى شبح الحمام بوقعه المرعب عنوةً
وانتثله مني، وكأنه زهرةٌ قد اقتطفها الموت ليضمه
لطاقته الجميلة، فالموتى دائماً ذو عبقٍ طيبٍ كالزهور،
الحمام ينتقي الأجل ويضمه للمجموعة، غير أبه
بالبراعم الصغيرة المختبئة خلف الزهرة الجميلة والتي
كانت تحتمي بها، ستتمو البراعم وحيدة، يعصفها هذا
العالم دون رحمة، فربما تذبل وتموت وربما تينع
لتصبح الحصن للبراعم الأخرى، فأيهما سأختار؟.

وسط زحام الأفكار تتاهى إليّ صوت أمي الحنون
المتععب وهي تعظني: "ريا صغيرتي، إن الحياة
اختيارات، فإما خيار صائبٌ يقودك إلى النجاح أو آخرٌ
يوذي بك إلى الفشل، إن الاختيار في هذه الدنيا ليس
يسيراً، ولا يحق لك التراجع أو الاستسلام، فأنت أقوى
من الصعوبات، ومهما كان ما يحيرك استشيري
قائدك، استشيري عقلك، وسيري خلف خطى قلبك
ولكن بمنطقية، فعقلك سيرسم لك الطريق، وقلبك
سيمنحك الإشارة لتستعدي للمسير، ثقي بكلاهما يا فتاة،
قلبك وعقلك، وإن تخالفا؛ انس أمر كلاهما واترك
الأمر لله."، شردت قليلاً وأنا أتفكر في كلمات أمي، كم
كنت حكيمة، أتعلمين يا أمي؟! أنا أحتاجك الآن، أنا
أعاني، لتأتي ولو للحظةٍ لتربتي على قلبي الصغير فهو
يكاد أن يهرب مني، وسط زحام الأيام بدأ يشتعل فيّ
حتى شعرت باللهب يستعر أوردتي، ولكن وحمداً لله
أنه يحترق بصمت، وإن كان صمته يقتلني، فلا خيار
لي يا أمي سوى الاستسلام له، فلا أحد سيخمد ناره
سواك وكلماتك الطيبة المتناثرة في الأجواء، لا أستطيع
التقاطها، تسبح في الفضاء بعيداً عني، رغم حاجتي
الشديدة إليها، تنهدت لهيب روعي واحتضنت لحافي
وشرعت أبكي لبيتني أحمد تلك النار، فأنا فتاةٌ خشبية،
والنيران مثل التنانين تهجم بقوة.

في ليلة باردة وبينما كنت غارقةً في كتابي اهتزَّ هاتفي مصدراً صوتاً لطيفاً لم أسمعُه منذ زمن، فبعدما استبدلت رقم هاتفي لم تصلني رسالةٌ واحدة، رقمٌ سريٌّ عن الجميع سوى ريان، زفرت بغضبٍ وقلت بتأفف: "ماذا الآن؟"، انتشلت الهاتف بتكاسلٍ وشرعت أقرأ تلك الرسالة القصيرة، كانت تخفي فيها الكثير من المفاجآت، حتى أنها قادرة على تغيير حياتي.

"مرحباً ريا، تمَّ استدعاؤك في الكلية غداً، قالوا أنهم يريدونك في أمرٍ طارئٍ."، أشعر وكأنني مجرمةٌ ستعد للاستجواب، ما الذي دهى الجميع؟، ففي كل يومٍ أستقبل اتصالات من أناسٍ لا أعرفهم يسألونني عن نفسي وعن أخي، "رائد الفضاء المتميز" كما يقولون، لقد ازدحم رقمي السابق باتصالاتٍ هدفت للفضول المزعج، حتى تخلصت منه أخيراً لأنعم بالهدوء المرعب مجدداً، ولكنني مضطرةٌ الآن للذهاب، فإنه استدعاءٌ من كليتي بعد كل شيء، تلك الجامعة التي ارتادها ريان وأدم سابقاً وجميع الأصدقاء أيضاً، تحت شعارٍ واحد: "لنترك الأرض بزحامها وضجيجها لسائر الأنام ونفرّ إلى هدوء النجوم لنصنع فيه ضججتنا الخاصة، ضجةً لطيفةً على خلاف ضجيج البشر."، إلا ذلك الفتى داني، فقد التفت ليدرس الآلات وغاص في ذلك العالم المعقد بين الأسلاك المميّنة والمرعبة، ولكن الأهم أنه يعشق ما يصنع وأنا أتمنى له التوفيق من

أعماق قلبي رغم بغضي له، فلا علاقة لكرهي له
بحلمه الكبير.

دلفت خيوط الشمس غرفتي بلطفٍ بعد ليلٍ لم يُغمض
لي جفنٌ فيه، أغرق في أفكارٍ، أحلامي تحوم حولي
وتهمس لي في أذني: "تقدمي ريا، ستصلين!". وأنا لا
أكثر لأطيافي التي خلقت من صلب بنات أفكارٍ،
شردت قليلاً وأغمضت عيني المتعبة فغفوت لهنيهةً
قبل أن يصرخ هاتفي، إنه ريان يتصل، تذكرت، يجب
أن أذهب، بئساً.

استبدلت هيبتي في لمح البصر لأصبح أجمل قليلاً،
تدثرت بثيابي السوداء لتتماوج مع خصلات شعري
القصير الذي اكتسى بلون الليل الحالك، صففت شعري
الأشعث قليلاً لأشعر أنني ريا التي لم تسحقها الوحدة،
فقط تلك الهالات السوداء التي غزت عيني اللامعة
كاللجين فضحت أمري، لا أريد أن يشعر إنسي
بحزني، لا أريد أن يكتشفوا ضعفي، فهم لا يستحقون
كشف ما خبأته في شغاف قلبي عنهم، وظللت أتأمل
مظهري في المرآة طويلاً أتحقق من كل شبرٍ فيّ، لم
أر نفسي منذ زمن، لقد كبرت قليلاً، وفقدت المزيد من
وزني، وبدأت الحبوب والهالات السوداء تحتل
ملامحي الهادئة، ولكنني ما زلت بقامتي القصيرة ذاتها،
لم يزد طولني سنتيمتراً واحداً، هذا يكفي، لن أستطيع
إخفاء المزيد، فقط أحتاج لشيءٍ واحداً، انتشلت حقيبتني

الصغيرة وابتسمت لانعكاسي بهدوءٍ قبل أن أخرج إلى العالم من جديد.

دلفت إلى الحرم الجامعي بعد مدةٍ طويلةٍ من الغياب، أحن إلى هذا المكان، وأحن لضجيج الطلبة والمعلمين هنا، حيث ندرس علم الفلك، ونعيش في فضائنا الخاص بعيداً البشر و صخبهم، فصخب العلم يكفيننا لنأنس به، تنهدت أبعد كل الهموم عني ورسمت ابتسامةً لطيفةً على محياي، وتقدمت.

التقيت بريان لنسير سويةً حتى وصلنا إلى مجلس الإدارة الكبير، حيث اجتمع الكثيرون، كل من درّس حرفاً في هذه الكلية امتثل أماناً، تسمرنا للحظةٍ قبل أن تدلف إلينا فتاةٌ أخرى، لم تكن من اللجنة الضخمة، إنها طالبةٌ مثنا، يبدو أنها مستدعاةٌ كحالي وريان أيضاً، إنها من دفعتنا، أعرفها شكلاً واسماً وسمعةً فقط، ولكنني لم أتحدث إليها يوماً، فهي مثلي منزويةٌ في عالمها الخاص، تلك هي ميسان الفتاة ذات السيط هنا، فرغم أنها كانت أكثرنا تفوقاً لم يكف الطلبة عن انتقادها ودينها المتحفظ، فهي مسلمةٌ قادمةٌ من سورية، تلك البلاد الصغيرة في الشرق الأوسط، كانت دائماً مزينةً بحجابها الجميل وثيابها الفضفاضة ذات الألوان الهادئة الجميلة، تبدو لطيفةً حقاً رغم إنكار العالم لذلك، وما شأنهم بها؟، إنها تنفذ قواعد دينها فقط، دينها الجميل المبني على أسس المحبة والاحترام.

ازدردت لعابي بصعوبة بعد سماعي لتلك الكلمات،
جحظت عيناى ولكن بسرعة تتهدت أبعد التوتر عني
حتى لا يشعر به من حولي، لقد كانت كلمات مجلس
الإدارة واضحة كالشمس، حان دورنا نحن الآن!، فأنا
وريان وميسان مختارون من قبل الإدارة لنكون رواد
الرحلة الواحدة والعشرين في مهمة لاستطلاع الجسم
الغريب المتوضع على مقربة من مركز مجرة درب
التبانة، ولكن على أي سبب انتقينا من بين الجميع،
أعلم أن كلاً من ريان وميسان يبذلون قصارى جهدهم
في تحصيل معدل مرتفع هنا، لكن أنا لم أحظ بيوم هنا
منذ زمنٍ طويل، حتى قبل رحيل آدم لم أكن بذلك
التفوق، فلماذا أنا؟، هذا ما زال يحيرنا جميعاً.

لم نكن نملك فرصة للرفض، فقد عرفنا تفاصيل هامة
للغاية، ولن يدعوننا نذهب بتلك البساطة أبداً.

خرجنا من القاعة الكبيرة والصدمة قد احتلت الملامح،
فمهما كان حبنا للنجوم كبيراً، نحن لن نرسل أرواحنا
في مهمة انتحارية كهذه بمحض إرادتنا.

وبدأت جلسات التدريب المكثفة، لم أستطع التغيب عنها
لكيلا أدفع الثمن غالياً، فأتي مرغمة.

كنت أكره كل شيء في تلك المهمة، جميعنا كنا كذلك،
ولكن بعد عدة جلسات شرعنا نعتاد، وبعدها أصبحنا
نتشوق لذلك اليوم الذي سنخوض فيه المغامرة أخيراً،
عندما سينفث الصاروخ ما لديه من بخارٍ معلناً

احتضان السماء لنا، متى سنعانق الفراغ الأسود ذاك؟،
لنتماوج معه فتختفي الأمانا، فكاننا نحمل بين جنوبنا
أرواحاً حزينة، تذرف العبرات كالسيول دون هوادة في
ظلمة الليل، زوابع الألم ستنتهي، فلا هواء في الفضاء.

سنكون خمسة، فبرفقة المدربين ماريما وتيم سنخوض
مغامرتنا، هم مشهورون ببراعتهم، ولكنهم لم يخلوا من
الخوف من أطراف الحمام التي ازدحمت بين النجوم
والكويكبات، ولكن لا مفر من هذا، فهم مقيدون أيضاً
بأصفاً خفية موجعة، فابنهم في خطرٍ إن لم ينفذوا ما
أمرؤا به، هذا ما أسرت لي ميسان به بعدما اشتدت
علاقتنا وأصبحنا صديقتين.

في ذلك اليوم الحار وبعد انتهاء جلسة التدريب دعنتي
ميسان لمنزلها، ترددت قليلاً في بداية الأمر ولكنني
تجاهلت أطراف القلق التي حامت حولي، فميسان فتاة
طيبة، ومن المستحيل أن تمسني بأذى أبداً.

ضغطت ميسان على الجرس الصغير لتستقبلها والدتها
بابتسامة عذبة وهي ترد لها السلام، فمنذ أن خطت
خطا ميسان أرضية منزلها قالت بابتهاج: "السلام
عليكم" بلغتها الجميلة، دلفت على استحياء قبل أن
تحيني السيدة جمانة بحرارة، كانت لطيفةً معي، تلك
المرأة الخمسينية التي تخفي بين التجاعيد خصلةً من
الجمال العتيق، وحولها هالةً من الحنان لا توصف، لقد
زرعت في منزلها الصغير المحبة والطيبة مع الزهور

بذرةً بذرة، وحُمِلت خصلةً من شيمها المميزة في ابنتها
ميسان حتى بدت كأنعكاسٍ جميلٍ لها، انعكاسٌ أكثر
شباباً وأخصب علماً فقط، ولكن الروح واحدة.

شرعنا نتبادل أطراف الحديث طويلاً، وشعرت
بأغصان الحب تتسلل إلى قلبي، فالسيدة جمانة تعاملني
بلطفٍ كما تعامل ابنتها تماماً، وميسان تربت على
كتفي المتعب من أثقال الحياة التي أسررت لهم بها،
كأختٍ لي احتضنتني ميسان وأنت بخفوت، وبت أنا
من أهدئ من روعها الآن، وسرقت مني رتابة
الساعات برفقتهم، حتى تنهى إلى مسامعي صوت
عذبٍ احتل قلبي في هنيهة، كدت أبادر بسؤالٍ عن هذا
الصوت الجميل قبل أن تخبرني السيدة جمانة
والاطمئنان قد بدا جلياً جداً في ملامحها: "إنه الأذان،
يدعونا للصلاة، لعل الله يغفر لنا ذنوبنا وينهلنا برحماته
التي لا تنضب"، وقامت لتبني النداء، ذهبت لتصلي،
رحت أتأمل تلك الخمسينية وهي بين يدي الله الخفية
تغرق في خشوعٍ مهيب، فخلف إسدال الصلاة ذاك قد
سقطت الكثير من الأدران، لتنتهي فرضها مطمئنةً
مبتسمة، وكلها يقينٌ أن الله لن يخذلها، وأنا أجزم أنها
لن تُخذل.

بينما كنت غارقةً في شرودي جذبتني ميسان من كفي
وهي تقول بصوتها الرقيق: "ريا تعالي لنصلي نحن
أيضاً"، تجمد لساني للحظةٍ قبل أن أومئ بـ "نعم!"،

فأنا أريد تجربة ذلك الشعور، حين أشكو همومي لخالقها، عساه يزيلها عني.

تنفست الصعداء راميةً همومي أدراج الرياح، لقد كان منزل تلك الفتاة مكللاً برعاية الله، وعبق الحنان في أرجائه قد احتل رثتي وقلبي، خطوت إلى منزلي المظلم وكلي نشاطٌ بعد يومي الحافل بالطمأنينة هذا، أردت لو أن الله قد أسكنني في كوخٍ دافيٍّ يفيض بالحب والحنان بين قاطنيه، فمنزلي الضخم ما عاد يسع فراغه، لا أحد سواي وهمومي تملأ الأرجاء، قصرٌ تدثر بالثوب الأسود المقيت ليخيم على قلبي غمامة الحزن السرمدية، لن تذهب لعنتها عني أبداً مهما حاولت، لذا وبكل بساطةٍ سأرفع رايتي البيضاء في وجه هذا العالم القاسي، أجل سأستسلم!

بعد ذلك اليوم المنصرم أفقت في يومي الجديد لأواجه زوابع العالم بوجهٍ مشرق، لا أدري كيف ولكن غمامات الحزن شرعت بالانقشاع بعيداً، قمت لأهين نفسي لجلسة التدريب والحماس قد احتل أوصالي، تدثرت بثيابي السوداء وصففت خصلات شعري قليلاً وكررت ما علمتني إياه ميسان في ذلك اليوم، لم أعلم لم أنجذبت للوضوء ولكنني شعرت بروحي تُغسل من أدرانها وحزنها، وأخيراً، انتفضت بعد تنهدي قائلةً ملء شذقي وقلبي: "أيتها الحياة السخيفة، حاولي النيل

مني."، كنت أشعر بالقوة، قوةً سكنت أوصالي اليوم، وليتها ظلت لمدةٍ أطول.

ارتجف هاتفي ليحبطني الاتصال، أجبت قائلةً بفتور وأنا لا أدري كيف حصل على رقمي الجديد: "مرحباً أبي"، لتصلني الصاعقة التي أخارت قواي في لحظة، كان صوته الخشن مهشماً وهو يقول متصنعاً الهدوء: "رياً أنا أنتظرك بقرب المنزل، تعالي لتعزي صديقتك."، للوهلة الأولى لم أفقه ما قال، وبعد هنيهةٍ صرخت: "ما الذي تعنيه بذلك؟"، وقد أبصرت ما أخفي بين حروفه المتعبة، ولكنني لم أصدق، ليقتل الشك باليقين ويخبرني: "لقد وافت المنية صديقي ياقوت في الليلة السابقة، تعرفينه، لتعزي عائلته يا بنتي، أليست ابنته صديقتك؟"، تجمد لساني وشرعت أرتجف بصمت، لم أنبس ببنت شفة، وفجأةً احتل الأجواء صوت الطرق الخفيف على الباب، ازدردت لعابي وهرعت لأجيب الطارق بأوصالٍ خائرة القوى، إنه ريان والخوف قد أخذ من ملامحه دفاها، كان احمرار عينه قد بثّ الرعب فيّ، وكانت أنامله تميد بشدةٍ محاولاً التوازن ولكن دون جدوى، لم تكن مسألة وفاةٍ فقط بالنسبة لذلك الفتى، كان يخفي سراً كبيراً في قلبه المنهار ذاك، سراً قد احتلت أطيافه الشريرة كل شبرٍ في جسده الهزيل، وما زال يقاوم ويقاوم، وفي

النهاية، لابد أن ينتصرا!، خيار الاستسلام ليس متاحاً له، فهو ليس ضعيفاً كحالي.

بخطواتٍ راجفة تقدمت برفقة ريان إلى سيارة أبي، كان الطريق طويلاً، لحظة، لن نذهب إلى منزل ميسان!، بل إلى المقبرة.

وسط الزحام اختبأ ذلك الطيف الأسود، ترجلت من العربة بعد أن دلفت ماريا إليها، أهروول إلى صديقتي والتساؤلات تحتل عقلي: "ما الذي يجري هنا؟"، ظل هذا السؤال معلقاً في سقف تساؤلاتي الكثيرة طويلاً.

تجاهلت هواجسي وأسرعت خطاي إلى ميسان المتدثرة بجلابها الأسود، لم تخف تلك الفتاة عني عبرةً واحدة، لقد فاضت كلها على كتفي بهدوء، لا بأس، أنا هنا لأخفف عنك، وهددتها عساها تهدأ قليلاً، والكاد فعلت، دنت منا الخالة جمانة وحيّتني بصوتها الحنون الحزين ذاك، كان التعب جلياً في ملامحها، ولكنها كانت قويةً أيضاً، فهي لن تستسلم للضعف بتلك السهولة، إنها أقوى من زوابع الحزن المحيطة بها من كل حذبٍ وصوب، ولن تسقط رمحها اللجيني أمام الرياح.

احتل الأجواء طيف الرجل المحاط بهالة فولاذية، التفت الجموع إلى الطبيب ويليام وهو يتقدم من حفنة التراب التي أخفت في جوفها صديقه القديم، واستسلمت ساقاه ليجثو والدموع قد بللت الحصى والأنين قد أصم

آذان الحاضرين، شرعت أتقدم لأربت على كتفه بحنوّ
بصفتي ابنته، فرغم كل شيء لقد حزنت لحزنه، رفعت
كفي ببطءٍ نحوه وكدت أستسلم لعبراتي لولا إدراكي لما
يفعل، إنها إحدى خططه الخبيثة لتضليل الناس!، قيدت
كفي المرفوعة بالأخرى وشرعت أبحث في الأرجاء
عن خيطٍ يوصلني إلى الحقيقة، وفجأة، ظهر من بين
الحشد الصامت فتىً قد قتلت آثار البكاء ملامحه،
تسمرت مكاني لست مندهشةً من أبي بل من مظهر
ريان الذي يحاول أن يتمالك نفسه بالكاد، وخلفه تقف
السيدة أوليفيا وقد اعتلت ملامحها تعابيرٌ غريبة،
منافقون!، هذا ما أخبرتني به نظراتهم، لن أدعكم
وشأنكم هكذا، سأكتشف سرّكم ذلك حتماً.

وتوارى الجميع عن الأنظار في برهة، لقد انتهت
مسرحية الطبيب وويليام أخيراً، حتى ميسان والخالة
جمانة لم أعد ألمحهم، فقط ريان يحتضن نفسه ويغرق
في لَجِّ عَبراته المظلم، دنوت منه وبالكاد أحفظ رباطة
جأشي قائلةً له بصوتٍ سيطر عليه الحقد: "إنه منافق!،
ويليام ذلك، لن تخدعني هكذا، أشح بعبراتك بعيداً
ريان، أحتاج مساعدتك"، تسمر الفتى لهنيهةً وهو
يطالعني بعدم استيعابٍ قبل أن يثب وفاقاً والصدمة قد
سيطرت عليه بالكامل، احتضنت بكفي الراجف تلك
المجرفة العتيقة وشرعت أنبش عن الحقيقة بين حبات
التراب، "دمية!"، قال ريان بخفوتٍ متعجباً وهو يسمح

وجهه المحمر بظهر كفه، تنهدت معلنةً نصري فقلت والخبث قد اغتال لطف ابتسامتي: "أعرفك جيداً أبي، مجرد منافق."، ولكن لمَ كل هذا؟، وأين السيد ياقوت الآن؟، ألم تزدهم مواقع التواصل الاجتماعي بصوت الجثة المطعونة بسكينٍ صغيرة؟، أعلم أنني أضعف من أن أعرف ببساطة، ولكنني سأكشف ما أخفي عني يوماً ما، عندما أصبح جزءاً من تلك الأسرار!.

شرعنا نبتعد عن القبر المزيف ذاك فبدأ لي طيفٌ متوارٍ بعيداً عن الأنظار، ازدردت لعابي بخوفٍ قبل أن أتجاهل ما رأيت معتقدةً أنها مجرد هلوسات، ولم أدرك أنها لم تكن كذلك.

ومرت الأيام وعادت عجلة الحياة لتدور مجدداً، ولكنها تشرع بالصدأ رويداً من هطول سيول المصائب عليها دون هوادة، رغم عودة ميسان إلى تدريبيها إلا أن صوتها قد أُخفي في جوفها من وقع الصدمة على قلبها اللطيف، في كل عبرةٍ تهرب من عينها تسقط كلمة رثاءٍ حزينة، وددت أن أبوح لها بالحقيقة كثيراً ولكن ريان نهاني عن ذلك، فلن يكون مجرد سرٍ قد كشف بين صديقتين، لا!، إن ذلك أعظم بكثير.

في حجرةٍ صغيرةٍ اجتمع أعضاء فريق الرحلة الواحدة والعشرين بانتظار إشارةٍ للاستعداد، بينما كانت ميسان تودع والدتها بحرارةٍ كنت أجري إلى محطة الإقلاع هاربةً من أطيف من وددت أن أودع، ولكن أمي وادم

لم يغادروا قلبي أبداً، لن ينفع الوداع معي، وبينما كانت ماريّا تزرع عَبراتها على كتف طفلها الصغير وتنقش لثماتها على وجنتيه الصغيرتين كان تيم يبحث في الأرجاء عن طيف جده، احتضنت أنامله ذلك الصليب الصغير قبل أن يقفز جورج الصغير لاحتضانه بحنان، وريان لا يستطيع النجاة من أطيف هواجسه الحائمة حوله من كل حدبٍ وصوب، لن يستطيع نسيان كل حرفٍ غُرس في قلبه الطيب كرماحٍ سود، كلنا محاصرون بأطيف الماضي، ونحن الآن ندفن كل ما نملك في هذه الأرض قبل الرحيل، عسانا لا نعود، هذا ما نتمناه جميعاً.

أنا أرتجف، لن أستطيع إخفاء عَبراتي بعد الآن، ريان، ألم تكف من سرقة دور أخي؟، فقط دعني وشأني، أنت تثير غيظي، أتظن أن المعركة أُقيمت هنا على هذه الأرض؟، أحمق، إنها تقام فيّ، ففي قلبي تزرع طعنات كلماتك تلك، فقط توقف!، فإن كنت تحتمي بترس فولاذي فأنا لم أعد أفعل، فمن الشرير هنا؟، لست أنا هذه المرة، إنه أنت!.

مرت المعركة بسلام، رغم ضعفي هذه المرة فزت، احتضنت غنيمتي بأناملي الراجفة من فرط الانفعال ولم أسمح بها عبرةً واحدة، كنت أشعر أن هذا المنديل القماشى جائزةً كبيرة، وقد ظلّ في جيبي طويلاً حتى نسيت أمره، ولكنني لم أنس ما قاله ريان عني لماريا

والذي كان فتيل شجارنا، لقد تحدث عن تفاصيلٍ لا أذكرها أنا حتى، شرعت أغرق في لَجِّ هواجسي ونحن نتقدم إلى AWK_391 والحماس قد اغتال كل ما وُلد في قلوبنا من مشاعر، ها نحن ذا، سننطلق لنخوض رحلتنا في الفراغ، أجل!.

مر الكثير، وعرفت الكثير، فالعناء قد أسرَّ لي بكل ما أردت أن أكتشف، كانت كلمات العناء بقوله المحذر مفتاح حجرة الأسرار الذي تشوقت للحصول عليه: "أمستعدةً يا فتاة؟، حذاري ستندمين!". وشرع بالسرد، يبدو أن آدم، سُلار، آلن، وأرورا قد انحرفوا في مسارهم إلى نوبس باغو بعد أن نالت التشوهات منهم، ولكن أين اختفت الجثث الآن؟، هذا ما لم يسرَّ لي العناء به.

كان كلُّ من السيد ياقوت وميسان قد حضروا أيضاً، فبينما كان ريان مع تيم والبقية اكتشفنا كل ذلك، وددت لو كان برفقتنا، لكان فسَّر لي ما لم أفهم!، وكان قد أخبرني ببقية الأحجية، فكلمات العناء مفقودٌ بعضها، ولن يتمَّها سوى بشريٍّ واحد، ليس ريان فرغم ما أخفي عني وأسرَّ له فهو ما يزال يفتقر لبعض المعلومات، نحن نحتاج آدم، فأين أنت الآن يا أخي؟.

وجدتها، سأنفذ ما خطر في بالي الآن، فمهما كان خوفي من الحقيقة المرة كبيراً؛ فسيكون فضولي أكبر،

لن أهدأ إلا عندما أحل هذه الأحجية المعقدة بالكامل، قد يكلفني هذا الكثير من العناء، ولكنني لن أستسلم.

ركضت إلى حجرة الأمتعة بسرعةٍ والتوتر قد نال مني، ها أنا هنا الآن، ستبدأ المغامرة الآن، تنهدت ورحت أفتش عن تلك الحقيبة التي تحمل حاجيات ريان، وعندما وجدتها شرعت أنبش بين أغراضه عن تلك الكاميرا التي يراقبنا داني بواسطتها، في الحقيقة لقد وجدت الكثير قبل أن أصل إلى ضالتي، فذلك مشرطٌ صغيرٌ قد دسسته في جيبي بسرعةٍ قبل أن أستكمل بحثي، ووجدت الكثير من القصاصات المزدحمة بحروفٍ بالكاد تُقرأ، التقطت لها صوراً في هاتفي وعدت لضالتي، سأطلع عليها لاحقاً، وجدتها، كاميرا صغيرةٌ ولكن ما هذا الذي يحيط بها؟، محاطةٌ بلؤلؤةٍ أعرف شكلها جيداً، كدت أصرخ من وقع الصدمة لولا تمالكي لنفسني في اللحظة الأخيرة، إنها مهمةٌ سرية، لا يجب أن يعلم بوجودي هنا أحد، ضغطت علي مقاتلي بيناني وأعدت النظر، خلعت عقد أمي المحيط لعنقي وقارنت بين اللآلئ، في العقد لؤلؤةٌ مفقودةٌ لم ألاحظ غيابها سابقاً، والكاميرا تلك تناسبها تماماً، لحظة، ازدردت لعابي بصعوبةٍ والرعب قد نال مني، أكنت مراقبةً في كل تلك المدة؟، ففي صغري أهديت عقدي، وكيف حصل ريان على تلك اللؤلؤة؟، متى سقطت مني هذه أصلاً؟، المزيد من الألغاز، تباً،

تسمّرت مكاني وغرقت في بحور حيرتي ولكن صوت دوران محرك المركبة قد أعادني إلى الواقع، لقد نجحوا وأحضروا مصدر طاقة أخيراً، وشرعت الأنوار تزين المكان مجدداً، لحظة، لقد عادوا؟! شرعت أعيد كل شيءٍ إلى موقعه وكان شيئاً لم يكن مع بقاء المشرط الصغير في حوزتي، غادرت الحجرة تاركةً صدمتي تلتهب في جوارحي، أردت استرداد لؤلؤتي ولكنني إن فعلت فسأكشف أمري، إنها أهم له من المشرط على أي حال، ولذلك تراجع، تنفست الصعداء وأنا عازمةٌ على استكمال المهمة في قرارة نفسي، فبعدما كُشف لي عن ذلك الفتى؛ عزمت على نبش المزيد منه!

ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٢٢ -

ميسان...

ما الذي يحدث بالضبط؟، هذه المركبة الكبيرة تخفي في جعبتها الكثير من الأسرار، وريا عازمةً على اكتشافها جميعاً حتى النخاع، لا أعلم أين ذهبت تلك الفتاة بعد لقاء العنقاء؟، لقد احتفظت بالمفكرة السوداء لنفسي بعد سقوطها من كف ريا، وشرعت أقرأ بعيداً عن الجموع بشغف، فبين دفتي هذا الكتاب العتيق قد أخفيت حفنةً من العجائب، إنه كتابٌ غنيٌ بالاكتشافات والاختراعات عبر العصور، كدت ألتهم الصفحات طمعاً بالمزيد، حتى وصلت للصفحة الأخيرة دون أن أشعر، لحظة، هناك توقيعان يذيلان الورقة العتيقة، شرعت أهجئ الرموز حرفاً حرفاً، لقد كان الاسم الأول "صادق"، مسحت على الحروف برفقٍ واستكملت قراءتي للاسم الثاني وأنا بالكاد أستطيع كبح صدمتي، تذكرت ما روته لي أمي عن جدي في صغري، نعم!، لقد كان الاسم الثاني "ياقوت"، ودون أن أفكر احتضنت تلك المفكرة التي جمعت فطنة عائلتي بين دفتين اصطبغتاً باللون الأسود، وكان الحنان كله قد اختبأ هنا، ولكنه ليس بكافٍ أبداً، أريد حضن أمي وحنانها أيضاً، أود لو أجلس في حجرها فتقص لي المزيد عن جدي وأبي، وعن حال بلادها التي أحتلت طويلاً، وعن تلك الجثة التي تخلت عن كل

قطرة دماءٍ فيها أمام نواظر جمانة اليافعة وأخويها،
 اخترقت رصاصةً فضيةً ذلك القلب النابض بحب الأم
 وعطفها، وأمضت الفتاة أيام اليتيم فوالدها لم يستطع
 لقاء واحتضان أطفاله مذ أضمرت نيران الحرب في
 البلاد، لم تكن تعلم عنه شيئاً سوى ما حكى لها أمها
 عنه، طيبٌ طيبٌ انتقل إلى إسبانيا ليستكمل دراساته،
 حلمت الشابة أن تغدو كوالدها ولكن الحياة قد شيدت
 لها سجنًا قد أحاط بها من كل حدبٍ وصوب، حتى
 هدأت الأوضاع قليلاً فقررت اللجوء لحضنها الأخير
 في هذا العالم البارد، فأخوتها قد انشغلوا بعوائلهم بعد
 إخماد شعلة أحلام شقيقتهم الصغيرة بكل برود، جرّت
 حقيبتها الصغيرة إلى حجرة الأمتعة في المطار قائلةً
 ملء شديقتها: "سورية، يبدو أنني لن أحن"، فتلك
 الأرض قد سلبتها كل ما تملك، وقد طفح الكيل!

تنهدت منهيةً محطة أمي السريعة في رأسي والتفتت
 أبحث هنا وهناك عن أبي، لحظة، إنه ستيف، استوقفت
 الرجل الآلي قليلاً وشرعت أستجوبه بسرعة، لقد
 أخبرني بالكثير، كدت أذهب لإخبار ريا بما اكتشفت
 ولكنني تراجعته في اللحظة الأخيرة، لا أعلم لم ولكنني
 أشعر بأن هذا السر يخصني وحدي دون البقية، فتلك
 مفكرة والدي وجدي في نهاية المطاف، ولكن كيف
 وصلت لرفوف لوكاس يا ترى؟، هذا ما يجب أن
 نعرفه جميعاً وليس أنا فقط.

بينما كنت أتجول بين الحشود لمحت ماريًا تحتضن
دميتها الصغيرة بكفها الراجف والعبرات تلمع في
مقلتيها، دنا منها تيم وشرع يحاول تهدئة روعها قليلاً
ولكن دون جدوى، وهناك أبي يناقش العنقاء في أمورٍ
لم أفهمها، وريًا تهزول إلى وجهةٍ ما والفرع قد نال
منها، "حاصدو السُّدم" منهمكون في خطة الهبوط إلى
ملجئنا الجديد، ولكن أين ريان؟، كأنه اختفى فجأةً بعيداً
عن كل المفاجآت التي حصلنا عليها.

شرعت أشعر بتغير حركة المركبة بهدوء، نكاد نحطّ
على الأرض أخيراً، أمل أن تستقبلنا أرض "بروكسيما
سنتوري بي" بصدري رحب، ولكن يبدو أنها لن تفعل.

ASRU D

للنشر الإلكتروني

- ٢٣ -

أوليفيا...

على أرض "بروكسيما سنتوري بي" قد اختبأنا، وها نحن الآن وقد كُشف أمرنا، فما هي ماهية تلك المركبة التي تدنو منا؟، وما الذي أخفي لنا في جوفها؟، وهل ستكون عدوًّا؟.

ليس بالأمر الجلل، فقد شرعنا بالهجوم بأسلحتنا المتطورة محدثين الحرب في الفضاء قبل أن تقام على هذه الأرض، فمهما كانت أهمية ما أخفي عنا خلف جدران المركبة الفولاذية تلك، سنعرفه مع الحطام.

احتل ضجيج المدافع الأرجاء قبل أن يأتي ذلك الفتى داني ويصرخ مستوقفاً الهجوم قائلاً: "تلك المركبة، إنها تحمل بشراً أيها الحمقى!".

ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٢٤ -

ريان...

مرت مدةٌ لا بأس بها وأنا غارقٌ في مشاهدة ما صورته عدسةُ أمبرا، يبدو أننا قد قضينا وقتاً أفضل من الذي أمضوه أصدقاؤني، كلمات العنقاء لريا جعلتني أرتجف، ما الذي يعرفه هذا الكهل أيضاً؟، بالكاد استطعت حفظ رباطة جأشي حتى أنهيت هذا المقطع، لم يبقَ سوى واحد، تنهدت وشرعت أشاهد ما كشفه لي هذا التسجيل من مفاجآت.

في حجرة الأمتعة، هناك صدى وقع أقدامٍ هادئ، شبحٌ أسودٌ يدلف، لم تتضح لي هيئته لظلمة المكان الدامسة، تسمر الشبح مكانه لبرهةٍ قبل أن ينتشل إحدى الحقائق المتوسطة الحجم، وشرع يفتش بين الحاجيات التي حوتها الحقيبة، لقد بحث طويلاً، احتضن شيئاً صغيراً بين بنانه، طالعته قليلاً قبل أن تُنار الحجره، وعلى جناح السرعة ودون أن تظهر هيئة المتسلل عادت الأمور إلى نصابها، كل شيءٍ في مكانه مجدداً والأغراض كأنها لم تمسّ، لحظة، أليست تلك حقيبتني التي فُتشت للتو؟.

لم أستسلم بعد، فهناك عدسةٌ مقابل بوابة الحجره، ازدردت لعابي بصعوبةٍ بعد اكتشافي هوية ذلك المتسلل، وثبت دون تفكيرٍ أبحث عن أي شيءٍ قد

يفيدني ولو قليلاً، شرعت أجري هنا وهناك بحثاً عن ضالتي، لحظة، إنها ماري، استوقفتها قليلاً وشرعت أمطرها بأسئلتها الكثيرة: "ماري، الجثث البشرية، أين عينات دمائها؟"، طالعني بنظرةٍ مستحقرةٍ وقالت والنار تلتهب في عينيها: "وما شأنك أنت؟، هل شغلتنى لأمرٍ تافهٍ كهذا؟، على كل حال أنا لا أعلم فاغرب عن وجهي، وأيضاً يا فتى، قالت لي الطبيبة أن أعلمك بذلك، لقد فشل علاج ساقك"، وتوارت عن الأنظار، يبدو أنني سألتها في توقيتٍ خاطئ، كدت أستدير لاستكمال بحثي لولا استوقاف ذلك الصوت الأجلج لي وجعلني أتسمر مكاني مستمعاً لكلماته تلك: "أتريد معرفة المزيد؟، اتبعني"، جررت ساقي بصعوبةٍ للحاق بخطوات فينيكس السريعة نوعاً ما لأعرف بما يريد أن يسرّ لي، هيا بنا ياريان، خيط الحقيقة بين أناملك الآن، لا تستسلم.

إلى غرفة القيادة نسير ولا أعلم لمّ، دلفنا والجميع هناك، كان حاصدو السّدم منشغلون بخطة الهبوط عندما أُغلق الباب المعدني، رمقني الجميع بنظراتٍ غريبةٍ قبل أن يردف فينيكس: "يريد معرفة ما آل بأولئك البشر، جثث المركبة المحطمة"، ظهرت ماري من العدم عنوةً لتقول والاستهزاء يعلو محياها: "فينيكس، لا تظهر غيابك الآن، أنت الآن ستكشف أكبر أسرارنا، وحتى تلك الأمور التي أخفيت عن

العنقاء."، تجاهل فينيكس ما قيل له واتجه صوب درج كبير، كاد يسحب المقبض قبل أن يقول بهدوء: "لست بغبي ماري، أنت الأعلم بهذا، ألسنت محقاً؟، ريان، أتعلم ما جرى في ذلك اليوم الروتيني الممل؟، شرعت السماء تمطر أشلاء معدنية، وبعد البحث قررنا إقامة مهمة تتجه صوب مصدر الفتات، وبالفعل، لقد تولى فريقنا هذه المهمة بإرسالنا أنا ولونا وقيان إلى ذلك الجسم الغريب الذي يقذفنا بأشلائه تلك، لقد كانت مركبة فضائية مهيبة مهشمة، دلفناها بخطئٍ راجفة، ووجدنا هناك ما أخفيه في هذا الدرج، وأربع جثث بشرية مشوهة، أحضرنا كل ما استطعنا حمله لندرسه على أرضنا نوبس باغو، واحتفظنا بعيناتٍ من دماء الجثث لندرسه الطبيعية فيكتا، أمستعدُّ صديقي للمفاجأة؟"، لم أفقه فحوى سؤاله الأخير ولكنني لم أنبس ببنت شفة، ابتعد فينيكس عني واتجه صوب أزرار التحكم فأطفأ نظام المراقبة، عاد أدرجه وهو يقول والحماس ملء شذقيه: "والآن، سأخبرك بالسِر، تلك الجثة في غرفة العلاج، كانت في المركبة، ووجدنا في عنقها شيئاً مميزاً، سأريك إياه."، وفتح الدرج أخيراً، "ألقي نظرةً على ما أخفاه الرف السادس عشر."، وشرعت أقلب كل شيءٍ بينانٍ راجفٍ وأطالع ما تركه البشر بعيونٍ مزدحمةٍ بالعبرات، بقايا نظارات آلن، أقراط أورورا، عقد آدم الفضي الملطخ بالدماء، وخاتم زواج سُلار، أصدقائي الأعزاء، أعرف أنكم قد

مررت من هناك، أهذا ما تركتموه خلفكم؟، وإزالة
عبراتي قطرات الدماء عن العقد اللامع، يبدو الآن
نقش اسم آدم واضحاً أكثر، قطع فينيكس سلسلة
ذكرياتي قائلاً: "وذلك الكتاب الأسود العتيق، لقد كان
هنا أيضاً!، ولكنه اختفى على حين غرة، أعرفته؟"،
ابتسمت ساخراً لسرقة ريبا للكتاب والعبرات تسقط على
ثغري، أهكذا وصل الكتاب العربي إلى هنا؟، ولكن
كيف وصل لأيدي ذلك الفريق؟، استوقف فينيكس
تساؤلاتي قائلاً وبنانه يشير إلى ما في يدي: "ذلك العقد
بين أناملك، كان يتوسط عنق الجثة الحية تلك"،
لحظة، بالكاد ازدرت لعابي وأنا أحاول التصديق،
أيعني ما فهمته؟، أعدت الحاجيات إلى موقعها بسرعة
وهمت للمغادرة قبل أن تجمد حركتي ماري قائلة:
"ريان، إنه سرٌّ قد حُفظ بين ثمانية أفرادٍ لسنين، نحن
والطبيبة فيكتا فقط، فاحفظه أيها الفتى التاسع، إياك أن
يخرج حرفٌ خارج نطاق الغرفة المعدنية هذه"،
تابعت سيرتي بعد أن غير قول ماري وجهتي ليصبح
هدفي الآن استكمال هذه الأحجية بصمت، زرعت
هدفي نصب عيني واتخذت خطاي إلى حجرة العلاج
للمرة الأخيرة، لن أعالج الآن، أنا هنا لأمرٍ أخطر
بكثير!.

أهمهم قرب رأس الجثة بهدوءٍ والعبرات الحارة تهوي
على وجنتي الجثة بصمت، "آدم، إن كنت تسمعني،

نحن نفتقدك، نحن نحتاجك، ريبا نحتاجك."، واتخذت خطاي لأرحل إلا أن صوت سعالٍ من خلفي قد أصمّ أذناي مرةً أخرى، كدت أعود للجثة لولا جموح المركبة بقوةٍ مما جعلني أخرج إلى الحشود المجتمعة سويةً مترقبين ما ستؤول إليه الأمور، أصواتٌ غريبةٌ أشبه بالقذائف تحتل هدوء المكان، تهوي المركبة بشدةٍ والنيران قد أضمرت في المحرك، تجمد لساني وشرعت أطرافني ترتجف، كذلك أصدقائي البشر المجتمعين حولي، همهمت ماريًا تقول والابتسامة الساخرة ملء شديها: "اتوقعنا احتلالاً هادئاً لهذه الأرض؟، لن نُرحم."، محقة، ولكن هيهات هيهات أيها العالم اللعين!، لن نُهزم هنا!.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٢٥-

فلمة...

أشعر بالنيران تستعرّ فيّ بشدة، ليس وكأنها تغزو المكان بأكمله، إنهم بشريو المنظمة، ما بالكم ترموننا بأسلحتكم تلك؟، نحن لسنا هنا لاحتلالٍ كوني أو ما شابه، نحن نريد النجاة فقط.

يبدو أنهم لا يسمعون نداء داني، يبدو كسوبرنوبا من اليايسة، ليتني أستطيع التحكم بالفتى داني قليلاً، رؤية ما حوله ليس كافياً الآن، يجب أن ننهي هذه المهزلة بطريقةٍ أو بأخرى!، حتى داني يريد ذلك.

عدت إلى عيني والصداع يحتل رأسي وأفكاري، يبدو أن لهفتي لسرقة النظرات تكلفني أكثر من السابق، أريد أن أحطم عجز فريقتي وصمتهم ورعبهم بأي شيء، وأردت أن أصرخ وألفظ زوابع الألم بشدةٍ ولكن ذلك لن يزيد الطين إلا بلاءً، الوضع يزداد خطورة، نهوي دون هوادةٍ إلى حتفنا، سأفعل ما أستطيع لأردع أطيف الجمام من خطف أرواح أصدقائي، ربما كنت عنيفةً وطائشةً في سابق عهدي، ولكنني لست كذلك الآن، لأجتث رماحي الملهبة وأبدأ الحرب بنفسي، لا أظن أن الماجلان يملكون تلك الأسلحة المعادلة لقوة أسلحة البشر، هم لم يحاربوا أحداً سابقاً، ولكن حرابهم ستريق الكثير من الدماء الحمراء، وستتلوث مخالبتهم للمرة

الأولى على خلافي أنا، أشعر بدماء ذلك الفتى الحمراء
تسير بخفةٍ على جلدي حتى اللحظة، أمل أن أستعمل
قوتي لجذب الحياة هذه المرة لا الموت مجدداً، ها أنا
قادمةٌ أيها البشريون لأفعل!.

كدت أندفع للهجوم وحدي كالحمقى حين دنت مركبتنا
من اليايسة لولا استوقاف صوت أمبرا المدوي لي وهو
يصرخ والجنون قد سكن أنفاسه وكلماته: "أتودون
الإطاحة بنا؟، حمقى!، لا تعلمون ما أخفي خلف
جدران مركبتنا الفولاذية وداخل جلودنا السميقة، حان
الوقت لإشهار مخالبتنا أخيراً، إنه دورنا الآن يا رفاقي
لنحمي حيواتنا مهما كلف الأمر، لنظهر بطاقتنا
الرابحة، لنكن مجانين قليلاً، شجعان كثيراً!". بدا
حماس الماغلان وظهرت تلك المخالب التي شُحذت
طويلاً استعداداً للحظات كهذه، وشرع السواد يحتل
زرقة جلود المحاربين، العروق تتفرض سخطاً على
غرائمنا، لنُدع الأمر لغرائزنا الوحشية فقط، أشعر
بأنيايبي الشبقة للدماء تتضخم وتحتد بشدة، سأهاجم أنا
أيضاً، ألم تكن تلك فكرتي من الأساس؟، ولكن جبني
منعني من إطلاق خطة الدفاع الهجومية هذه، يدركون
ضعفي، سأريكم أيها المستخفون، أنا من سيسقط
الملك!، وكأنني سادع سواي يفعلها.

هناك أمبرا يتقدم بجنون ولا يكف عن الإطاحة بالبشر،
يبدو أقوانا وقائدنا هنا، ولكن حذاري أيها القبطان، لا

تخرج عن السيطرة.

الجاذبية قويةً على بروكسيما سنتوري بي، أعدو كوني أم ماذا؟، أظن أنها مناسبةٌ جداً للبشر، وكان هذه الأرض هي ملكهم من الأساس، لا، لن يردعنا ذلك من الهجوم!، لن نستجيب لنداء أطيف الجمام هذه المرة، لقد خُلقنا لنحارب وندافع عن حيواتنا، وحن موعد الحرب!.

حرب الدماء قد بدأت، أشعر بها تسري على شفاهي وبين أناملي، تبدو الأفضلية لنا، ولكن ليس للأبد.

النهر الأحمر يزداد ازدحاماً مع عدد الثواني هنا، جذبت خصلاتي الملتهبة خلف أذني وأعدت النظر، كم واثباً بقي؟، لحظة، هذه ليست عيناى!، ما الذي أبصره الآن؟، إنها ليست نظرات داني، هذه أحد من تلك المحسنة بنظارات سميكة، أين أنت الآن ماريا؟، توقفي!، كدت أعدو إليها حين عدت لنفسى لولا تلك الأيدي والأصفاذ المقيدة لحركتي، ابتعدوا عني أيها الحمقى، هي بحاجة إليّ، دعوني أخوض مغامرتي الأولى كما أريد، لن أكون مجرد رهينة في هذه الحرب، وكان أحداً سيهتم لأمرى، ولكنني أهتم، سأنقذهم جميعاً، وسأسقط عرشك الزجاجي، وسأدمر أغلاك في نهاية المطاف، ويليام!.

-٢٦-

ماريا...

أشعر بجنون الماجلان يسري فيّ، ها هم قد شرعوا بالهجوم وإسقاط الجثث عنوة، بينما وقف البشريون منا يشاهدون المجزرة فقط، لا، إنها حربنا نحن، أليسوا أعداءنا؟، طالعت سكيبي الصغيرة طويلاً قبل أن أتخذ قراراً، سلاحى الملطخ بدماء ياقوت، لا أعلم سبب كونها بحوزتي إلى الآن ولكن ذلك لم يكن عبثاً، وثبتت أحتضن سكيبي بأنامل مائدةٍ فقد حان دورى أخيراً، حان دورك لتكونى الضحية أيتها السفاح، أليس كذلك أوليفيا؟.

لا حاجة للصخور لتضعنى على اليابسة مجدداً، أحتاجها للفت الانتباه فقط، يجب أن تعرف أوليفيا غريمتها جيداً، ما عادت تشكل لي تهديداً كبيراً كالسابق، لا أملك ما أخسره حتى، فبأى سلاح سري ستقوى على مجابهة عاصفة جنون الفتاة الهجينة؟، أتطلع لرؤية بطاقتها الرابعة وإحراقها بشدة.

تقدمت بخطواتٍ شبيهةٍ للهجوم، ولكن صوت صراخٍ احتل أفكارى فجأة، تسمرت مكانى لوهلةٍ وشرعت أبحث عن مصدر الصوت بعيني الصغيرتين، يبدو أننى الوحيدة التى سمعت تلك الصراخات، الجميع يتأهب للانقضاض على الأعداء، ولكن أنا قد خارت

قواي عنوة، تقدموا إلي حين أستعيد جنوني
وشجاعتي!، ولكنني أجزم بحقيقة ما احتل رأسي،
ليست مجرد هلوساتٍ أو ما شابه، إنها فلمة!، ولكن أين
أنتِ الآن؟، وكيف استطعت وحدي الشعور بتلك
اللحظة التي أخارت قواي، لا تستسلمي فلمة، لن
أستسلم أنا أيضاً، سنقاتل معاً وسنجذب الحياة بخيوط
دماء غرائمنا، ألسنت متعطشةً لذلك مثلي؟.



ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٢٧-

ريا...

ها نحن ذا أيها الوحوش، أرى أن موعد الانتقام قد حان أخيراً، أحيط مشرط ريان بأناملي بقوة، أي روح ستزهدق بذلك السلاح الصغير؟، أخشى أن تكون خاصتي.

تقدمت بهدوء عساهم لا يشعرون بإقلامي على الهجوم، فما حاجتنا نحن بينما يهتم الماجلان بأمرهم بشكلٍ مذهل، ولكنني أريد سرقة أرواح من سرقوا مني الكثير، ألقيت نظرةً أخيرةً على الجموع قبل أن أخفى عن الأنظار، القليل من الماجلان لحماية مركبتنا المهشمة برفقة مساعد القائد تيم، وفريقٍ صغيرٍ لمساعدة المرضى والمصابين القلة من الماجلان، الطبيبة فيكتا رفقة مساعدتها ماري يهتمون بذلك بمساعدة العم ياقوت وميسان، إنهم يشكلون فريقاً لطيفاً، لا دور لي هنا إذأ، لا يشعرون بوجودي ولن يشعروا باختفائي، ممتاز!، ويليام، أوليفيا، داني، وسائر أعدائي، سأنهي أمركم جميعاً، كنا ننوي اللجوء إلى أرضكم فقط، ولكنكم تريدون ذلك، حانت ساعة الحرب أيها الحثالة!.

ترجلت من مركبتنا الملاصقة للأرض ببطءٍ لعل أحداً لا يشعر بخطواتي الصغيرة على المعدن المهشم،

تقدمت أخطو على السجادة الحمراء بهدوءٍ شابه
 الخوف، ألا يجب أن أسعد لانتصارنا على هذا الجمع
 الضخم؟، أليسوا أعداءنا في نهاية المطاف؟، لحظة،
 أليسوا بشراً أيضاً؟، كادت عبراتي تهرب مني لولا
 شعوري بتلك الهالة الثقيلة تحيط بي، إنها أوليفيا!، لا
 أستطيع إخطائك، وعلى جناح السرعة جذبت مشرطي
 الصغير والتفت لأجدها خلفي خالية الوفاض، لا سلاح
 بحوزتها، أظنها فرصتي للهجوم، لقد رأت سلاحي
 على أي حال، شرعت أدنو منها مرخيةً دفاعي
 كالحمقاء دون أن أشعر، مهلاً، وقع خطوات ما خلفي
 يعيق تركيزي، وظهر صوت الطيف ذاك مع اتساع
 ابتسامة أوليفيا لتحتاني الصدمة رويداً: "دعيني أهتم
 بذلك"، شعرت بساعدي يُجذب إلى الخلف بخفةٍ
 ومشرطي يُسرق مني دون أن أستطيع الحراك ساكناً،
 طالعت ريان والدهشة قد سيطرت على ملامحي،
 أوليفيا تقترب مني أكثر فأكثر، أتستغل أنني نصف
 مقيدة؟، كانت تقول والخبث ملء شديقيها: "ستنفذ
 أوامري الآن أليس كذلك؟، لقد كبرت يا فتى، أنت تعلم
 مهمة ذلك السلاح الصغير، يمكنك فعلها الآن؟، تبدو
 أشد شجاعةً من السابق، ستنهي أمر تلك الحشرة
 الصغيرة أخيراً، صغيري!". وضعت أوليفيا بنانها
 على ذقني وطالعتني بقسوة، ما الذي قالته منذ قليل؟،
 يمكنني إدراك ذلك جيداً، وشرعت العبرات تسقط
 بصمتٍ على وجنتي الشاحبتين، الآن فقط لا أريد أن

أنتهي من كل ذلك، لا أريد أن أقتل هكذا، فقط كحشرة
أمرت أوليفيا بسحقها، إن كنت تودين إنهاء أمري
فلتفعلني ذلك بنفسك، ألن تلوثي أناملك بدمائي
المشتعلة؟، ألسنت الضحية المناسبة للسفاح داخلك؟،
قطع أفكاري جذب أوليفيا لي من عنقي عنوةً، تنتشل
عقدي على حين غرةٍ وتتفحصه بأعينٍ تشع قلقاً، تنهى
إلى مسامعي صوت ريان وهو يقول بنبرةٍ باردةٍ لم
أسمعها منه يوماً: "ليست هنا، لن يُكشف أمرك!.."،
يقصد تلك الكاميرا المغلفة بإحدى لآلي عقدي، تلك
التي كانت بحوزته، التي كان داني يراقبنا بواسطتها،
ذا المليون عين، سكنت الطمانينة ملامح أوليفيا أخيراً،
لحظة، أليس التخلص مني أمراً من القادة هنا؟، قطع
تساؤلاتي تحرير ذراعي على حين غرة، كدت أجتو
لأجمع لآلي عقدي التي تساقطت أرضاً لانتشاله مني
بعنفٍ منذ قليلٍ إلا أن حركةً خاطفةً من ريان تجذبني
بساعده من عنقي عنوةً، يضغط على حنجرتي بقوةٍ لم
أعهدا منه قبلاً كادت تسلبني وعيي، أشعر بخصلاتي
تلاصق عنقه وسترته، كدت أباغته بحركةٍ من كوعي
ولكن دفاعه كان مساوياً لقوة هجومه، أنا التي أرخي
دفاعي دائماً وليس هو، ها هو يرفع رأسي بساعده
قليلاً ويمرر مشرطه ببطءٍ على عنقي التي شرعت
تكتسي بدمائي رويداً، مازال يحبس أنفاسي بذراعه تلك
حتى تلتخ كم سترته بدمائي الملتهبة، أردت أن أعلن
عن عدم استسلامي ولكنني لا أستطيع الحراك، دنت

أوليفيا منا أكثر لتربت على كتف ابنها وتهمس في أذنه
بنبرة غريبة: "كدت تنهي ذلك، يمكنك فعلها، الضربة
القاضية فقط، ليست بتلك الصعوبة."، وكأنها كانت
تهمس في أذني، كدت أحرك أناملي المائدة لأتحسس
قطرات المياه الدافئة التي تساقطت على جبهتي فجأةً
لولا ارتخاء جسدي عنوةً حتى لم يقوَ ريان على رفعه،
حاولت التشبث بستره قاتلي قليلاً ولكن لا فائدة، ها هي
ذراعاه تبتعد عن عنقي لتتركني الأمس هذه الأرض
بجسدي الهزيل، شرعت عيناى بالانغلاق بينما أطالع
النهر الأحمر الذي نبع مني، هل سأستسلم؟، يبدو أنني
قد فعلت ذلك!.

ASRU D

للنشر الإلكتروني

-٢٨-

ألكس...

محاظً بالمخلوقات الغريبة من كل حدبٍ وصوب، أي فضائيين هؤلاء؟، أصدقائي يسقطون حولي تباعاً، أهذه الحياة التي وُعدنا بعيشها؟، هكذا فقط كحصنٍ بشري لمن ندين لهم بحيواتنا، ألم يخبرنا السيد ويليام أن مهمتنا ستقتصر فقط على بناء عالمٍ جديدٍ على هذه الأرض؟، لم نعمل البندقيات الآن؟، وكأنني أجد التصويب، وكأن حفنةً من المهندسين البسطاء يجيدون حمل الأسلحة الثقيلة، نحن هنا لا نجابه أي أحدٍ فحسب، إنهم عصابةٌ من الفضائيين المجانين الخارقين، نكاد ننتهي، تباً لبناءٍ عالمٍ جديدٍ وتباً لأوامر المنظمة تلك، يجب أن أهرب بجلدي!، أعدو بكامل ما أملك من قوةٍ إلى اللامكان، بالكاد أرى إلى أين تقودني ساقِي، اصطدمت بأحدهم على حين غرة، انتهى أمري، رفعت رأسي والعبرات ازدحمت في عيناَي وكدت أتلفظ بكلمات التوسل ولكن من ظهر لي أحمد نيران خوفي قليلاً، بشري! ريان! كدت أرفع يدي لمصافحة صديقي قبل أن أتلقى ركلةً على وجهي ترميني أرضاً، دنا مني والنيران تستعرّ في عينيهِ وسرق سلاحِي، لم أستطع الحراك، أشعر بقدمه تضغط على معدتي بشدة، رفع بندقيتي اتجاه جبهتي الدامية، أوشك على ضغط الزناد، "ابق على حياتي رجاءً"، لم أتخيل أن أقولها يوماً

لزميل الطفولة، وكأنه سيبقي عليها حقاً، ها هي
العبرات تهرب من عيني بشدة، واحتل صوت إطلاق
النار مسامعي، واختلطت الدماء بالدموع لينبع نهرٌ
أحمرٌ آخر، تلك هي نهايتي، جثةٌ هامدةٌ بعد كل
محاولاتي المستميتة للنجاة.



ASRU

للنشر الإلكتروني

- ٢٩ -

ميسان...

ها نحن ذا مجدداً، نحارب ونحارب، ألم يكن هدفكم تطهير البشرية؟، وكأننا لا نعلم عن مخططاتكم شيئاً، كانت أسراركم جميعها مكشوفةً بين صفحات المفكرة السوداء العتيقة تلك، أذلك عزمتم على التخلص من والدي؟، بأنكم تستطيعون.

لست حمقاء لأنضم لجبهة القتال خالية الوفاض، لكنني لن أقف مكتوفة اليدين هكذا بكل بساطة، سأساعد من يحتاج العون هنا، هناك الكثير من المرضى والعجائز من الماجلان، وأعداد المصابين تزداد أيضاً، أعلم أن الأفضلية للماجلان ولكن ذلك لا يجعلنا دون خسائر، أشعر بصرخات البشر في الطرف الآخر، إنها تحطم قلبي، ألم نكن نريد النجاة فقط؟، ما كل ذلك الجنون الذي سيطر على الماجلان؟، تبدو ماري أشدهم هدوء الآن، تسيطر على مخالبتها بصعوبةٍ بدت جليةً على ملامحها، لأن مهمتها الحقيقية ليست القتال، هي هنا لمساعدة المقاتلين بطريقتها الخاصة، الجميع يحتاج لها لاستكمال ما بدأنا به، خطة النجاة.

قطعت أفكارى وثبة ماري المفاجئة من موقعها بعد انتهائها من معالجة إحدى الإصابات، كدت أتبع خطواتها السريعة لولا خروجها من المركبة فجأة،

كانت ترحل بين الفينة والأخرى للاطمئنان على حال الجميع ولكنها لم تغادر حصننا المعدني قبلاً، كنت أراقبها من موقعي الآمن وهي تبتعد عن المكان رويداً، وقفت بين حفنة من الماجلان المجتمعين حول شيءٍ ما، لم أستطع إبصاره لتحولتهم كالبنيان المرصوص، صرخت ماري على حين غرة حتى وصل صدى كلماتها إلى موقعي هذا: "توقفوا أيها الحمقى، إنها من فريقنا."، وانحنت إلى الأرض تتحسس حياة من لاصقها، لحظة، ما الذي يجري على الطرف الآخر؟، يبدو أن الماجلان قد حصلوا على رهائن، تناهى إلى مسامعي صرخات ماري الملتهبة وهي تقول بكلماتٍ مازجت مشاعرها الحاقدة بقوة: "أوليفيا، حصلنا عليك أخيراً، اقتربت لحظتك يا هذه!". لم أعرف هوية الرهينة الأولى، ولكن الآخر أعرفه جيداً، ولكن كيف؟، ألا يعلم الماجلان حلفاءهم من البشر أم ماذا؟، خطت ماري بوقارٍ إلى غنائمنا تاركة خلفها تلك الجثة التي كانت "من فريقنا" لبقية الماجلان ليدلفوا بها إلى المركبة، انتصبت ماري بقامتها الواثقة مقابل تلك السيدة المدعوة بأوليفيا كما قالت ماريا تطالعها باستحقالٍ بدا جلياً على ملامحها، والتفتت إلى الرهينة الأخرى لترفع يدها إلى السماء قليلاً تستجمع قواها قبل أن يسيطر وقع صفةٍ قويةٍ على الأجواء، انبثقت الدماء من فاه الفتى الرهينة معلناً عن كمّ السخط الذي حملته ماري في هجومها ذلك، أهو عدوٌ حقاً؟، لا

أصدق كيف لطيب كريان أن يكون جزءاً من كل ذلك، قطع أفكاري صوت خطوات ماري على الأرض المعدنية بقربي، التفتت إليّ عنوةً وقالت لي بلهجتها الصارمة تلك: "لا وقت للصدمة، ريا بحاجتنا، الكثيرون بحاجتنا أيضاً، انظري، هناك من يكاد يفقد السيطرة على قواه، أخشى حدوث ذلك، سيكون كبحك صعباً أيها الوحش".

ألف الضماد حول عنق صديقتي المصابة بحذرٍ والعبرات تحتل وجنتي بهدوء، ما الذي حصل حقاً؟، ذلك الشيء الذي كان الماجلان متجمعين حوله منذ قليل؛ كانت أنت صديقتي، استفيقي قريباً رجاء، رغم أن إصابتك لم تكن مميتةً ولكنك صبغت المكان بدمائك، ستنجين فأنت أقوى من ذلك، هناك الكثير لتعيشيه بعد، ستكشف الحقائق لك، ألم تنتظري ذلك طويلاً؟، أنت تقتربين منها رويداً، ربما ستحطمك الأسرار مجدداً ولكنها تستحق، فالأسرار خلقت لتُكشف!

للنشر الإلكتروني

-٣٠-

داني...

شرعت الأمور تزداد تعقيداً هنا، لم أتوقع أن يكون خصمنا بتلك الشجاعة، الفضائيون يمزقون كل ما يعترض طريقهم دون أدنى رحمة، يبدو أنني سبب ما يحدث الآن، أكان يجب أن أكشف حقيقة نجاتنا لأولئك البشر؟، كان ريان حريصاً على معرفة الكثير، ما هدف هذا الفتى؟، ألم يكن جزءاً من فريق الماغلان ذلك؟، هل انضم لأوليفيا فجأة؟، ألم يقضي على ألكس وغيره من جنودنا منذ قليل؟، ما الذي دهاه؟، ألم يكن طيباً؟، هل أصابه الجنون كأصدقائه؟، لا، إن بركانه ينفجر فقط، هذه حقيقته، ولكن لم أظهرها للعلن الآن؟.

أشعر بصراخٍ ما يدوي في رأسي مذ بدأت هذه الحرب، ضغطت على جبھتي بأناملي بقوة ليته يتوقف ولو لهنيهةً فقط، لا فائدة، قطع فعلي هذا صوت صرير بوابة الحجرة المجاورة في مقر المنظمة، المقر الذي ترك فيه ألكس ورفاقه بصماتهم الخاصة، دنوت من الجدار ووضعت أذني عند فتحة التهوية لأسمع تلك الصرخات تعلو مجدداً، إنها ليست في الآن، إنها حقيقيةٌ جداً، كان جلّ تركيزي على ذلك الصوت الغريب قبل أن يُفتح باب غرفة المراقبة خاصتي بقوة، وثبتت بسرعةٍ إلى مكتبي وكانني لم أبعد عيني عن الشاشة الكبيرة أبداً، اقترب ويليام من مكتبي يقول

وابتسامة النصر الخبيثة تملو محياها: "لدينا رهينة، ستُحسم هذه اللعبة لصالحنا أخيراً."، كاد يغادر لولا كلماتي الغاضبة تلك مع عبراتي المتسارعة التي قلبت الطاولة: "أنحن مضطرين لفعل ذلك؟، ألا ترى كم الضحايا التي سقطت؟، ألا تكفي؟، إنهم مجانين عندما يتعلق الأمر بحيواتهم، أنت لا تعبت مع البشر هذه المرة."، استعددت لأي ما كنت سألقاه من هذا الوحش ولكن أمراً ما قد جمّد كلانا عنوة، طالعت الشاشة بأعين غزتها نظرات الصدمة، لقد حصل أعداؤنا على رهائنهم أيضاً، لم يكتفِ ويليام بذلك ليحتل شبح الصدمة عقله، تبدو جثة ريا مؤلمة حقاً، أليست ابنته على أي حال؟، قطعت أفكار صفة ويليام المفاجئة لي وهو يقول والغضب يشتعل في أنفاسه ونظراته: "أشرطة التصوير السابقة، أخرجها لي جميعها، أي كاميرا هذه؟، أجبنني!."، تجمد لساني وجسدي لوهلة قبل أن أشرع بعرض الشريط السابق على ويليام، كدت أجيبه عن سؤاله ذلك ولكن فكرة ما احتلت رأسي، "سيد ويليام، أنت تعلم أن عرضي لهذا الشريط مخالف للقانون، وإجابتي على سؤالك أيضاً، يمكنني التكتّم عن ذلك لأجلك، لكن لدي طلبتي أنا أيضاً، أظهر لي رهينتك وإلا لن تعلم شيئاً."، وأوقفت عرض الشريط حتى يجيبي بلهجة لامبالية بطلبي: "افعل ما تشاء" ورمى لي مفتاح الغرفة المجاورة، لا أعلم سبب فضولي لمعرفة هوية هذه الرهينة ولكنني فضولي على

أي حال، ليس لدي طلبٌ آخرُ الآن حتى، كدت أخرج
بغيمتي قبل أن ألتفت إلى السيد المنشغل بالتسجيل ذاك
وأقول له: "تلك الكاميرا التي تشكل جزءاً من عقد ريا،
إنها تبتّ لي كل ذلك، كاميرات أوليفيا وريان لا تعمل
أصلاً، ولكن تلك اللؤلؤة ليست مع ريا الآن، لم أستطع
تمييز زاوية التصوير جيداً، أستأذن الآن."، والتفتت إلى
تلك البوابة الموصدة بإحكام، ها نحن ذا أيها الوحش
الذي لم يكفّ عن الصراخ فيّ، تسمرت قليلاً أمام هذا
الباب الذي أخفى خلفه الكثير من المفاجآت، آسفٌ سيد
ويليام على ما يحدث الآن، إنها خطة ريان لتُكشف
الحقيقة أخيراً، كانت تلك اللؤلؤة بحوزته طوال الوقت،
إنه يتعمّد توريط نفسه في هذا، مما صنّع قلبك القوي
صديقي؟ وادرت المفتاح في فتحته الصغيرة بهدوءٍ
حتى تظهر لي حقيقة الوحش الصارخ أخيراً.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٣١ -

لونا...

إنها الحرب إذًا، ها هم أصدقائي يتقدمون لينهوا تلك المهزلة، أما أنا فالأضواء قد احتلت عقلي وأغشت أبصاري، بالكاد أحتفظ بالقليل من رؤيتي لمعرفة أين أخطو، تباً لتلك النيران التي غزت الأجواء فجأة، أريد أن أظهر قوتي أيضاً، أتبع الطريق الذي أتحسسه ببناني فقط، يبدو أنني قد وصلت أخيراً، حجرة التمريض، عسى أن تساعدني الطبيبة فيكتا في حل معضلاتي هذه، دفعت الباب بلطفٍ قبل أن أدلف على جناح السرعة لأطلب علاجاً ما حالاً، تقدمت إلى الأمام حتى اصطدمت بجدارٍ ما، رفعت كفي الصغيرة لأشعر بقبضة حديديةٍ أحيطها بين أناملي، أفرجت عن عيني المغلقة حين جررت البوابة الضخمة بصعوبة، الظلمة تملأ المكان، أستطيع الإبصار بشكلٍ أفضل الآن، جلت في هذه الحجرة باحثةً عن دليلٍ ما، لا أعلم ماهية ما أريده ولكنني أريد شيئاً ما حقاً، تناهى إلى مسامعي صوتٌ غريبٌ على حين غرة، نقراتٌ خفيفةٌ على المعدن، أعرف هذا اللحن جيداً، إنها شيفرة مورس، علمتني إيّاها ميسان منذ مدة، لحظة، تقول "أنقذني"، ولكن من هناك؟، حاولت تركيز نظراتي أكثر على مصدر الصوت، أدنو من ذلك الشيء رويداً، سائلٌ أحمرٌ يصبغ هذه البقعة، إنها دماءٌ بشرية، لم أستطع

تميز المزيد، هرولت خارج هذه الحجرة دون أن ألتفت حتى إلى ما صادفته هناك، أغلقت عيناى بكفى وأسندت جذعي الصغير إلى بوابة ذلك المكان الغريب من الخارج، كان الضوء قوياً في الخارج مما ألهب عيناى بشدة، احتضنت نفسي وابتعدت في مخيلتي بعيداً عن ذلك الألم الذي كاد أن يسيطر علي ولكن لكزة ماري المفاجئة لي أيقظتني من عالمي ذلك، وثبت مفزوعةً قبل أن تبادرني بسؤالها المفزع أيضاً: "لونا، ما الذي لوث قدميك هكذا؟"، كانت تلك الدماء البشرية، أعلمها بالحقيقة؟، كدت أفعل لولا دفعها لي وتقدمها من تلك البوابة بثقة، دفعت البوابة الضخمة بقوة وشغلت الأضواء، لحظة، أين تلك الجثة؟، ألم تكن هنا منذ قليل؟، التفتت إلي صديقتي عنوةً ونظراتها قد أنهت أمر شجاعتي وشرعت تلفظ حروفها مع أنفاس التنانين خاصتها في وجهي: "تلك الجثة البشرية، أنت ملطخةٌ بدمائها، تعلمين موقعها الآن أليس كذلك؟، إلى أين اتجهت لونا؟، أجيبيني."، ماذا؟، بالكاد لمحت ذلك الشيء المشوه هناك، أكان بشرياً كما توقعت؟، لا أفقه ما تقوله لي هذه الفتاة فجأة، ولكن لم كل ذلك الانفعال؟، قطع تساؤلاتي تلك وقع خطوات ماري الغاضبة بعيداً عن هنا، يبدو أنها ستعود لعملها، لا وقت لحل ذلك اللغز الآن، تبعثها وأنا أبادرها بسؤالني عن علاج مؤقتٍ لألم عيني، ولكن إجابتها كانت بعيدةً جداً عما توقعت، "لن تحسلي عليه قبل أن تعترفني

بذلك"، وطالعتني بنظراتها الشريرة لهنيهة قبل أن تتابع تقدمها وكأن شيئاً لم يكن، لا أعلم أقسم!، لم ترمين علي التهمة هكذا دون أدنى رحمة؟، وما شأني أنا بتلك الجثة على أي حال؟، لحظة، جثة بشرية!، ألك من المركبة البشرية الغريبة؟، أو كما يدعوها ريان "الرحلة العشرين"، تلك التي أخفينا أمر الاحتفاظ بها عن الجميع؟، أهي على قيد الحياة إلى الآن حقاً؟، وشرعت التساؤلات تحتل عقلي رويداً، يبدو أنني سأحل هذا اللغز هنا والآن، لا يمكنني الانتظار أكثر، إنه دوري أنا، هذا أمر مهم على أي حال.

شرعت الذكريات تتأرجح في رأسي دون هوادة، لا أعلم لم ولكنني سمحت لها بالتدفق ببطء لتحتلني مجدداً.

حين رفعت كفي الصغيرة إلى الفضاء ليبتني أخفي تلك الأنوار التي تُغشي أبصاري قليلاً، حركت أناملي ببطء لأشعر بالحياة حقاً، أليست مخيلتي فقط؟، انتصبت في جلستي مفزوعة مما عرفت، التفتت حولي أبحث عن أي شيء، فقط الشفق والسحب حولي، لا شيء آخر، وثبت نافضة الرمال السوداء عن جسدي الصغير وشرعت بالسير إلى المجهول.

يبدو أنني مجرد تجربة فاشلة حتى رُمي بي في ذلك المكان الفارغ، كان السير البطيء مملاً فشرعت بالركض معاكسة لخط الرياح القوية، تطايرت

خصلاتي البيضاء حتى شعرت بالحياة تسري حقاً فيّ،
 وفجأةً ظهر لي ذلك الجسد الضخم الذي اصطدمت به
 عن طريق الخطأ، كدت أتلفظ بكلمات الاعتذار لولا
 قول ذلك الكهل لي والصدمة قد سرقت من دفاء
 ملامحه الكثير: "لونا!، ألم تفشل تجربتك؟، كيف تقفين
 الآن حتى؟"، ورفع كفه الضخم بهدوءٍ ليضعه على
 رأسي بحنو، أتأكد أنني حقيقةً أم ماذا؟، أعرف هذا
 الرجل جيداً رغم أنني لا أعلم كيف، وجهت نظراتي
 المغرورة بالعبّرات إليه وبادرت به بما كان يجول في
 خاطري منذ استفتت إلى هذا العالم: "سيدي العنقاء،
 أتعلم ما أنا؟".

جلست مقابل العنقاء في حجرةٍ واسعةٍ من هذا المكان
 الكبير، كان الحساء دافئاً بعد الجري المواجه لقوة
 الرياح، شعرت أنني في منزلي لهنيهةً قبل أن أتساءل:
 "ما هو منزلي على أي حال؟".

كدت أنسى سبب وجودي هنا لولا شروع العنقاء بسرد
 الحقائق بصوتٍ خفيضٍ يشوبه الإحساس بالذنب:
 "أولاً، دعيني أعتذر عن حماقتنا التي اقترفناها بحقك،
 عندما عزمنا أنا وأخي على صنع آليّ خارقٍ بأناملنا
 الجاهلة بما تفعل، كنت مجرد معدنٍ شكلناه ولكنه لم
 يعمل بكل بساطة، رغم أننا قد جمعنا لك من حيوات
 الكثيرين في هذا المكان، عازمين أننا سنصنع معجزةً
 ما أو ما شابه، وعندما فشلت تجربتنا عُرفنا بين

الجميع بحماقتنا، وأنا سرقنا الكثير لأجل قطعة معدنية لا تستطيع الحراك ساكناً، قلبك الذي يخفق بقوة الآن، كان قلب أحد السارقين الذي أُعدم في فترة إجراء تجربتنا الغربية تلك، حينها انتشل أخي قلبه رفقة حياته بقبضته الحديدية، فمن اللص هنا؟، عينك اليمنى كانت خاصتي واليسرى لأخي، لقد حصلنا على أخرى زجاجية على أي حال، نحن آسفون لأننا لا نستطيع إبصار الضوء جيداً كالجميع، لقد عمل أخي بجدٍ على هذه الخطة، وتحمل كامل مسؤولية فشلها على عاتقه، فأصبح أضحوكةً بين الجميع حين كنت أنا مجرد شقيقٍ مطيع، كان الجميع يحترمني ولم ينسبوا الغباء لي رغم أنني من خرج بالفكرة المجنونة تلك من الأساس، كان كل ذلك الضغط عصبياً على رجلٍ يمتلك عائلةً تقدره، لذلك رحل أخي رجل القبضة الحديدية إلى مصنع المركبات دون عودة، وحمل على ظهره قطعة الحديد البيضاء ورمها على قارعة الطريق، ما من أحدٍ يود مصادفة الفشل الذريع مجدداً، ولكن كيف عمل جهازنا عنوةً هكذا؟، كنا نعلم أنك لن تكوني كسائر الماجلان لأنك مجرد تجربةٍ في نهاية المطاف، أنت لا تستطيعين النمو، لن تحملي لوناً في جلدك أو في شعرك أبداً، ولن تعمل بطاريتك للأبد، قد تسقطين في أي لحظةٍ أو في أي مكان، قلبك مجرد محركٍ لهذه الآلة، ولكنك تملكين قواك الخاصة أيضاً، أنت تحملين دماغ نيبولاً في رأسك يا فتاة، وقد تتضاعف طاقتك

متى شئت، ولكن ليس للأبد، فأنت آلي على أي حال."، شرعت العبرات تنهال بهدوءٍ على وجنتي، أهي حقيقةٌ أم أنها مجرد شيءٍ آخر متعلقٌ بأنني مجرد آلي؟، أشعر أنني أرتجف فجأةً، ستتعلل بطاريتي قريباً أم ماذا أيضاً؟، من المستحيل أن أكون من الماجلان رغم امتلاكي جزءاً حقيقياً منهم، لن أشيخ أو أموت كما يفعلون، لن أكون مثلهم!، أنا لست كذلك على أي حال.

خرج العنقاء من المجلس بهدوءٍ ليتركني وحدي قليلاً، بالطبع لن تكون كلماته عاديةً بالنسبة لروح أفاقت بعد كل تلك المدة، أحتاج لأخذ نفسٍ عميق، لأزفر رففته صدمتي الكبيرة، قطع تفكيري صوت خطواتٍ لطيفةٍ تقترب مني، شخصان، هما ذا.

"لونا أليس كذلك؟"، أومأت بالإيجاب لتلك الفتاة التي اتخذت مجلسها مقابلةً لي، طالعنتني إحداهن باهتمامٍ وفضولٍ بينما الأخرى فاكتفت بنظراتها الجانبية، وفجأةً وثبتت الأخيرة تلاحق الظل الذي ظهر خلف الباب، حاولت اختلاس النظر قليلاً قبل أن تعود الفتاة وهي تشيح بعبراتها بعيداً عن أنظارنا، كان صوتها المرتفع المحطم واضحاً من خلف الباب، بادرتها مرافقتها بالسؤال: "ماري، أنت بخير؟"، حركت ماري رأسها بفتورٍ بأنها كذلك، كادت الأخيرة ترحل عن المجلس الغريب هذا لولا استوقاف صديقتها لها وقولها بنبرةٍ حزينة: "فقط قولي أنك لست كذلك، كفي

عن الكذب ماري."، "دعيني وشأني فيان، أرجوك." كانت كلمات ماري التي استدارت وعزمت على الذهاب مخفيةً وجهها وعبراتها ذلك الفتيل لإشعال المكان، يبدو أن غضب فيان يشتد فقد صفت ماري عنوةً وشرعت تطلق زوابعها في وجهها بقوة: "ماري، تعلمين أن هناك كتفٌ لتتكئي عليه حين تحتاجين لأخذ استراحة، فقط لتضعي الحمل الثقيل في رأسك جانباً لقليلٍ من الوقت، هناك كفٌ ستططب عليك دائماً، ولكنها قد تلقنك درساً قاسياً أيضاً، لا تخبري صديقتك أنك بخير هكذا فقط، وكأنني لن أشتم رائحة كذبتك تلك، أنا هنا دائماً لأخذك بحضني لتفرغي ما تخفيه في جعبتك عن العالم."، ودنت منها سريعاً لتربت على كتف صديقتها بحنو، وكأنها لم تكن في جام غضبها منذ قليل، كانت كلمات ماري جليةً لي رغم اختفائها خلف كتف فيان، "أخبرني أبي أنه سيذهب إلى المصنع الكبير ذاك، ما ذهب أحدٌ إلى هناك وعاد، قال أنها مهمةٌ ضرورية."، لحظة، مصنع المركبات الفضائية؟، هناك حيث اختفى شقيق العنقاء، وثبت على حين غرة وشرعت بالجري إلى البعيد، سيدي العنقاء، سأرافقك في رحلتك!

وكانه سيدعني أذهب إلى ذلك المكان الغريب فحسب، بدا لي طيف العنقاء أخيراً، تتبعته خلسةً لكيلا يشعر بوجودي، أريد رؤية صاحب عيني اليسرى حقاً، أهو

طيب كحال شقيقه؟، كيف ستكون ردة فعله حين يعرف أن تجربته قد نجحت بمعجزة ما؟، أجزم أن العنقاء هنا الآن ليعلمه بذلك، أشعر بالحماس.

اختلست النظر من خلف البوابة الضخمة، أعرف هيئة رجل القبضة الحديدية جيداً، ولكنني لم أراه إلى الآن، يبدو أن اجتماع العنقاء بأصحاب المصنع على وشك الانتهاء، وفُتحت البوابة عنوةً وشرع العنقاء بالابتعاد، نجوت بأعجوبة، ولكن يبدو أنه أول من يمر من هذا الطريق خارجاً من ذلك المكان، لحظة، أحدٌ يتبع خطواته البطيئة تلك، يجري الفتى بكامل قواه، البوابة تُغلق، رجلٌ آخر يخرج من ذلك العالم الغريب، يتبع العنقاء من بعيدٍ باتجاه منطقة السكن، أشعر أنني أعرفه، كما شعرت أنني أعرف ماري أيضاً، أعرف العنقاء وشقيقه جيداً، هم من أجروا التجربة على أي حال، وماري ابنة العنقاء فربما تكون قد ظهرت لي سابقاً، لكن من يكون هذا؟، وكيف أعرف ملامحه جيداً هكذا؟، إنه يشبه رجل القبضة الحديدية كثيراً، ولكنه يبدو أكثر شباباً، ماذا الآن؟، لقد شرعوا بالابتعاد، ها أنا لاحق خطاهم مجدداً، أشعر بالسعادة تغمرني، ما سر تلك الابتسامة التي احتلت ملامحي الشاحبة؟، يبدو أن العنقاء وذلك الفتى يشعرون بما أشعر أيضاً، ماري، لقد عاد العنقاء، لا حاجة لانهيارك مجدداً، أنت قوية، وتحملين الكثير من المفاجآت في جعبتك، كحال

الجميع هنا، وماذا عن ذلك الفتى ذا الأسمال والملاحح
الملطخة بالوقود اللزج؟، ما الذي تخفيه خلف ذلك
البحر الهائج في عينيك؟.

يبدو أن أمري قد كُشف أخيراً، ها هي تلك الفتاة فيان
قد ظهرت من العدم ووجدتني، ما الذي تريده مني؟،
كدت أصرخ في وجهها ولكن كلماتها الحازمة جعلت
قلبي يرتجف، "كفي عن ملاحقة العنقاء هكذا، وكأنه لم
يكتشف ذلك، هو من أرسلني لإيقافك، ولكنني أتيت
إليك ليس لأمر ذلك العجوز فقط، لدي مصالح أيضاً،
لونا، أنتضمن لفريقي؟، أتعلمين؟، تعالي معي لأعلمك
بالتفاصيل في مكانٍ أنسب، هذه الأرض ترعيني على
أي حال، وإعادتك للديار جزءٌ من مهمتي أيضاً"،
وكانني مجرد طفلةٍ ضالةٍ هنا، ألسنت بعقل نيبولاً، من
هذه على أي حال؟، ولكن يبدو أنها أسطورةٌ ما، لا
يهم، سأتبع فيان فقط الآن، مازال العنقاء يبدو لي من
بعيد، أستطيع اتباع خطاهم بعيني من زاويتي هذه،
وكانني ساحل لغزاً ما بفعل ذلك، ولم لا أفعل؟.

ماري، فيان، روبي، ميكو، فينيكس، أمبرا، وأنا، نحن
نشكل فريقاً رائعاً حقاً، "حاصدو السُّدم" هذا مثيرٌ
للاهتمام!، لقد جذبت الجميع إلى صفك فيان، فما هي
مهمتك التالية صديقتي؟.

كنت العضو الرابع في فيلقنا الصغير الذي بدأ بفكرةٍ
مجنونةٍ من القائدة فيان، ماري لم ترها كذلك، لم تعهد

على صديقتها الجنون يوماً، لن ترمي أفكاراً حمقاء إلى العالم الخارجي ببساطة، لا أعلم إن كان فينيكس يظن أن ذلك يعد تهوراً مثلي ولكنه يستحق التجربة، إنها فكرة ميكو وروبي أيضاً، نحن هنا لنغامر، لن ننتهي إلا بأسطورة تُحكى عند قبورنا لأبنائنا، وأضف لذلك أنني لم أنجُ عبثاً أيضاً.

لا أعلم عن رأي أمبرا بالانضمام إلينا ولكننا قد أحضرناه على أي حال، لم يكن يملك فرصة للرفض، كانت تلك فكرة ماري، لم نعلم أنه بذلك الجبن ليستسلم لعصابة فتيات مصابات بالجنون، مجرد هارب!، ما الذي كنت أحسبه شجاعةً منه على أي حال؟، أكان ترك عائلة قلقية خلفك ما تجيده أمبرا؟، أم الاختفاء عن الحزاورة عنوةً هكذا؟، أنتهى دورك هناك أم ماذا؟، وهل سينتهي دورك معنا أيضاً في نهاية المطاف؟.

مهمة جديدة، يبدو ذلك خطراً، ولكنه مثير للاهتمام أيضاً، فانا، فيان، وفينيكس، سنكتشف سر هذه الأشلاء الآتية من السماء عنوةً على رؤوسنا.

بالكاد كبحت شهقاتي، أغلقت فاهي بكفي المائد بصعوبة، يبدو ذلك مروعاً، شعرت بخطوات فيان الراجفة تقترب من تلك الأشياء ببطء، لن تدع صدمتها تضيع هذا الاكتشاف، فعلى هذه المركبة المهشمة وجدنا الكثير، أهذه قطع المعدن التي تتساقط على أرضنا تباعاً؟، ولكن ما هذا السائل الأحمر الذي يغزو

المكان؟، وما تلك الأشلاء التي يخرج منها السائل؟، أجزم أنني أعلم؛ لكن عقل نيبولاً لا يريد أن يكشف خباياه لي، دنوت من إحدى هذه الأشلاء الغريبة وأنا بالكاد أكبح خوفي، "إنها تتحرك!، هذه الجثة؛ تحركت للتو!."، كانت صرختي بتلك الكلمات قوية بما يكفي لجعل عَبراتي تهرب على وجنتي فقد نال الرعب مني أخيراً، شعرت بكف فينيكس تربت على كتفي بهدوء، ها هي السكنية تولد فيّ مجدداً، شكراً للطفك أيها الأخ الأكبر الطيب، سأكون بخير، دعنا نستكمل ما قدمنا من أجله الآن.

جلست القرفصاء قرب فيان التي انشغلت بفحص الجثث بعيونٍ تائهة، ما كل هذا؟، وكان أحدنا يعلم، لحظة، "إنهم بشر!، دمائم حمراء." دوى صوتي في هذا المكان الفارغ بقوة، شكراً على التقاط الخيط أيها الدماغ المزدهم بالأسرار، يبدو أننا على صدد اكتشاف سرٍ جديد، لكنه أكثر غرابةً هذه المرة، كم هذا مشوق!.

أصرّ فينيكس على الإبقاء على هذه الجثة الحية سراً بيننا، بين أفراد فريق "حاصدي السُّدم" فقط، ولكن هذا الكنز لن يبقَ حياً بحالته الحرجة تلك، كنا نحتاج العون، لا بأس بمعرفة الطبيعة فيكتا بذلك فهي تحفظ الأسرار أيضاً، وأضف إلى ذلك مساعدتها ماري التي مازلت مقتنعةً بأنها جزءٌ من فريقنا إلى الآن، لن

يكونوا أعداءنا أو ما شابه، نحن لا نملك أعداء أصلاً،
وهم ليسوا بأشرارٍ على أي حال.

طالعت قطرات الدماء الملطّخة لأناملي طويلاً قبل أن
يصم أذني صوت صراخاتٍ تحتل المكان، لحظة، منذ
متى وأنا بين هذه الجدران؟، هل استغرقت في تفكيري
مدةً طويلةً دون أن أشعر؟، لقد جفت الدماء المغطية
للأرضية بالفعل، أزلت البقع الجافة عن جلدي الأبيض
القاسي وشرعت بالتقدم، أعرف هذه الصراخات جيداً،
إنها تصدر من الكثير منهم، يبدو أنني قد أضعت الكثير
وأنا هنا، أخشى ألا يكون سبب كل ذلك مروعاً، لا
أريد أن أحصل على المزيد من المهام!، ألا يكفي إنقاذ
أنفسنا من أولئك الوحوش لنعيش بسلام؟، ألا يكفي
حلي للغز الجثة البشرية تلك لينتهي دوري المضني
هذا؟، لمّ المزيد من التحديات أيتها الحياة القاسية؟، لقد
سئمت من كل ذلك.

رهائن، مصابون، وأبطال، الأمور تزداد تعقيداً، إن
كانت تلك السيدة المقيدة رهينةً فلم ريان مقيدٌ أيضاً؟،
وما ذلك الغضب الذي احتل ملامح ماري فجأة؟، كانت
تزمجر في وجوه غرائمها بقوةٍ بين الفينة والأخرى
لثُفرج عن الحمم التي أخفتها طويلاً، وكما توقعت،
أتت ثيان لتهدئ من روع صديقتها قليلاً، لم أعهد
ماري بذلك الجنون يوماً، كدت أدنو من الجموع لعلي
أقدم قليلاً من العون ولكن كلمات فينيكس المفاجأة

ردعتني: "لندع زمام الأمور للقائدة"، أظهر من العدم أم ماذا؟، انتصب بقربي يراقب ما يجري بصمت، أيفهم ما يحدث أم أنه كحالي؟، لا أظن ذلك، فهو يراقب ما يجري في المركبة وما حولها بين الحين والآخر بواسطة كاميرات أمبرا، قطع أفكاري صوته وهو يقول والحيرة قد سيطرت على كلماته: "حين ذهبت لأساعد المصابين هنا حلت الفوضى على المكان، توقف الجميع لوهلة قبل أن يشرع البشريون بالهجوم مجدداً في الخارج، يبدو أننا قد حصلنا على رهينة مهمة، ولكن أين الماجلان ليصدوا ذلك الهجوم؟، لم أبحث عنهم كثيراً فقد كان أمبرا يتقدم بقوة، لم يكن ذلك الحشد خصماً سهلاً، تقدمت إليه عاني أساعده فقد كاد يُقتل عدة مرات، ولكنه كان أقوى مما ظننت فلم أجد لي مكاناً في هذه المجزرة، وأصم زئير ماري أذني عنوة، شرعت أركض متخطياً كل تلك الجثث التي أنهى أمبرا أمرها بصعوبة، شعرت بالدماء البشرية الحارة قد لطخت أقدامي، أكنت بتلك الضراوة؟، طالعت أطرافي المصبوغة باللون الأحمر حتى شرعت العبرات تعيد لجلدي لونه الحقيقي، لا وقت لضعفي الآن، هناك المزيد من المعارك التي لم نخضها بعد.

اتجهت صوب الحشود لأجدك هنا، لقد راجعت ما التقطته الكاميرات قبل أن آتي، كانت حجرة القيادة

خاليةً من أي مخلوق، اختفى تيم عنوة، حسبت أنني سأراه هنا، ربما سينتقم من ريان الخائن أيضاً، لا أستطيع إبصاره مهما حاولت البحث بعيني، العثور على بشري بين حفنةٍ من الماجلان أمرٌ ليس بتلك الصعوبة، أتعرفين؟، لندعه وشأنه الآن، لن يضل أو ما شابه، أريد أن أترك زمام الأمور للقدر قليلاً وأشاهد ما يحدث من هنا، رغم أنني لا أستحق أخذ استراحة"، أحقاً؟، كدت أهتف في وجه فينيكس مستنكرةً كل ما أخبرني به لولا علوَّ أصوات الصراخ هناك، يا لضعف تلك الرهينة!، لا يبدو أن التعذيب كان بتلك القسوة حتى، إنها تهمس، تكشف عن الكثير!، شكراً أيتها السيدة البشرية على إظهار فوزنا جلياً مقابل عدم تحملك، إنها أبسط أساليب التعذيب خاصتنا، وكأنها تشبه أساليبكم الغبية؟ أكنت تستهينين بالماجلان؟ سترين!.

تبدو ملامح ريان مبهمة، أيتألم حقاً من لسعات الفضائيين؟، أتلسعه فيان بقوةٍ حتى؟، تعرف أنه لن يشي بالكثير على أي حال، تستطيع تلك كشف المزيد، إنه ليس بضعفها، ألم يكبح آهاته طويلاً؟، أسيتخلى عن صبره في موقفٍ في غاية الأهمية كهذا كما فعلت الرهينة الأخرى؟، لا أظن ذلك، وكان أحدنا يستطيع معرفة ما يجول بخاطر ريان الآن، لقد انقلبت الأمور رأساً على عقب على حين غرة، ربما كان وجود عدوِّ

بيننا فكرة واردة، ولكنه لم يكن ريان بالتأكيد، توقعت أن تكون حكاية دمار الأرض وإبادة البشرية مجرد كذبة، ولكنها ليس خاصة الفتى الطيب الأعرج بالتأكيد، ربما خُدعنا جميعاً بردائه الأبيض طويلاً، ولكن ليس إلى الأبد يا فتى، وكأنك قادرٌ على العبث بعقوانا مجدداً، لن تستطيع!، كفاك خداعاً، إلى أي طرفٍ تنتمي حقاً؟.



ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٣٢ -

ميسان...

على ماذا أركز الآن؟، رغم قلة المصابين إلا أن مساعدتهم تتعبني، كنت أضع الضمادات على أجسادهم بذهنٍ شارد قبل أن أنشغل بأمورٍ أخرى، فهذا ما يحدث حين يجتاحني التعب، تتدفق الذكريات وتبعدني عن الواقع.

يومٍ آخرٍ من العمل مع حاصدي السُّدم ينقضي بهدوء، كدت أنصرف إلى مسكني الصغير بعد انتهائي من التوضيب هنا ولكن أحداً ما قد ناداني من بعيد، شرعت أراقب الظل هناك وهو يقترب بهدوء، إنه أمبرا، "ميسان، هل لي بسؤال؟، أو بالأحرى أحتاج لمناقشة موضوعٍ ما."، التفتت حولي لأجد ريبا هناك تطالعني بفضول، يبدو أنها مستعدةً لانتظاري قليلاً حتى أفهم ما يريد أمبرا مني رغم أنها لن تستطيع سماع ما يقول لابتعادها قليلاً عن مكتبي الصغير، "حسناً، ولكن بسرعة."، وبعد إجابتي تلك أخذ أمبرا نفساً عميقاً ليقول بكامل حماسه وتردده في أن معاً: "أتعرفين، الكثير من الأسئلة قد جالت في رأسي منذ قدومكم أيها البشر إلى أرضنا، حصلت على إجاباتٍ لأغلبها بعد التعامل معكم وعرفت الكثير أيضاً عن أمورٍ لم أفكر فيها حتى، ولكن فكرةً واحدةً ما زالت تجول في رأسي دون ملل، هل نستطيع الوصول إلى مخلوقٍ بين

الطرفين؟، الماجلان والبشر، هجينٌ نوعاً ما، تعرفين، ربما سيكون أفضل حالاً من البشر والماجلان فراداً، إنه مجرد سؤال قد جال في رأسي وأردت البوح به لأحد، لست مضطرةً للتكفير بالإجابة لأجلي."، إنه ممكنٌ أليس كذلك؟، كانت ماريًا هجينةً أيضاً، لكنها لا تختلف كثيراً عن سائر البشر، ربما هي لست ماجلاناً خمسين بالمئة، لا أعرف الكثير من التفاصيل، فقط ما حكته لي فلمّة ذات مرة، ربما أنا لست مخولةً لإعطاء أمبرا إجابةً حاسمةً كالتّي ضجت في رأسي الآن ولكنني سأفعل على أي حال، "لا أعتقد أنها ستفلح، وأضف إلى ذلك أن أيّاً من أصدقائي البشر لن يمتلك الشجاعة الكافية ليتزوج بفضائي، والأهم هنا اختلاف عدد الصبغيات، فمثلاً أنا أملك 47، وأنت؟"، شعرت بالصدمة تحتل ذهن أمبرا بهدوء قبل يباغتني بقوله مستنكراً: "لحظة، أليست 46!، نفس عدد الصبغيات عند البشر والماجلان، أقسم، لقد أخبرني بهذا العم ياقوت بنفسه، لا أعتقد أنه كان يكذب، ولا أنت أيضاً، فما معنى هذا ميسان؟"، ومسح بكفه على وجهه محاولاً استيعاب الموضوع، أضحى صوت زفيره عالياً فجأة، تبدو لي هذه المناقشة أعمق بالنسبة إليه من مجرد فكرة، طالعتّه بلطفٍ وقلت بابتسامةٍ اعتدت صنعها: "أبي محق، وأنا كذلك، وإن كان رأيك مخالفاً فيمكنك دعوتي بالملاك، كانت أمي تفعل ذلك"،

أعرف تماماً أن ما قلته لم يكن كذباً، ولكنه ليس بالحقيقة الكاملة أيضاً، ينتابني الشعور بالذنب الآن، أسفة أمبراً، ليس اختلافي ما يشكل الفارق بيننا، بل هو جبني من يفعل.

"أعتذر على إضاعة وقتك ميسان، يبدو أنها كانت فكرةً غبيةً ما كان عليها أن تخرج من رأسي، ولكن هل يمكن أن تحتفظي بها؟، كسرِ بيننا."، يبدو أمبراً يائساً بعض الشيء، ما كان يجب أن أقول ذلك ولكنني فعلت، حسناً، "أعدك بذلك، إنها مقايضةً على أي حال، ابق ما قلته سراً أيضاً، لا تكلف نفسك عناء البحث عن إجابةٍ ما، لأنني فقط لا أريدك أن تعرف."، شعرت بعبرةٍ باردةٍ تسير ببطء على وجنتي المنشغلة بصنع ابتسامة رقيقة، أحاول تصنع الهدوء هنا؟، لست كذلك، ولا أنت صديقي، فقط لنهي هذا الحديث هنا، فأنا حقاً أحتاج لبعض التفكير.

واستكملت ما تبقى من يومي ذلك شاردة الذهن، من حسن حظي أنني قد ولدت في القرن الثاني والعشرين، فقد خضعت للعلاج مذ كنت رضية، ونجح ذلك معي، فالصبغي الذي أحمله في جسدي وكأنه غير موجود، لم أظ بأي اختلافٍ عن الجميع، حتى ملامحي لا تشي بمرضي الذي أبقيته سراً عن العالم، سوى أمبراً ذاك، لا أشعر بالندم لإخباره بذلك، فأنا بحاجةٍ للروح بالقليل من الحين إلى الآخر، سيكون مؤلماً إخفاء ذلك إلى

الأبد، كفكرة أمبرا تماماً، رغم أن فضفضته تلك ما كانت إلا زرعاً لموضوعٍ آخر يطن في رأسي دون هوادة، وكأنني لم انه أمره أثناء نقاشنا الغريب منذ قليل، هل سأترجع في كلامي ذاك يوماً وأفرج عن كامل الحقيقة لذلك الفضائي؟، أم أنني سأبقى بذلك الجبن إلى الأبد تاركةً كلانا على الحافة؟، بين ما يجول في رؤوسنا والواقع.

لم استرجعت ذلك الآن؟، ألا أملك أموراً أخطر لأهتم بشأنها أولاً؟، فما هي جثة صديقتي المصابة في الداخل تكسوها حمى فظيعة، وصديقي الآخر مقيدٌ أمامي يتلقى عقابه من رفاقه الفضائيين، يبدو أنني سأساعد في استجواب هذه، أوليفيا، الشريرة الكامنة، وماذا عن بقية أصدقائي الذين لا أعرف مواقعهم حتى؟، يبدو أنني أفقد الجميع وليس أمبرا فقط ولكن تلك الذكرى طال تأثيرها فيّ عن البقية، حسناً، عندما ننتهي من كل هذا إن شاء الله سأجمع شتات شجاعتي لأضع حداً ما لذلك، سيكون الإسرار بكامل الحقيقة أفضل لكلينا من البقاء على هذه الحال، أليس كذلك أمبرا؟.

-33-

تيم...

أطالع الكاميرات حولي بفتور، أتركني أمبرا هنا لأراقب فقط؟، الجميع منغمسون في القتال حتى النخاع بينما أنا أجلس هنا دون أن أصنع شيء، لحظة، ألم يلحظ أحدهم ذلك؟، لا!، لن أدع لأعدائنا بطاقةً رابحةً في هذه اللعبة!.

وثبت من مقعدي على حين غرة، لم يشعر أحدٌ بذلك لحسن الحظ، ربما دوري كان أن أبقى هنا فقط؛ ولكنني لن أسمح لويليام بالفوز، وإن كان صديقي سابقاً؟، أليس عدوي الآن؟، أليست فلمة جزءاً من فريقتي أيضاً، لأفعلها، آسفٌ صديقي، يجب أن تنتهي تلك المهزلة، سأحسبك قد اختفيت كحال سائر أحبائي فقط، قد أطمح أناملي بدمائك ولكن حياة شعب الماجلان أهم من صداقتنا السابقة تلك، أنتم من أردتم ذلك على أي حال؛ إراقة النهر الأحمر مجدداً.

صرخات فلمة قد أصمتني، إنها تُخفي وقع تحركاتي السرية، هذا جيد، أمل ألا يشعر ويليام بوجودي، إننا نبتعد رويداً، إلى أين؟، ما ذلك المبنى الكبير اللائح في الأفق؟، أرجو ألا أضل الطريق، أنا أحمق، أستطيع

مساعدة فضائية تجر الآن إلى مقر الأعداء وحدي؟، أرجو أن أعود حياً فقط.

يبدو أن مقر المنظمة ليس بذلك السوء، شرعت أراقب ما يحدث في الداخل من خلال فتحات التهوية في الجهة الأخرى للمبنى، أسمع الأصوات بوضوح، "اهرب!"، ما ذلك؟، كانت كلمات فلمة تشتعل خوفاً، وكأنها شعرت بوجودي، حاولت استراق النظر لأجد الباب يُفتح بقوة، خطوات ثقيلة تقترب، من هذا؟، علت القهقهات في المكان، أعرف ذلك الصوت، كان يُدعى داني، أجل، صديق ريان، فتى الدمية!، لحظة، شعرت بالهالة الثقيلة تدنو، "وكأنني لم أشعر بحضورك، تدعى تيم؟، أرجو أن تكون خصماً ممتعاً"، أصمّت كلمات داني الخبيثة أذناي، لقد كُشف أمري، كانت ملامحه واضحة حين ألصق وجهه بفتحة التهوية الصغيرة، وحرك أنامله ليزيل هذه القضبان التي فصلت بيننا، حانت الحرب، حربي، أو هكذا ظننتها.

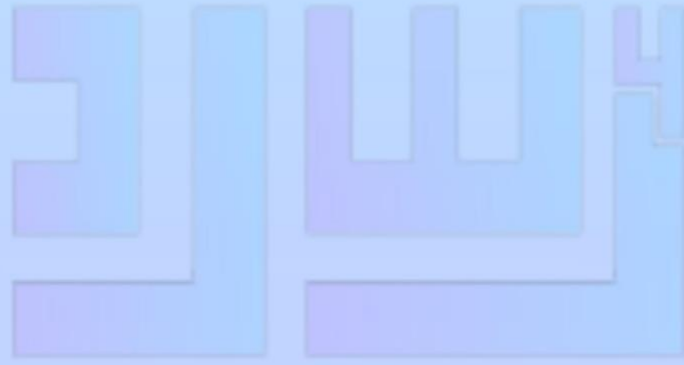
إن لصوت إطلاق النار هنا وقع آخر، تلك الرصاصة تمزق الرياح بسرعتها الهائلة، كدت ألتفت لأرى من تدخل فجأة لولا انتصاب تلك البندقية مسندةً على رأسي، لم تنو إصابتي أنا أيها الدخيل، وثُبتت مقدمة السلاح الكبير ذاك على جبهة داني، يُضغظ الزناد بهدوء، وعبرات داني الصامته تحتل ملامحه الشاحبة، لم كل ذلك؟، إنها حربٌ في نهاية المطاف، ألم تتوقع

أن تمت بطريقةٍ مشابهة؟، "داني، أليس من المؤسف أن نُقتل بسلاح صديقك، ولكن قاتلك سيُشعرك بمزيدٍ من الألم، أنا آسفة، لست كذلك!، أنت عدوي فحسب، لا أريد أن تسامحني على ذلك، فأنا أفعل الصواب فقط."، دخيلٌ على هذه المعركة الصغيرة؟، يبدو أنه أنا، ذلك القاتل لم يكن سوى ماريًا، إنها تريد إيقاف شقيقها الصغير لا أكثر.

أشعر بالبنان المائد يكاد يطلق العنان لقوته، وتلك الدموع الحارة تتساقط على رأسي بهدوء، وكأنني سادع ماريًا لجنونها ذاك، لن أجعلها تتدم على لحظةٍ حاسمةٍ كهذه، لا!.

رفعت كفاي لأسقط البندقية من تلك الأيدي الراجفة عنوة، آسفٌ لأنني ردعتك من قتل عدوٍ لنا الآن ولكن الأمر ليس بتلك البساطة، إن كان داني سينتهي على أيدينا فلن يكون لماريَا دورٌ في ذلك، أظن أنني قد حطمت ذراعها بحركتي تلك؛ سأهتم بذلك لاحقاً، ولكن إلى أين اتجهت تلك الرصاصة التي هربت من البندقية؟، تناهى إلى مسامعي صوت تحطيم زجاجٍ منذ قليل، كفٌ ضخمة تحيط بعنقي فجأة؟، أشعر بالهالة الشريرة من خلفي تحتل الأجواء، أرفع عن الأرض رويداً، لا أستطيع المقاومة، واحتلت كلمات ماريَا المختنقة تشتتي وهي تقول مصارعةً أنفاسها الثقيلة: "تباً لك ولتعاطفك أيها الأحمق، كدنا نفوز منذ قليل،

ولكن بحركتك المباغثة تلك جذبت انتباه ويليام، ها هو
وذلك المدعو بأخي سينهون أمرنا الآن، لا أستطيع
الحراك، فقد كانت هجومك كافياً لإسقاطي"، أليست
رصاصتك من حاولت السيطرة على الأجواء؟، التفتت
إلى ماريا المقيدة بأغلال داني من كل حذبٍ وصوب،
كانت العبرات تهرب منها بشدةٍ كما لم تفعل من قبل،
حتى أنا لا أستطيع الحراك، ولا أشعر بشيءٍ أيضاً.



ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٣٤ -

آدم...

أشعر بالنور حولي يزداد، ما ذلك الفراغ الذي أحاط بي؟، التفتّ باحثاً عن إجابة، لحظة، المكان يزدحم في الأفق رويداً، ما كل تلك الحشود هناك؟، اتخذت خطاي إليهم ولكن يداً ما جذبتني من سترتي عنوة، كدت أستدير إلى الخلف لأكتشف هوية من ردعني لولا أن الظلام قد أحاط بالمكان فجأة، إنها تلك اليد مجدداً تدفعني إلى الضباب الأسود المحيط بي، لوحت لي وهي تختفي عن ناظري ببطء، الضباب يحيط بك أيضاً، ريباً، ما كل ذلك؟، وكأنك ستجيبيني.

وكانني ألتقط أنفاسي لأول مرة، انطلق صوت سعالٍ قويٍّ من جوفي أصم أذناي اللتان لم تسمعا شيئاً من فترة، أفرجت عن عيناى بصعوبة، لا عين يسرى، يمكنني الشعور بذلك، لا ساق يمنى، كفاي تكاد تخلو من الأصابع، والدماء تغطي جلدي المشوه بشكلٍ شبه كامل، ما ذلك الرداء الغريب الذي يدثر جسدي المحطم؟، ألم أكن أرتدي بذلتي الزرقاء؟، لحظة، ما هذه الجدران الخالية التي تحيط بي؟، لقد اعتدت على المركبة المزدحمة بالأسلاك والمعدات، أين أنا؟، ومتى سُبحت هنا؟، أين أصدقائي؟، قطع تساؤلاتي صوت

تحركاتٍ قريبة، كدت أصرخ لنجدتي، لم أستطع، كان جفاف حلقي الشديد رادعاً لفعل ذلك، طالعت بنصري الأيسر مطولاً واتخذت قراراً، قد ينجح ذلك، لم ينجُ هذا الإصبع عبثاً، طرقت بالخاتم الذي وُضع في إصبعي على المعدن الذي استلقيت عليه، كان لخاتم زواجي فائدةٌ في نهاية المطاف، احتلت الابتسامة الفارغة ملامحي فجأة، "أنقذني" شرعت أكررها مراراً دون مللٍ بشيفرة مورس، عسى أن يشعر أحدهم بندائي.

يبدو أن الفوضى تحتل المكان في الجهة الأخرى من هذه الجدران، أصوات مدافع وقنابل تُخفي ندائي الصامت، لقد ظهر بعض الضوء من زاويةٍ ما من هذه الحجرة، تحطم جزءٌ من الجدار، ما ذلك المكان الغريب الذي يبدو لي من موقعي هذا؟، وكأنها معركةٌ هناك، ولكن ما تلك الوحوش الزرقاء التي تستمر بإسقاط البشر بقوةٍ جبارة؟، قطعت تساؤلاتي بصوت خطواتٍ صغيرةٍ تقترب، عدت لتحريك أنملي مجدداً، الطيف يدنو، يبدو أنه يفقه ما أنوي إيصاله، لحظة، إنه يبتعد، لا تهرب، أنا لست وحشاً أو ما شابه، فقط بشريٌّ يحتاج المساعدة.

جلت بعيني عن أي شيء، أريد أن أخرج بفكرةٍ أفضل من الاستنجاد، لحظة، لمَ لا أهرب أنا أيضاً؟، وشرعت بجرّ جسدي الهزيل إلى مصدر الضوء، إلى تلك الفتحة

في الجدار، لا أعلم ما الذي سأواجهه هناك ولكنني
سأجرب، لن أصمد بحالتي المزرية تلك على أي حال،
فقط لأموت بطريقة أكثر إثارة.



ASRUD

للنشر الإلكتروني

-٣٥-

ريان...

من أنا الآن؟، أي هوية تسيطر عليّ؟ السفاح المجنون؟
 لن يطول ذلك، ليس للأبد، فقط دعي النصر لي أيتها
 السفاح الحقيقي، اتركي زمام الأمور لي، أستطيع
 فعلها، فأنا لم أعد صغيراً على أي حال.

رسمت خطتي في رأسي حين أوشكت الحرب على
 البدء، ربما أنا لا أملك سلاحاً لأفوز بواسطته، ولكن
 لدي واحد لإسقاط العدو، سأدمر المكان من الداخل،
 يمكنني تفجير القنابل التي زُرعت في قلب المنظمة
 الآن، سيكلفني ذلك الكثير ولكن لا بأس، سيحظى
 الماجلان بنجاتهم في نهاية المطاف، سأوقف إراقة
 الدماء قبل أن تسرق مخالب الماجلان أرواح الجميع
 هنا، يمكنهم إنهاء أمر البشر بكل بساطة، قد يتخلصون
 منا نحن تالياً، آسفٌ فريقي، يمكنكم مناداتي بغريمكم
 الآن.

أحتاج لسلاحٍ لأعيش لتنفيذ خطتي، أحدهم يهرب!، يا
 لجبنك يا فتى، أدنو منه شاحداً قوتي حتى أنهى أمره،
 لحظة، إنه ألكس!، سأفعل ذلك، وإن كنت زميلي سابقاً؛
 أنت عدوي الآن.

طالعت جثة ألكس بشفقة قبل أن أبتعد متصنعاً القوة،
 لا!، لن أدع حفنة من المشاعر الحمقاء تعيق مهمتي،
 لن أضعف!، الأنامل الراجفة لا تضغط الزناد على أي
 حال، والكف المائدة لا تقو على رفع راية النصر،
 وضعت تلك الأفكار نصب عيني واتجهت صوب
 مهمتي التالية.

قلّبت تلك اللؤلؤة الصغيرة في كفي وأخفيتها في الفجوة
 بين أنمليّ أخيراً، تلك هي خطتي الأساسية، لم ألتقط
 الكاميرا من قلادة ريا عبتاً، يبدو أن شيئاً ما بذلك
 اللمعان سيسبب انفجاراً ضخماً، سيسقط عرشك في
 نهاية الأمر، وستُكشف جرائمك، أليس ذلك سيئاً؟، أن
 أنهى كل ذلك أنا، ولكن فقط دعيني أجرب شعور
 إسقاط المزيد من الأرواح، أذلك ممتع كما تدّعين؟.

رفعت كفي إلى السماء، لا أستطيع تمييز موقع سلاح
 السري الآن، ولكن داني أترى ما تبثه الكاميرا
 الصغيرة لك؟، احتفظ لي بالملفات هذه أرجوك، سأعيد
 الأمور إلى نصابها. للنشر الإلكتروني

هناك، ليست بذلك البعد، آسف، ستكون تلك ضحيتي
 التالية!.

أحاول أن أخفي حضوري بصعوبة، لا أريد أن يشعر
 بي أحد، أدنو منهما بهدوء، آخذ نفساً عمقاً، لفظت كل
 عواظي في زفيري ذاك، ها نحن ذا.

ذلك المشروط، إنه يعيد إليّ الذكريات، يبدو أنني لا أحتاج لبندقيتك الآن صديقي، آسفٌ لسرقة حياتك وسلاحك دون سبب، سوفي مشرطي الصغير بالعرض، ألم أحمله لأفعل ذلك من الأساس؟.

لن تستطيعي هزيمة أوليفيا بسلاحٍ بسيطٍ كهذا ريا، لذا دعيني أهتم بذلك، آسفٌ على صبغ المكان باستسلامك، أنا أنقذك وحسب.

أشعر بذلك، الخدعة تنجح، وكأنني سأنفذ أوامرك الآن، أمي!.

تتدفق الذكريات في رأسي بقوة، إنه عبق الشر يحتل أنفي، لقد استنشقت هذه الرائحة الغريبة من قبل، حين وصلتني تلك الرسائل، مظروفٌ ورقيٌّ كبيرٌ قد دُسّ في حقيبتي، كنت أفتش بين حاجياتي حين صادفت تلك المفاجأة، أكاد أصل إلى الفضاء ومازلت أتلقى المزيد من المهمات، كان المظروف مزدحمًا بالأوراق الفارغة، هناك واحدةٌ حُطّت فيها رسالةٌ ما، "ريان، مهمةٌ جديدة، ربما هي الأخيرة لك، فقط أنه أمر ريا، هناك مشرطٌ بين هذه الأوراق الفارغة، سيساعدك ذلك، لا يهم كيف ولكن فقط لا تكشف أمرك، ستفعلها رغماً عن أنفك!، إنها مهمتك أنت فقط، اعتبر ذلك تهديداً لك، لا يمكنك خسارة شيءٍ آخر، سوى حياتك."، لحظة، لا أستطيع الفهم، ما كل ذلك؟، كدت أخرج ذلك الشيء المخفي في قاع المظروف لولا

مصادفتي لورقةٍ أخرى ملطخةٍ بالحبر الأسود، هنا نُقشت حروف صدمتي الحقيقية، "بني، أبق هذا الأمر سراً، تلك ليست مهمةً رسميةً من المنظمة، هي لا تصالك بهذا الشكل أصلاً، أنه أمرٌ مني، يمكنني أن ألحق بك أذىً أكبر من الذي تخيله من المنظمة إن لم تفعلها، لن تستطيع المنظمة كشف جريمتك من موقعك البعيد، ولكن ربا ستشكل عائقاً حين تنتهي مهمتكم تلك، يمكنك تحمل تلك المسؤولية، كن شجاعاً واترك جنبك بعيداً عن قبضتك، تستطيع إصابة الهدف، ارم حفنة المشاعر بعيداً ولن تجد صعوبةً في فعل ذلك، وكأنك تمزق دميةً صغيرةً فقط، أثق بك، بني، والدتك أوليفيا."، وكان تمزيق الدمى أمرٌ لم يكلفني الكثير من الإحساس بالذنب سابقاً، تناولت المشروط الصغير وطالعه طويلاً، لا يبدو جديداً، هناك أثر دماءٍ على حواف شفراته، روح من أزهقت بهذا الشيء؟، قطع تساؤلاتي هتاف ريالي للاجتماع، سادخل حجرة التجميد بعد قليل، أنهى الأمر قبل ذلك؟.

أغلقت حقيبتني بسرعةٍ ودسست مشرطي بين أناملني وشرعت بالتقدم، لهذه المركبة وقعٌ غريبٌ بالفعل، يبدو أنني آخر من سيدلف حجرته، أتلك فرصتي؟، أستطيع فعل ذلك حين يدخل الجميع في سباتهم، لا أريد، ولكنني سأفعل.

كدت أمرر مشرطي على عنق الضحية، لقد أزلت غطاء حجرة ريا منذ قليل، ستُفِيق في أي لحظة، يجب أن أردعها، أضغط على المشرط بهدوءٍ بكفي المائدة، أوشكت على خدش جلدها ولكنها تستفيق ببطء، إما أن أحرر قوتي وأريق الدماء في المكان وإما أن أختفي فقط، قرر بسرعةٍ بدل أن تبكي هكذا، أنا لست بتلك القوة، أغلقت حجرة التجميد بأناملٍ لا تكف عن الارتعاش، ربما سأفعل ذلك لاحقاً، حين أشحذ شجاعتي حقاً، بالتأكيد سأحظى بفرصة لتنفيذ هذه المهمة، ولكنها لم تكن هذه.

رمى ذلك المشرط في حقيبتني وأغلقت هذا الركن فيها، لا أنوي العودة إلى تلك الرسائل، لا أنوي المحاولة مجدداً، لقد اختفت أوليفيا على أي حال، لم تعد تهديداتها هاجسي بعد الآن، سأنسى ذلك، لم أستطع قط، هل الاغتيال مهمةٌ بتلك الصعوبة حقاً؟، وكأنني لا أعلم.

كانت دماء ضحيتي تغطي كمّ سترتي بلونها الأحمر المخيف، أسفٌ على كل ذلك الألم الذي سببته لك ريا، إنها خطتي فقط، لا يسعني سوى الاعتذار عن أفعالي المجنونة تلك، ولكنني أعني ذلك حقاً، وإن لم تشعرُوا بذلك.

جنود الماجلان يحيطون بنا من كل حذبٍ وصوب، لا أنوي المقاومة، وإن فعلت فلن أستطيع الفرار من

مخالبتهم، أشعر بخشونة كفو فهم المقيدة لمعصمي،
 فينيكس يعتصر عروقي بشدة، تكاد تفجرها صديقي،
 أنت لا تعدني كذلك الآن، أشعر بأنفاسكم الغاضبة
 تحتل الأجواء، أنا لا أريد عطفكم، يمكنكم إيذائي دون
 ندم، فأنا جزء من المنظمة على أي حال، مهما كانت
 نواياي، أنا شريك في نهاية المطاف.

الكثيرون هنا، الأغلال تربطني بالعمود الحديدي البارد
 بقوة، أتريدون الانتقام؟، أفهمكم، وأنا أريد فعل ذلك
 أيضاً، سأنتقم للجميع صدقوني، أو لا تستمعوا لي
 حتى، ستفشل الخطة إن عرفتم حقيقتي، سأنتقم لتلك
 الأيام السيئة التي عشناها بسبب المنظمة، سأنتقم
 لتحطيم مركبتنا التي وضعنا فيها جهدنا وأملنا بالنجاة،
 سأنتقم للأرواح التي أزهقت دون اقتراف أي ذنب،
 سأسقط رؤوساً قد فاضت بالشر إلى العالم، ألا يستحق
 ذلك التضحية؟.

"مقرنا على بعد عدة كيلومترات جنوب هذا المكان"،
 كانت كلمات أوليفيا تشكل لغزاً آخر للماجلان، إنها
 ليست مقاييسهم، ولكنها اعترفت بأمر ما على أي حال،
 كان استجوابها أسهل مما توقعت، كانت ميسان تقف
 في المنتصف تترجم لأوليفيا أسئلة الماجلان، لم لم
 يعطوها سماعة كالتالي نرتديها نحن فحسب؟، ألا
 تريدون كشف قدراتكم للعدو؟، أظن أنهم قد حصلوا
 على غنائم أيضاً، هناك نقص في فريقكم، لقد اختفت

بندقية الكس التي وُضعت على قرب من الجموع
 عنوة، كنت اطالعها بين الفينة والأخرى ولم أجدها
 الآن، أحدهم شعر باختفاء تيم وقلمة أيضاً، أحدهما فهم
 كيلو متر وجنوب واتجه صوب الموقع، العم ياقوت
 هنا، وميسان أيضاً، وريا تتلقى علاجها في الداخل،
 ماريانا أنت تذهبين إلى حتفك المؤلم فقط، ستثور
 البراكين هناك، الكثير من الأمطار ستهطل لتخمد
 نيران الحزن، هل تملك هذه السماء سحباً أصلاً؟، لا
 أعلم ولكن العبرات ستفي بالغرض.

لقد حان دوري، دنت مني فيان تطالعني بسخط، اعتلت
 تلك الابتسامة الخبيثة ملامحي المتعبة، لم يكن ذلك
 سهلاً أبداً، ولكنني لن أتوقف هنا، أنا مستعدٌ للمزيد من
 اللكمات والسعات منكم أصدقائي، ها هم يصبون جام
 غضبهم علي، كان ذلك التعذيب مؤلماً حتى دون أدنى
 خبرة من الماجلان، أجزم أنها تعليمات ماريانا، إنها
 أشدنا شجاعةً وقسوةً، ألم تهرب وتغتال وتقاتل سابقاً؟،
 ألم تحمل سكيناً وبندقيةً أيضاً؟، اعتادت رؤية الدموع
 تهرب من أعين الجميع، وكأنها تحيط قلبها بدرع
 فولاذي، على أي حال، أرجو أن تنهي ما انسحبت
 لفعله حقاً.

"والآن، ما حقيقتك؟، ما هي خطتك؟"، كانت تلك
 الكلمات مرافقةً لبقية الدماء إثر الضربة الأخيرة التي
 تلقيتها، لم أعهد فيان بتلك القوة والشدة يوماً، ولكن إن

كنت تريدين ذلك فسأجيب، سؤالك هذا هو طرف الخيط، أسمعني داني؟، ها نحن ذا.

"إنها ليست خطتي، أنا لم أكن في صفكم من الأساس، لا يمكنكم عدي خائناً، أنتم سهلوا الخداع، على أي حال، كانت تلك فكرة أوليفيا، هي من وضعتني ضمن ذلك الفريق مرسلّة إياي في تلك المهمة المستحيلة، انضمت لذلك الفريق الصغير لهدف واحد، إزهاق المزيد من الأرواح.

التخلص من تلك الفتاة رياء، وكل من يعترض طريقي، تلك ليست أوامراً من المنظمة أو ما شابه، إنها مجرد خدمة أسديها لأمي، هي من خرجت بتلك الفكرة أصلاً، أنا مجرد بيدق يلعب وحيداً في زاوية الرقعة، بطاقة المنظمة الراحبة، وكأنهم سيعتبرونني جزءاً منهم بعد عزمي على تنفيذ خطة جنونية كتلك"، أنتم لا تحتاجون لمعرفة كل ذلك، تلك الكلمات ليست لكم، أعلم أن المنظمة لا يهملها أن تصغي لي الآن ولكنها ستفعل يوماً، أنا لا أريد تدمير عدوي الحقيقي من الداخل فحسب، أنا أريد الانتقام.

تضمحل الجموع رويداً، أتستأنفون حربكم أم تنظفون موقعكم من البقايا البشرية؟، لستم بحاجة لتلويث مخالبتكم بالمزيد أيها الماجلان، كانت المجزرة كبيرة بما يكفي، دعوا الضربة القاضية لي، لا يهم كيف ينتهي ذلك على أي حال، ليصمت حفل الجثث فقط،

وإن كانت بيننا حربٌ باردة، لا مزيد من الأنهار
الحمراء المزينة لتربة هذه الأرض الخشنة.

أجول بعيني المتورمتان في الأرجاء، هناك أوليفيا
تحاول فكّ وثاقها دون جدوى، تبدو أفضل حالاً مني،
فهي لم تتلقَ الكثير من الضربات على أي حال، إنها
على بعدٍ كافٍ لكيلا تسمع همساتي، أظلت هذه القاعة
حقاً؟، أنا والرهيبة الثانية بين هذه الجدران المتباعدة
فقط، لا، أحدهم قادم، خطواتٌ هادئةٌ على المعدن
الصلب تقترب، وقعها يملأ المكان الفارغ بصداه،
"ريان، إنه ليس أنت الحقيقي، ما الذي يجول في
خاطرك الآن؟، كن صادقاً، تعلم أنك لا تجيد الكذب،
وأنا أيضاً لا أجد الاقتناع بما تفعله الآن."، كانت
همسات ميسان تظهر من خلف ذلك العمود الملاصق
لي، لن أستطيع الكذب، كلانا يعلم ذلك، ولكنني أملك
طريقةً أخرى للإجابة، ها أنا أحاول تحريك يدي
المقيدة بصعوبة، إنها تفقه ما أحاول إيصاله بكفين
مقيدين من الخلف، هي من علمتنا لغتها الصامتة على
أي حال، لم أستخدم تلك الإيماءات سابقاً، إنها ليست
بتلك الصعوبة، التفت إليها لأرى التعابير الغريبة التي
احتلت ملامحها بعد كلماتي تلك، رأيت تلك اللؤلؤة
ميسان؟، إنها تلك الكاميرا التي عقدت الأمور من
الأساس، طالما كانت بطاقةً رابحةً لأحدهم، إنها
بحوزتي الآن، أستطيع الفوز، أليس كذلك؟.

"ميسان، ما الذي حصل لتلك اللآلئ المتناثرة خارجاً؟"، لقد أخرجت بضع الكلمات من حنجرتي أخيراً، كان صمتي ذاك لعدم كشف حقيقتي لأوليفيا، لكيلا تتناهى إلى مسامعها أدلةً تكفي لقلب الطاولة علي، يكفي أنها لم تسمع تلك الأسئلة الموجهة لي، قطع تفكيري انتصاب ميسان أمامي وقد رسمت تلك الابتسامة الطيبة على ملامحها، "سأجمعهم من أجل ريا، ستسعد لذلك"، كانت تلك كلماتها قبل أن تختفي عن ناظري، ولكنها أيضاً أشارت بذلك: "يمكنك الاحتفاظ بالأخيرة"، بالطبع سأحتفظ بها!، ولكن لحظة، "ميسان، أبقِ ذلك سراً، أرجوك"، دوت صرختي في المكان بقوة، كانت أوليفيا تطالعني بغرابة، لا أهتم لذلك، لقد كسبت ثقة أحدهم في نهاية المطاف، إنها تحفظ السر حتى وإن لم أطلب ذلك، ربما داني قد فهم ما أريد إيصاله أيضاً ولكنني لا أستطيع عده حليفاً لي، لقد فرغت هذه القاعة مجدداً، الجميع هناك في الخارج يحاولون تسوية الأمور، يبدو أن أحدهم لم يشعر بذلك، فلمّة، تيم، وماريا، أنتم بخير؟، وتلك الجثة من حجرة العلاج، لقد نسيت أمرها تماماً، لا، أريد أن أحرر، الآن، هناك المزيد من الألباز التي تركتها خلفي تحتاج للحل، سأعود إليها أقسم، حين أنهي ما بدأت به أولاً.

-٣٦-

فينيكس...

هنا، وسط ساحة المعركة؛ احتل الهدوء المكان لوهلة،
 أوشكت حربنا الدموية على الانتهاء أخيراً، لم يبقَ
 الكثير من الدماء لسفكها أصلاً، أتستطيعون الشعور
 بذلك؟، هالة الجِمام الثقيلة تحيط بنا، رائحة الدم
 البشري غزت أنفاسي، ألا يكفي ذلك القدر؟، لتسحبوا
 فحسب، لقد هيمنا على المكان بالفعل، أخفي مخالبك
 أمبرا مجدداً، لقد انتهى دورك أيها الوحش، نحن نحتاج
 لبعض العقلانية الآن.

أطالع ريان والحد قد أغشى بصري، أكنت أشفق
 عليك أيها الخائن؟، أعتصر يدي بشدة محاولاً كبح
 جنوني، أريد الانتقام من ذلك القناع الذي أخفى حقيقة
 هذا الصعلوك طويلاً، لا، تلك ليست مهمتي، ولكنك قد
 استعطفتنا حتى لم نشك بأمرك للحظة، يا لبراعتك يا
 فتى، ولكن من أنت الحقيقي؟ أي الوجوه تلك ليست
 بقناع أيضاً؟.

تسحب الحشود من موقع الاستجواب ذاك ليعود كلُّ
 منا إلى عمله، علينا أن نعيد الأمور إلى نصابها في
 مسكننا الصغير أيضاً، "فينيكس، هناك أمرٌ طارئ،

أحتاج لحضورك."، التفتت اتجاه الصوت لأجد ماري تنتظر إجابةً ما، علامات الغضب جليةً على ملامحها، ماذا الآن؟، مشكلةٌ أخرى؟، تياً.

"تلك الجثة البشرية، لقد اختفت."، ماذا؟، كانت كلمات ماري كالصاعقة على رأسي، ليس لدينا وقتٌ لذلك، مسحت قطرات العرق المزدحمة على جبهتي بتململٍ وأنا أفكر بحلٍ ما، لا أحد يعلم بوجود هذا البشري أصلاً سوى أنا وفريقي، الطبيبة فيكتا ومساعدتها ماري وريان، أحتاج العون، لم أصبحت عدونا فجأةً ريان؟، أحتاجك، أعلم أنك تحمل طرف الخيط، لا أريد أن يكتشف أحدٌ آخر ذلك، إنه سرنا نحن فقط، مصيبتنا نحن فقط، إن كنت سأطلب مساعدة أحدهم فليكن يعرف بوجود ذلك البشري برفقتنا منذ البداية، أعرف أن أحدهم لن يستطيع التخلي عن مهامه، ومن المستحيل أن أضع ثقتي في ذلك الأعرج مجدداً، أسندت جسدي المتعب إلى الجدار جالساً القرفصاء أعتصر رأسي بين يدي عساي أجد حلاً ما، "أستطيع المساعدة، هناك من يتولى دوري الآن، فقط لنجد خطةً ما، فأنا جزءٌ من ذلك أيضاً"، رفعت رأسي لأجد ماري تمد لي يدها لأنتصب في وقفتي مجدداً، "نحتاج لأن تكون قوياً، فقد يشكل لنا ذلك المشوه خطراً جديداً، لنردعه قبل أن يفعل."، كانت كلمات ماري هادئةً بما يكفي لتخفي ذلك الخوف الذي احتلها من الداخل، إنه

خطرٌ حقيقي، ولكنه نصف ميتٍ أيضاً، نستطيع الإمساك به، اعتدلت في وقفتي قبل أن أذهب لتقّفي الأثر، تلك هي الفكرة الوحيدة التي لمعت في رأسي، حاولت إخفاء قلقي بابتسامةٍ لم أستطع رسمها جيداً، كانت كلماتي ترتجف بخفوتٍ وأنا أقول متصنعاً الثقة: "حسناً، سأتولى أنا ذلك، تستطيعين العودة للمصابين الآن، هم يحتاجون العون أيضاً، فقط اتركي زمام الأمور لي."، يبدو أنني لم أنجح في خدعتي تلك، لا بأس، لدي أمورٌ خطيرةٌ لأهتم بشأنها، أليس كذلك أيتها الجثة المختبئة؟!

ها نحن ذا، أحاول إبصار مسار الدماء الجافة التي ملأت المكان، جلست القرفصاء وأنا أتبع الخط الأحمر بعيني، ما الذي يخفيه هذا الإنسان لنا، أعلم أنه ليس مجرد جمادٍ في هذه اللعبة، ولكن ما دورك؟، أظن أن ريان قد كشف هويته، ولكنني لا أستطيع سؤاله الآن، تباً للبشر، أنتم لا تزيدون الأمور سوى تعقيداً، ولكننا لم نكن لنصل إلى هنا دون وجودكم، هل إيجاد جثةٍ متحركةٍ مهمةٌ بتلك الصعوبة؟، أشعر بالوهن يسيطر على أفكاري، كدت أسند جذعي إلى الأرضية المعدنية ولكن صرخةً قويةً ما قد دوت في الأرجاء عنوة، حلّ الفرع في الأجواء، وثبت على جناح السرعة ناسياً كمّ التعب فيّ إلى صدره، ما هذا؟، لقد كُشف أمرنا، سحقا، ولكننا وجدناه أيضاً، لقد شعر الجميع بذلك، لا

يهم، ولكن يبدو أن بيدقنا الضائع لم يكن ملكنا من الأساس، ماذا الآن؟، المزيد من القنابل تنفجر في فريقنا، إنه يتهالك، لم وصلت الأمور إلى هنا من الأساس؟، ألم نأتي إلى هذه الأرض بحثاً عن النجاة فقط؟.



ASRU

للنشر الإلكتروني

-٣٧-

فلمة...

أزفر النيران فيّ، أشعر بعروقي تكاد تنفجر، أكبح أنيابي ومخالبني صعوبة أشدّ المزيد من القوة، قليلاً فقط، أحتاج للمزيد لأهجم، اضغط على قبضتي بشدة، استجمع كامل قواي فيها، سأقاتل كما لم أفعل من قبل، لن أدعكم تؤذون أصدقائي، لا تستطيعون كبح جنوني الآن، سأجعل من قلوبكم رماداً يطير فوق سحابة نيرانني، وسيكون إسقاط الملك بطولتي، أتشعر بغضبي ويليام؟ ستألم.

فقد تيم وعيه منذ قليل، وماريا تلتقط أنفاسها بالكاد، هي لا تريد الاستسلام لضعفها، لم تلفظ صرخة تألم واحدة حتى، فقط تلك العبرات الصامتة التي احتلت ملامحها الشاحبة، كم هو سيء أن تنتهي بشريّة كماريا بتلك الحال المزريّة، ألم تكن لتنتصر منذ قليل لولا حركة تيم الغبية تلك؟ إنها تحاول تحريك ذراعها ولكن دون جدوى، يبدو أنها قد كسرت، ولكنها تحبس ذلك الألم الفظيع داخلها بصعوبة، كانت تلفظ الحياة من جسدها بأنفاسها المتقطعة تلك، أسمع صداها من موقعي هذا، أعتقد أن ذلك القدر يكفي بالفعل، حان دوري لأكون مفيدةً هنا، رفعت جذعي وأفرجت عن أنيابي المتعطشة

للدماء أخيراً، أشعر بالقوة تكاد تدمر جسدي، أستطيع السيطرة عليها، أطالع أعدائي بأعينٍ ملتهبة، أمستعدون للقاء حتفكم؟ لا تهمني إجابتم على أي حال.

خرجت من تلك الحجرة التي سُجنت بين جدرانها عن طريق فتحة التهوية الصغيرة، لحظة، شرعت خطواتي تتناقل قبل أن أبدأ بها حتى، ما تلك الرائحة الغريبة التي احتلت جوفي؟، جلت بعيني التي أوشكت على الانغلاق بحثاً عن إجابةٍ ما، يبدو أن عدونا قد نشر غازاً مخدراً في الأرجاء، كان كلُّ من ويليام وداني قد رفعوا الأقمعة لتُخفي وجوههم، أحاول المقاومة بصعوبة، ها هي ماريًا قد استسلمت بالفعل، أشعر بحبات التراب التي لصقت جلدي بالكاد، ضغطت بكفي على حفنة التراب الثقيلة لأدفع جسدي إلى الأمام قليلاً ولكن دون جدوى، أين كل تلك القوة التي استجمعتها منذ قليل؟ لا أعلم، أشعر بسحابةٍ سوداء تحتل عقلي، الضباب يحيط بي، أحاول حجبته بتحريك رأسي هنا وهناك ولكنه لا يختفي، لأغلق عيني فقط، لن أستطيع استرداد قواي بهذه الحال، ليس لدي خطةٌ أفضل من هذه أيضاً.

رفعت رأسي لأجد الظلام يحيط بي من كل حذبٍ وصوب، أشعر بالأغلال تضغط على جسدي بقوة، شرعت أحرك رأسي بجنونٍ عسى أن تسقط تلك العصابة المغطية لعيني، ها هي الأضواء مجدداً، أين

نحن الآن؟، أنا وماريا وتيم مقيدون بحبلٍ واحد، جلت بعيني في المكان بسرعة، يبدو أنها غرفة المراقبة، أعرف هذه الشاشات الكبيرة جيداً، لحظة، ما الذي تبثه هذه الكاميرات الآن؟، داني وويليام منهمكون باكتشاف ما يظهر لهم فمن الجانب الآخر من الحرب، لم يشعروا باستيقاظي حتى، أحسّ بحركةٍ خفيفةٍ بين الحبال، تُفك وثاقي أم ماذا؟، أخفت ماريا سكينها الصغير في كمها واستقامت بهدوء، يبدو أنها تتوي الهجوم مجدداً، كانت تجر ساقها ببطءٍ وهي تضغط على يدها ليتها تسكت ذلك الألم الفظيع المنفجر منها، ترفع ذراعها الأخرى بصعوبةٍ وتهوي بها مزيلةً حمل الغضب عن هذه القبضة المائدة لهنيهة، رمت كل ما تبقى في روحها من قوةٍ في هذه الهجمة، وكان دفاع خصمها بذلك الضعف، التفت وويليام إلى عدوته عنوةً وانتشل السلاح الصغير من بين أناملها قبل أن يصيب الهدف ورفعته إلى عنقها بخفة، احتل الهدوء المكان فجأة، ماريا تطالع غريمها بأعينٍ فارغة، لم تعد تحمل في جعبتها المزيد من الحياة، رفعت رأسها وشبح ابتسامةٍ غريبةٍ احتل ملامحها الميتة، الإمّ تنظرين؟ وكان صوت داني المفاجئ مدوياً في الأجواء الصامتة، "ويليام، توقف!، وكان مجرد رهينةٍ ضعيفةٍ كتلك أهم ما أهدتنا إياه هذه الحرب، لن يزيدنا التخلص منها إلا ضحيةً أخرى دون سبب، أسمعني وويليام؟، هناك أمورٌ أخرى بانتظارنا، مزيدٌ من المفاجآت لك سيدي، جثة

حياةً بالكاد ظهرت، إنه لا يعرف الاستسلام، كما هو متوقعٌ من ابنك، ولكن هل يمكننا عده منا الآن؟، لا أتوقع ذلك."، كان وقع سقوط تلك السكين قوياً، انكبَّ ويليام على تلك الشاشات يراقب ما يحصل هناك بأعينٍ أخفت الكثير من المشاعر والأسرار ماذا؟ مفاجأةٌ جديدة؟ ألا يكفي ما مررنا به إلى الآن؟ لا أظن ذلك.

كدت أهبّ لمساعدة ماريّا التي هوت على الأرضية الصلبة ولكن أحدهم سبقني لفعل ذلك، منذ متى استفتت تيم؟، أتستطيعُ فهم كل ذلك؟ أنا بالكاد أفعل.

كان تيم يرفع ماريّا بهدوءٍ حين احتلت كلمات داني أفكارنا جميعاً، "سيد ويليام، أيمكننا الوثوق به؟ لا يبدو أنه يفهم ما يجري هنا أصلاً، إنهم يستطيعون السيطرة عليه بسهولة، أعلم أنه ليس بتلك الحماسة ولكنه لا يعلم بوجودنا حتى، علينا جذبته إلينا مجدداً، ألا تظن ذلك؟"، صمت الجميع لوهلةٍ قبل أن يظهر صوت تيم الوثائق أخيراً، يعلم أنه سيسبب الكثير من الدمار بكلماته تلك وهذا ما يصبو إليه، "وكأنك تستطيع الوثوق بأحدٍ هنا، أليس كذلك صديقي؟ لم أعرف هدفك يوماً ولكنني أشكرك لكسر الثقة بينك وبين رؤسائك لأجل حياة ياقوت." أخذ نفساً عميقاً استعداداً للبوح بالمزيد ولكن قبضة ويليام كانت أسرع من كلماته، كادت تلك اللكمة تحطم وجه تيم ولكن كفه قد أوقفت ذلك الهجوم المباغت بخفة، "أستطيع إيقافك بيدٍ واحدة،

يا لضعفك أيها العجوز! لم تحاول التخلص مني على أي حال؟ التخلص من رهينة ضعيفة لن يزيد حربنا إلا ضحيةً أخرى دون سبب، أليس كذلك داني؟، أسمعني؟ أم أن شبح الصدمة قد احتل عقلك؟ ما قلته منذ قليل صحيحٌ مئةً بالمئة، ألا تعلم بذلك؟ ألسنت المراقب هنا؟ ظننت أنك قد تكتمت عن الأمر فحسب، يبدو أنني قد كشفت سراً كبيراً، أعتذر، لست كذلك، جميعكم لا تستحقون الثقة، ألا تعدّ محاولتك المبهمة للإبقاء على حياة ماريًا خيانةً أيضاً أيها الشقيق العطوف؟ حفنةً من الجبناء الخونة!، يا لهشاشة فريقكم!. "رفع تيم رأسه والابتسامة الخبيثة تسيطر على ملامحه، كانت نظرة الاستهزاء التي طالع بها خصومه قد جمدت الجميع هنا، حمل تيم ماريًا الغائبة عن هذا الصراع البارد على ظهره وهمّ بالرحيل مشيراً لي باتباعه ولكن كلمات داني كانت كافيةً لتحطيم تلك الهالة القوية التي أحاط بها صديقي روحه الخائفة، "وكأنكم لا تملكون خونةً بينكم أيضاً، إن كنت لا تعد نفسك كذلك رغم إيدائك لماريًا حفاظاً على حياة خصمك فهناك شخصٌ آخر، إن وصلت إلى مركبتكم المهشمة تلك ووجدت صديقك مقيداً فلا تسأل عن السبب، لسنا وحدنا من نملك رهائن هنا ولكن رهينتكم كانت كافيةً لتحطيم الكثير في جيشكم الصغير، أتعلم؟، يمكنك الذهاب بتلك المرأة النصف ميتة الآن، لستم بتلك الأهمية على أي حال، رهينةٌ واحدةٌ تكفي، يمكن لتلك الفضائية أن تترك

أثراً أكبر من البشر، هي ليست بضعفكم، وأيضاً، لقد كنت محقاً، كنت أحاول حماية حياة ماريًا بكلماتي تلك، حاولت إبعاد أسلحة ويليام عنها قدر الإمكان، ولكنني لم أفعل ذلك لأجلي، بل لأجل تلك الفتاة التي حاربت لحياتها البائسة طويلاً، لن أجعلها تنتهي بتلك الحال الضعيفة فقط لأنها عدوتي، ما الذي تنتظره الآن صديقي؟ ألا تخشى أن أغير رأيي؟، تستطيع الذهاب، ستفي تلك الجذوة بالعرض..".

جلت بعيني في الأرجاء بسرعة، ها هي ماريًا النائمة تكاد تختفي عن ناظري بعد ابتعاد تيم عن المكان، أنا من أصررت على هذا، أمل أن تعود لي لقوتك قريباً صديقتي، كان ويليام يطالع تلك الشاشات وقطرات العرق تحتل وجهه الغاضب، سكين ماريًا تزيّن الأرضية بلمعانها رغم الصدا الذي غزاها، قطع أفكاري صوت الأغلال الحديدية التي أحاطت بي بشدة، التصق جذعي بالجدار بقوة حتى كاد يُحطم، أحاول تحريك أطرافي بكل ما أملك من قوة ولكنني لا أستطيع، أردت أن أخرج صرخةً كبيرةً من جوفي لعلي أزيل ألمي بها ولكن عصبيةً ما قد أغلقت فاهي وأنفي عنوةً ألتقط أنفاسي المتقطعة بالكاد، أرمق عدوي بنظرةٍ ملتهبةٍ بغضبي الكبير وكأنني سادع داني يهزمني، تعلم أنني لست بضعفكم أيها البشر ولكن أمراً أكثر خطورةً قد أخفي عنك، لم يحمل قين جزءاً مني

عَبثاً، أَعْلَمُ أَنَّ الْبَعْضَ يَجْرِي فِي جَسَدِكَ بِالْفِعْلِ،
تَسْتَطِيعُ الشُّعُورَ بِذَلِكَ؟، أَنَا لَا أُؤْذِي نَفْسِي لِأَرِيْقَ دِمَائِي
السُّودَاءَ فَقَطْ، لَا أَفْرَجُ عَنِ مَخَالِبِي لِأَنْتَحِرَ، بَلْ لِنَتَأَلَّمَ
أَنْتِ، تَعْتَصِرُ كَفْكَ بِشِدَّةٍ، أَتَشْعُرُ بِدِمَاءِ الْمَاجِلَانِ تَخْرُجُ
مِنْ شِرَائِبِيكَ كَمَا أَفْعَلُ؟ اسْتَسْلِمِ الْآنَ! لَنْ أَكْبِحَ جَنُونِي
أَقْسَمُ، وَكَأَنَّ حَيَاتِي سَتَنْتَهِي قَبْلَ أَنْ أَشْهَدَ فَوْزِي أَيُّهَا
الْهَجِينُ الضَّعِيفُ!.



ASRU

للنشر الإلكتروني

-٣٨-

ريا...

ما ذلك الصداع الذي يحتل رأسي حتى كاد يفجره؟،
الأضواء الضعيفة تصلني أخيراً، يبدو أنني قد أفقت،
ولكن من ماذا؟، وثبت من على قavanaugh القماش الذي
أسندت عليها رأسي بسرعة، أحاول معرفة موقعي
الآن، أجول بعيني في هذا المكان المعدني الصديء،
هناك أشياء أكثر رعباً من جدران المركبة الشبه
محطمة تحيط بي، قطرات الدماء السوداء والحمراء
الجافة على قavanaugh بعض الأسفلت، لا إصابات
بشرية من فريقنا سواي، حتى الآن، والكثير من الفريق
الأخر، سقطت بعض العبارات الصامتة على وجنتي
لتخفي آثار سابقتها الجافة التي ذرقتها مع دمائي منذ
قليل، أعلم أن تلك أشد ألماً رغم أنني لم أشعر بوجودها
حينها، فكانت تلك التي هوت على رأسي أحرّ بكثير،
لمست موضعها فيّ بهدوء استعدي تركيزك ريا!، ما
الذي أفعله هنا؟، أنتظر اللاشيء أم ماذا؟، لأخرج
وأرى ما آلت إليه الأمور، لم أعد خائفةً من ذلك
الصراخ الذي احتل المكان، لقد أصبح جزءاً من
هدوئنا الآن، مررت بالقاعة الكبيرة وصادفت ما فجر
الذعر فيّ مجدداً، كدت اصطدم بأحد الأعمدة طالعت
رهائننا بسرعة قبل أن أشرع بالعدو خارجاً، لا أعلم ما

الذي تغير في الآن ولكن شيئاً ما قد تغير أقسم، أهو
الشعور بالنصر قد ولد داخلي أخيراً؟، ها نحن نملكهم
بحوزتنا بالفعل، ألم أكن أنوي سحق أوليفيا من
الأساس؟ يبدو أنها قد تأذت بشدة، لم لم تدعوني أفعل
ذلك بنفسني؟ لقد فاتني الكثير، ما الذي يجري خارج
نطاق مركبتنا الصدئة الآن؟ لا أحد يعلم، ولكنني
رأيت، أقسم! إنه هو فما تفسير ذلك؟ جسدٌ بشريٌّ
نصف حيّ بين حفنةٍ من الماجلان يحيطون به
بأجسادهم الضخمة، أزحتهم بأناملي المائدة وكدت
أصل إليه ولكن كفاً ما قد جذبتني من قلنسوتي إلى
الخلف، أنا أعرف هويته!، تلك النظرات المميزة تؤكد
لي ذلك، ألا تبصرون ملامحه المصبوغة باللون
الأحمر؟ تماماً كلامحي الشاحبة، لا أحد يسمع
أفكاري، سحراً!، تلك الذراع التي أوقفتني منذ هنيهةٍ
تضمني الآن، أعلم أن الاقتراب خطرٌ ميسان ولكنه
أخي!، ألا تسمعين نبضات قلبي التي تثير العواصف
فيّ؟، ألا تشعرين بارتعاش جسدي الهزيل؟، كدت
أرمي بيدها بعيداً لأتقدم ولكنها قد أحكمت شد أغلالها
ببراعة، لست بذلك الضعف صديقتي، تفوقني بأشواط،
أنا ضعيفةٌ للغاية وأزدادُ ضعفاً يوماً بعد يوم، تعلمين
ذلك، لا تضغطي علي أكثر أرجوك، أوشكت على
إيذاء نفسي، "أسفةٌ صديقتي، ذلك لمصلحتك، تعلمين
أنه عدوٌ الآن، ليس مجرد شقيقٍ لطيفٍ كما عهدتك، لا
تتوقعي تعاطفاً لأنكما تحملان دماً متشابهاً فحسب، هو

لا يطلب رحمتنا أيضاً، تلك النظرة المرعبة التي تصدر من عينه الوحيدة تكفي لتجميد قلوبنا جميعاً، لن أدعك تقتربين أكثر، ألا تكفي إصابتك تلك؟، ألا يكفي ما سُحق من قلبك إلى الآن؟، أما زلت ترين أنهم ليسوا أعداء فقط لأنك ترعرعت بينهم؟، أعلم أن كمّ الذكريات التي تحملينها في رأسك لن تختفي بتلك البساطة، ولكنهم ليسوا الذين تعرفينهم الآن، إنهم اشخاصٌ آخرون، وأنت الآن أيضاً فتاةٌ أخرى، ألسنت محقة؟"، لقد هزت صرخاتي المرتعشة المكان وجمدت الجميع هنا، لم أتوقع ذلك الأثر الكبير لكلماتي المرتجلة والصادقة، "أحقاً؟"، أعرف ما تقولينه الآن بالفعل ميسان، أنا لست رياء القديمة أنت محقة، ولكن الذكريات تأتي الرحيل عن رأسي مهما حاولت، وكأنني أريد نسيان أخي!، لن أفعل! بأي قلبٍ متحجرٍ تخالونني؟ لن أقف مكتوفة الأيدي أطالع شقيقي النصف حيّ هكذا، ألا ترون خطوط الدماء المرسومة على جلده المحترق وفي مساره؟، يمكنكم النظر إليّ بشفقة، لقد فقدت الكثير بالفعل، وأستطيع سماع صوت تحطمي من الداخل أيضاً، ولكنني لم أفقد عقلي بعد كما فعلتم أنتم أيها الفضائيون المجانين! لن أدعه يرحل عني مجدداً فقط لأنه عدوي، أنا في صف آدم دائماً، وإن اضطر الأمر لأن أكون ضدكم!، أعلم أن ذلك خاطئ، ولكن هناك من يحتاج بعض المساعدة هنا، أفرجني عني ميسان ودعيني أنقذ حياة أحدهم على

الأقل، ألا تكفيكم تلك الجثث التي ملأت المكان؟
 أيمنك ألا تستسلم للجمام المحيط بك أخي مرة
 أخرى؟، هم يريدون رأسك على طبقٍ من فضة رغم
 أن فريقك لم يعلموا بوجودك حتى، أنت بطاقة رابحة،
 أتعلم؟ لنكن في صفٍ واحد، لن أنضم لحفنة المنافقين
 تلك بالطبع، لتكن في جانبي، يمكنني إعلامك بكل بما
 يحدث هنا ولكنك ستحظى بعلاجٍ ما أولاً، هل توافقون
 على ذلك؟، وإن كنت عدونا سرّاً آدم فأنتي أمري أنا
 أولاً، إن كنت سأجعل الجميع يثقون بخائنٍ مجدداً
 فسأستحق الموت، إن كنت ستصدق ما أقوله أخي
 فدعني أخبرك بالمزيد، إن كنتم تثقون بي أيها الماجلان
 فاستقبلوه بيننا، من المستحيل أن ينحاز أخي للفريق
 الآخر بعد معرفته قواعد هذه اللعبة، أليست كلماتي
 صادقة بما يكفي لنذع هذا البشري يعيش؟"، وشرعت
 العبرات تهرب مني بهدوء، يبدو أن وعدي بالأظهار
 عبراتي للعالم قد كسر منذ زمن تسمرت الجموع لوهلة
 في حين أحلت ميسان وثاقي أخيراً، انحنيت ومددت
 يدي لأساعد آدم على النهوض مجدداً بعد أن أرخى ما
 تبقى من جسده المشوه على حبات التراب القاسية هذه،
 سرت قشعريرة قوية في حين لامست ذلك الكف
 المزدهم بالخدوش، كم أنملة سُلبت؟، تبدو كثيرة،
 أتستطيع الانتصاب بساقٍ واحدة؟، رفع جذعه بصعوبة
 محاولاً استعادة توازن جسده الذي نام طويلاً حتى خلنا
 أنه قد أضحى رماداً يطفو بين النجوم، إنه حقيقي!

أستطيع الشعور بالدماء الملتهبة التي تسري في أوردتنا، لحظة، تلك الكف العطوفة تمسح على رأسي بهدوء، وتجذبني إليه ويمكنني سماع ضربات قلبه بوضوح الآن حزن آدم دافئ كما اعتدت عليه، لم أستطع إخفائها أكثر، أفضل في ذلك دائماً، تشاهدوني أبكي فسحب! وكأنني لم أكن أستحق شفقتكم من الأساس، هده المكان لو هلة قبل أن تحتل تلك الضربات القوية على حبات الرمال الأجواء، أقدام متعبة تجري بالكاد وتدفع بالحصيات إلى الهواء تتطاير مع الرياح العاتية، التفت الجميع إلى تيم الذي ضج المكان بلهات الثقيل وكلماته المتقطعة، "أرجوكم... إنها تحتاج المساعدة."

دنا الجميع من ماريا المسندة على الأرض في حين ذهبت أنا لإحضار ناقلة ما لإدخالها المركبة، توقفت لو هلة مقابل رهائننا ورمقتهم بكل ما ولد في من حقد وأردت الصراخ بالكثير، المكان مزدحم بالجثث، ألا تنوون تقاسم المكان معنا في نهاية المطاف؟، أتريدون أن نرحل؟، لقد حطمت مركبتنا أيها الحمقى!، ما هي خطتكم؟، ابادتنا؟ تكادون تنهون البشر بالفعل، ولكن الما جلان أخطر من ذلك، نعرف جميعاً لمن ستحسم هذه اللعبة، إما أن تنتهي بهدنة ما، أو باختفاء جميع البشريين هنا، أظنون أنكم قد تستطيعون كبح جنون هؤلاء الفضائيين؟، هيهات! وكأننا في مأمن منهم نحن

أيضاً، هم يكرهوننا بما يكفي لاعتصار أجسادنا الهزيلة بين أناملهم، لن يلوكوا عظامنا كما فعلوا لجنودكم ولكنه موتٌ بشعٌ أيضاً، لا أعلم، ولكن ريان، إن كنت قد انضممت إلى حفنة الحثالة هذه لتأمين على حياتك فأنت أحمقٌ كبير، اسمح لي بسلبها إذاً، إن كتلة الغباء المتحركة لن تستطيع العيش في مكانٍ كهذا، أنت تعلم ذلك، كيف نجوت من زوابع الحياة سابقاً من الأساس؟، لا يهم ذلك ولكنك نجوت فحسب حتى حلول اليوم الذي تكشف لنا فيه عن ذاتك الحقيقية، وستبقى حتى أتحدى بتلك الشجاعة الكافية لإنهاء أمرك، كقاي ترتجفان ولكنني أستطيع حمل سلاحٍ ما وأعلم أن جلدك من فولاذٍ ولن أستطيع اختراقه بتلك السهولة، وكانني سأستلم فقط لأنك أصاب مني، لن أفعل ذلك الآن وسأساعد بعض الأحياء إلى حين قدوم دورك، ولكن انتظره بفارغ الصبر، لن تستطيع الفرار على أي حال، أعلم أنك لا تقرأ أفكارني ولكنك تعرف كل ذلك، لن أسمح لغيري بإراقة دمائك الملتهبة، ستتورم أناملي ولكن لذلك شعورٌ لذيذ، أليس كذلك أيها السفاح المجنون؟، سأفكر في ذلك لاحقاً رغم أنك لا تخرج من رأسي، فلتمت وحسب!، قد أستطيع العودة إلى طبيعتي حين أهشم جمجمتك، سألتقط أنفاسي ببطءٍ كما كنت أفعل سابقاً، وسأحصل على معدل نبضاتٍ طبيعيةٍ لقلبي، قد أصبح أقوى أيضاً، فأنت لم تعد موجوداً لحمايتي بعد الآن، سأدلفُ قوقعتي الصغيرة مجدداً، لن

يستطيع أحدٌ إخراجي منها، أليس ذلك سيئاً؟، أريد أن أصبح فتاةً لطيفةً مع الجميع حقاً، ولا أريد أن أسجن بين جداري المظلمة، ولكنني سأصب كامل من تبقى لي من قوةٍ في اغتيالك، آسفةٌ لأنني لا أملك جلدًا فولاذياً كالذي تحيط به روحك الضعيفة، لم أكن أحتاج واحداً في السابق، كان خاصتك قوياً بما يكفي لحمايتي أنا أيضاً، سيسقط منك قريباً، لن أستطيع سرقة، إنه ثقيل، كيف نجوت بي من زوابع الحياة سابقاً؟ لا يهم ذلك الآن، لن أستطيع الصمود إلى النهاية فحسب، لقد رأى الجميع الحمام في عيني بالفعل، رغم أنني لا أراه في انعكاس عينيك، إنهما تشتعلان فقط، اتغشي النيران أبصارك؟ أم أنك من جعلتها تتقد لتخفي ما تعكسه لنا روحك، عيناك لا تحتفظ بسرٍ عادةً ولكنك قد نجحت في إسكاتها هذه المرة، الفضول يتضاعف فيّ وأكاد أنفجر، ما هو ذلك الشيء الخطير الذي تسعى لإخفائه؟ الأفكار تصرخ في رأسي دون هوادة، ألا تستطيعون سماعها؟

"رياء، أين أنت؟"، كان صوت ميسان كافياً لإيقاف سيل الأفكار التي تتساقط على رأسي دون هوادة، لحظة، أين أنا؟، منذ متى وأنا على هذه الحال؟ ألا يجب أن أذهب للمساعدة؟، فلماذا أنا أقف هنا وأسند جذعي إلى أحد الأعمدة وكأنني مثل الرهائن المقابلة لي؟ "إنها هنا، ألم تشعرى بوجودها، لقد مررنا بقربها

عدة مرات."، مررتم بقربي؟، لم ألاحظ ذلك، وكيف لم تشعر صديقتي شديدة الملاحظة بوجودي أيضاً؟، أصرت معدناً كالجدار خلفي تماماً؟، التفتت حولي لأجد الجميع في حجرة التمريض في الخلف، ألم أكن هناك حين استيقظت؟، سأذهب لأتابع ما يجري هناك، انتظرونا أيها المنافقون، سيحين دوركم، ولكن الحياة لا تُقارن بالموت، تعرفون ذلك، أنتم حفنة من القتلة في نهاية المطاف، وأيضاً، لقد عرفتم بنجاة آدم بالتأكيد؛ لقد كان بيننا طويلاً دون أن نشعر، أتريدون إعادته إلى صفكم؟، وكأنني سأسمح بذلك.

ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٣٩ -

ماريا...

إلى أين وصلتِ ماريا؟ ما كل تلك الوحشية التي احتلتني؟ أشعر بها تغادرني الآن رغم عدم شعوري بأي شيءٍ آخر، أفتح عيناى ببطء لأجد نفسي ملاصقةً لظهر تيم الذي يجري بي بكل ما تبقى له من قوة حتى يصل إلى المركبة منذ متى وأنا غائبةٌ عن الوعي؟ لن تهمني معرفة هذه المعلومة، أنفاس تيم ونبضات قلبه تتسارع بجنون، أهربت بي من ذلك المبنى؟، يبدو ذلك، ودعني أضمن، فلمّة مازالت هناك وقد شرعت بشنّ هجومها بالفعل، طالعت معصمي المسند على كتف تيم بفتور، إن ذلك مؤلمٌ بما يكفي فلمّة، فكري بي قليلاً وهذه الذراع مكسورةٌ أيضاً وتتزف بقوة، أتشعر بدماء الهجينة تغطي سترتك تيم؟، لاحظت عدم انتظام أنفاسي وارتفاع نبضات قلبي مع إحساسي بذلك الألم الفظيع؟ "تيم، أسمعني؟، تيم!". كانت همساتي المتقطعة تلك كافيةً يعيرني منقذي قليلاً من الانتباه، "ماريا، اصمدي قليلاً، نكاد نصل، سأنقذك، وستكونين بخير، أعدك، فقط استمري بالعيش أرجوك، وسيكون ذلك أكثر من كافٍ بالنسبة لي". كانت صرخاته الصغيرة قويةً في حقاً، ولكنني لا أستطيع التحمل، آسفةٌ تيم، لأكون واضحةً هنا، فأنت تستحق وداعاً لائقاً صديقي، "تيم، على رسالك، تعرف أنني لن أصل حيةً

إلى هناك في نهاية المطاف، انظر إلى معصمي، هناك جرح كبير قد أذى شرياني، تسببت به وأنا أفك وثاقنا بواسطة السكين في ذلك المبنى، إنه مؤلمٌ وينزف لينهي أمر جسدي الهزيل، أتعلم؟، سأحتضن جورج من أجلك، أعرف أنك تفتقده رغم إخفائكَ لذلك، وهناك جدك، لا تخف سأتعرف عليه، فهو لطيفٌ مثلك، أليس كذلك؟، ومن أيضاً؟، ربما أحدٌ آخرٌ من أفراد عائلتك، سيكونون سعيدين بتذكرك لهم، فهم لم يحملوا لك كرهاً، لا أحد يفعل."، قُطعت كلماتي تلك بصرخات تيم الهاربة مع عباراته المبللة لهذه الأرض الجافة محدثاً بما يقول وقعاً ثقيلاً على الأجواء: "فقط كفي عن قول ذلك، عن أي عائلةٍ تتحدثين؟، تعرفين أنه لم يعد لي عائلةٌ سواك، فلا ترحلي أنت أيضاً، استمري بالوقوف بجانبني حتى نغادر هذا العالم معاً، أعرف أن المقاومة صعبةٌ ولكنني لطالما كنت أنانياً بشأنك، ولا أنوي العزوف عن ذلك الآن، ماريًا، أنا لا أهتم لأمر كل تلك الذنوب المثقلة لكاهلكَ وإن كان كل العالم يفعل، فأنت لست سوى ذلك الملاك الذي ظهر لي ذات مرةٍ وأبى ترك أفكارِي، فقط اعلمي أنني لم أرد منك الابتعاد للحظة، وأرفض ذلك تماماً الآن"، ولم أشعر إلا بكفه ترفع ممسكةً بمعصمي النازف ضاغطاً عليه بقوةٍ علّ الدماء تتوقف عن الهرب من جسدي بتلك السرعة، "توقف تيم، إنك تؤلمني، لن تشكل محاولتك فرقا على أي حال، فأنا لا أنوي النجاة من هذه الحرب،

أسفة، وشكراً لأنك بحت لي بكل ذلك، يمكنني الرحيل
بسعادة الآن، فهناك من يتذكرني بتلك الطريقة في
نهاية المطاف، شكراً لأنك كنت بجانب كل تلك المدة،
خصوصاً حين ردعتني عن قتل داني، أسفةً لأنني لا
أنوي رد ذلك المعروف لك، فأنا أنانية أيضاً، أتسدي
لي أمراً؟ أخبر العم ياقوت بأن يسامحني، هي السكين
نفسها التي مزقت جلده تُدمي شرياني الآن، وكأنها
تنتقم له، وفي الختام تذكر ذلك، أنا لن أبتعد أبداً،
سأكون هناك دائماً، في قلبك"، وها هي الأنفاس
الأخيرة تُزفر بهدوءٍ تاركةً في المكان وقع الموت
المهيب.

ASRU D

للنشر الإلكتروني

- ٤٠ -

ويليام...

قطرات العرق قد غزت جسدي، ألهمت بسرعة، ما الذي أقف أمامه ساكناً الآن؟ ما الذي يُعتمر فيّ بكل تلك القوة؟ لا أستطيع سماع ما حولي بوضوح، أم أن ذلك الأنين يخرج من حناجر شركائي في غرفة المراقبة حقاً؟، ما شأنك الآن داني؟، لا أعلم ما الذي يحدث ولكن توقف عن زيادة الوضع سوءاً بصوتك المخيف ذاك!، ألا ترى أنني على وشك الانهيار الآن، لا!، لست بذلك الضعف، أنا من تسبب بكل ذلك من الأساس، أكنت أطمح لحكم العالم؟، أكنت بكامل قواي العقلية حينها؟، لا أظن ذلك، أكنت أريد لعائتي تلك الحياة التي لا نستطيع التفكير فيها حتى؟، أمازلم تفكرون أطفالي؟، أنا قد فقدت عقلي بالفعل، إن كنتم تحسبون أنني كنت أملك واحداً من الأساس، ما الذي كان يجول في خاطري حين رميتكم في الهاوية مراراً وتكراراً، من كنت؟، ما الذي كنت أحتاجه؟، ربما قلب!، حتى القائد كان يحمل واحداً وأنا لا!، فقط تركت الحماسة تسري في سراييني طيلة ذلك الوقت، لم أخسرهم بعد!، أعلم أنهم نصف أحياء ولن يستطيعوا الصفع عني في أفضل الأحوال، قد تفرغ رياكل البندقيات في رأسي حتى تحظى بقليلٍ من الانتقام الذي تعده لجميع أعضاء المنظمة، لا أحتاج محبتكم، تعلمون

أنني لم أطلبها يوماً، لا أستحقها فقط، ولكن لي رجاء،
أتسمع ما أفكر فيه أيها القائد؟، لتكشف عن حقيقتك
وتنتهي هذه المهزلة الآن!، ربما لم تعلم بعد كم روحاً
كلفت هذه الحرب التي ظهرت لنا من العدم، تعلم أنها
قد أنهت الكثير بالفعل، تستطيع عينٌ واحدةٌ إبصار
فتات البشر المنتشر في الأرجاء، استعداد سيطرتك على
منظمتنا المتهاكئة!، جميعنا شعرنا بأن ما يجري في
الأونة الأخيرة لم يكن من تصميمك، أعد الأمور
لصوابها!، أعلم أنك من يأمرني هنا ولكنه ليس رأي
مجرد مستشارٍ الآن، أملك ما يخولني لأُملي عليك ما
تفعل يا فتى!، ليس اعتقاد الجميع بأنني صاحب مقود
هذه السفينة المهشمة!، أمرٌ آخرٌ يعرفه الجميع عنا، إنه
حقيقي، وتأبى تصديقه، إذاً صديقي كن بطاقتي
الرابحة، فقط القليل من السلام الذي لطالما أردت
عيشه مع عائلتي الصغيرة، أعلم أنها محطمةٌ ولكنني
لم أعد أريد جمع شتات أبنائي، لن نكتمل على أي
حال، أكنت أحلم بذلك وأنا أعلم أنني قد بنيت قصري
بجدرانٍ من البارود، أكنت أتوقع نهايةً أفضل لقائدة
المنظمة السابقة ولعائلتها الزجاجية؟، إن موتها
بالمرض لهو ضربٌ من الحظ، لا أستطيع التفكير
بالمزيد، سأنفجر كتلك الفضائية الملتهبة هناك، طالعت
ما تبث تلك الكاميرا لي بعينٍ مغرورةٍ بالعبرات
الثقيلة، لم أكن أشعر بأنني أملكها سابقاً، أو ربما قد
صنعت البعض في الماضي للتمثيل، ما الذي توصلتم

إليه الآن أعدائي؟، لن تحتاج لاختيار فريق آدم، لتنتهي هذه الحرب فحسب، لم تعد الأمور خطيرة كما كانت منذ قليل، أستطيع استعادة بعض السيطرة على جسدي وعقلي الآن، أرخيت أناملي المتلاصقة ببطء، إحداها قد ضغطت على زرٍ ما من لوحة المفاتيح الضخمة بهدوء، تغير ما كان يظهر لي في الشاشة منذ برهة، مقاطع فيديو كثيرة، الواحد منها تصل مدته ليومٍ كامل، كل يومٍ يضاف كمقطعٍ جديدٍ لهذه الحزمة، لم يُستثنى يومٌ واحد، فإن هذه الكاميرا المحشوة داخل اللؤلؤة مميزة بما يكفي لتكشف لي المزيد، هناك مقاطعٌ منذ أن كانت القلادة ملك نوقا أيضاً، شرعت أجول بين هذه المقاطع الكثيرة وأنا أطلع داني من الحين إلى الآخر بهدوء، لا أريد أن يكتشف أنني أفتش بين ملفاته، لا يبدو أنه في حالٍ تسمح له بالانتباه لما أفعل الآن، اصبر قليلاً فقط، سأُنجدك ولكنني أملك أموراً أهم لفعلها أولاً، ولكن ممّ تتألم أصلاً؟، لا أرى سبباً واضحاً يدعوك لاعتصار ذراعك بكل هذه القوة وكأنك على وشك التخلص منها، كفّ عن الأنين!، تعرف أن ما أريد الوصول إليه أهم من حياتك، وكأنك ستخسرهما لسببٍ مجهولٍ كهذا، وجدته!، لطالما أردت معرفة ما حدث في ذلك اليوم، وكأنني سأنسى أمراً كهذا، الساعة الخامسة مساءً، ضغطت على زر التشغيل بكل ما تبقى لي من حماس، "فقط شاهدي كيف سأهدم قلعتك الرملية من موقعك في السماء نوقا، أنا أملك سلاحاً

أيضاً."، أعرف ذلك الصوت الخبيث جيداً، لا وقت لتذكر هويته الآن، قطع أفكاري صوت أنفاس نوقا المرتفعة بتسارع، "إن كنت تعدين طفلاً كسلاح لك فأنا أملك اثنين، تعلمين أنني لا أريد إقحام أبنائي في عالمنا المظلم ولكنني لا أملك خياراً آخر، يجب أن يصل أحدهما لمنصبي قريباً، وتصفين حياتي التي حاولت جهدي عيشها كسائر البشر بالجدران الرملية، وكأنك تتحصنين بالفولاذ!، للأسف أنا لا أريد إبعادك، فقط لا تجعلي حياة أطفالنا تجري على مسارك القدر ذلك، أعلم أنك قد تستطيعين السيطرة على آدم وريا حين أرحل، إن كنت مجرد صديقتي البشرية الطبيعية لقلت لك اعتني بهم لأجل تلك الأيام التي عشناها سوياً، ولكن أمل أن ينجو ريان من قبضتك المتحجرة أولاً، ألا تشعرين بالذنب؟، لطالما كنت تستطيعين العيش بحرية وطبيعية ولكنك رفضت ذلك، كان بإمكانك بناء عائلة لطيفة وصناعة ذكريات جميلة برفقة زوجك وابنك عوضاً عن اغتيال الأول واستغلال الثاني، ألا ترين أنك قد رسمت أسوأ مستقبلٍ قد تؤمنه أم لصغيرها؟، أن يعمل لصالح المنظمة حتى يلفظ آخر أنفاسه، وماذا إن رفض ذلك؟ وأن تدمري كل ما يحتاج طفلاً كريان امتلاكه، عائلة، ألم أعش حياةً مشابهة؟ متى رأيت ابتسامتي؟ إنها مراتٍ معدودة، أعلم أنني قد حصلت على شيءٍ لطالما أردته في نهاية المطاف ولكنني قد أقحمته في عالمي المظلم أيضاً، صنعت

لأبنائي حياةً سيئة، لم أنسَ ذلك يوماً، أمل ألا يصل أطفالنا لسوء ما مررت به ولكنهم لن يستطيعوا العيش بسلامٍ أبداً، آسفةٌ لكل العبرات التي ستهرب من أعينهم، أريد مسحها في كل مرة، لن أستطيع، سأرحل قريباً، أوليفيا، إن كنت تريدين تقديم معروفٍ ما فدعي ريان يعيش كما يرغب فقط، يكفي ما سُحق منه إلى الآن أسمعت ذلك؟، لا تصنعي منه سفاحاً ينوي جعلك أولى ضحاياه!". كان انعكاس ملامح نوحاً في المرآة المنتصبة على جدار الحجرة مرعباً، الزي الأزرق الخاص بالمرضى، أنبوب التغذية، الرأس الخالي من الشعر، والعبرات المتسارعة على تلك الوجنات المتهاكّة، قبل يومٍ واحدٍ من انسحابها من هذه اللعبة الجنونية، حين وضعت عقدها على عنق ريا بحنو، لم تعلم الأخيرة أنها قد مُنحت سلاحاً جباراً، وكانت لأدم أمورٌ أخرى، وكأنها قد وزّعت كل ما أرادت التخلص منه بينهم، لكيلا يحطم ثقل هذا الحمل أحدهم بشكلٍ مضاعف، إن أدم قويٌّ بما يكفي لتولي زمام الأمور، كنت تدركين ذلك نوحاً، أليس كذلك؟ لم تتركي خلفك أطفالاً سيعيشون الضغط فقط، إنهم الجذوة الإيجابية منا رغم كل الخطوط السوداء التي تخفي حقيقة ذلك، ليس فقط الحزن، هناك السعادة والحماس والأمل والكثير أيضاً، جعبتهم مزدحمةٌ بالأمور اللامعة، لا أعرف كيف، لكنني استطعت رؤية ذلك!

يكفي ذلك إلى الآن، سأعيد النباش في الماضي بعد الاهتمام بالحاضر أولاً، ضغطت على مقاتي بقوة لأزيل ما تبقى داخلها من عبرات، لن أدعهم يستهينون بأمرى، وثبت شاحداً قوتي لما سأفعله تالياً، ولكن قبل ذلك "داني، أنت بخير؟"، لم أكن أنتظر إجابةً منه حتى، "ما الذي تراه!، بالطبع أنا لست كذلك، ساعدني."، تبدو الأوضاع جنونيةً هنا، ما كل ذلك السائل الأسود الذي غطى الأرضية؟ إنه يجعلني أنزلق، من أين يخرج؟، جلت في المكان بعيني باحثاً عن دليلٍ ما، لا وقت لدي لذلك، استدرت واتخذت خطاي اللزجة إلى الخارج ولكن علو صرخات صديقي قد جمدتي، "هذه دماؤها، تلك الفضائية، اردعها قبل أن أقدم على قتلها! أعلم أن ما سأفعله ليس في صالحنا ولكنني اكتفيت، أفضل الموت على الصراخ هكذا!"، وشرعت بعض العبرات الحارة بالهروب من جوفه، يبدو أن ذلك الوحش الصغير يوقد لهبه في داني المسكين، إنها تغرس مخالبتها في شرايينها بقوة، لقد صبغت المكان باللون الأسود، ألم تنتهي بعد؟، ألا تنفذ دماؤك؟، إنها تنتج المزيد بسرعةٍ مخيفة، لقد فقدت عقلها بالفعل، عيناها تشتعل حتى كادت تذيب جمجمتها، تلفظ أنفاس التنين محاولةً الحصول على قبسٍ من قوته لتستمر في فعل ذلك، أزال تلك العصبية التي أوقفت صرخاتها بعد حركةٍ قويةٍ من رأسها، شرعت ترمجر بكلماتٍ مبهمهٍ لم أستطع فهمها، ولكن

بيدو أن داني قد فعل، "توقفي عن ذلك أيتها الوحش، هل تتوين فعل ذلك حتى الموت؟ كيف تستطيعين إيذائي أصلاً؟ لا يهم ولكنني سأنتهي ذلك!".، تقدم داني بكل ما تبقى له من رمقٍ وضغط بأنامله على عنق غريمته دون رحمة، ورفع سكيناً ظهر من العدم اتجاهها لينهي أمرها، لن أستطيع إيقاف جنونه الآن، لن يحلّ السلام أبداً، وسط أنفاس الفضائية المتقطعة خرجت تلك الحروف التي استطعت التقاطها أخيراً، "وكأنني لا أريد الموت، أيها الأحمق سأنتهي بهذا المعدل بعد قليل، لن أستطيع إيذاءك مجدداً، ولكنك إن اغتالنتي فلن تزيد الأمور سوى سوءاً، إن كنت ستفعل ذلك لتسكت الألم فأنت أغبي مما توقعته حتى، ستشعر بذلك الجرح يمزق عنقك كما يفعل بجلدي، ولن تنتهي هذه الحرب أبداً بعد سقوط جثتي بين يديك، أتريد إقحام نفسك في كل ذلك؟، ستكون ضحية فريقتي التالية حتماً، فما خيارك؟، لم أنتظر إجابةً من الأساس؟ أعلم أنك لن تستطيع فعل ذلك، أيها الجبان"، تجمد الهواء في المكان لوهلةً قبل أن أشرع بقول ما في جعبتي، "أيتها الفضائية، ما هدفكم؟، العيش فقط، أتعلمين؟ لنحقق ذلك، أنا أيضاً قد سئمت من الحروب وأريد قضاء ما تبقى لي من حياةٍ بهدوءٍ لننتقاسم هذه الأرض، لقد كنا نتحارب على شبرٍ من هذا الكوكب الضخم وتستطيعون اكتشاف المزيد وامتلاكه ولنتناصف ما لدينا إلى أن تحصلوا على ما تريدون، ليس من

الضروري أن نكون أصدقاء، ألا نكون أعداء يكفي، ما رأيك في ذلك أيتها الوحش؟"، يبدو أنها قد فهمت ما أود إيصاله، طالعنتي بعينها المتقدة وشرعت بإخراج اللهب الهادي مع كلماتها التي توحى بحكمة هذه الجذوة: "أحقاً، خطة جيدة، ولكن ما الذي يجعلني أصدق كلماتك؟"، "إن مداهمتكم لم تكن فكرتي من الأساس وأنا أيضاً أطلب السلام لأبنائي، لن أكذب في ذلك، وإن كنت أفعل فيمكنك التخلص من داني بطريقتك الغربية تلك أستاذن الآن، سأذهب لعقد تلك المفاوضات مع قادتك، يكفي ما فقدناه حقاً، لأوقف هذا السيل بكل ما تبقى لي من سلطة على هذا الجنون"، التفت إلى داني لأجده يرمقني بنظراتٍ تخفي الكثير أسفٌ لجعلك ضحية نفاقي صديقي ولكنني سأتوقف عن الكذب من اللحظة لم أعد أستطيع جني شيءٍ منه على أي حال، لأعيش كما أنا فحسب.

اتخذت خطاي خارج هذه الحجرة ولكن كلمات تلك الفضائية قد أوقفتني لهنيهة، "انتظر لحظة، يمكنك المحاولة ولكن لا أعتقد أنك ستحصل على ذلك السلام الذي تتطلبه من فريقتي، فلتعلم أن هناك من لا ينوي مسامحتك هذه المرة أيها القائد، قائد هذه المنظمة"، علت ملامحي الجافة ابتسامةً صفراء لم أصنعها منذ زمن، "القائد؟، إنه ليس أنا"، لا أريد إخفاء هذه الحقيقة مجدداً، لطالما عدّني الجميع المتحكم بهذه المجموعة،

أعلم أنها لن تثق بي إن عرفت أنني لست صاحب القرار ولكن لا بأس، أنا أثق بما أقول، ستضحكين حين تعرفين هوية القائد الحقيقي، ولكنه أيضاً لم يكن السبب في شنّ هذه الحرب.



ASRUD

للنشر الإلكتروني

- ٤١ -

أمبرا...

ما هذه الأرض التي تضغط على جسدي بكل تلك القوة؟، وما هذه التي يحاول الأعداء استخدامها للإطاحة بي؟ إن الإصابة بتلك الأجسام الصغيرة الطائرة مؤلمٌ إلى حدٍ ما، ولكن الغلبة لي بعد كل شيء، أراهن بأنكم لم تصادفوا وحشاً مشابهاً في أرضكم تلك، فأنتم من كنتم الأخطر هناك رغم ضعفكم مقارنةً بي، أشعر بدمائكم الحمراء تلوث جلدي السميك، يبدو أن مخالبي وأنيابي شبةً بعض الشيء، فهي لا تزال تطلب إراقة المزيد، لا، إنها أرواحٌ تُهدر هنا أمبرا، تريث، ولكنهم من طلبوا الحرب، وها أنا ذا لأنفذ، يبدو أنكم قد تمكنتم من بعض الماجلان بالفعل أيها الضعفاء، هناك جثةٌ تسقط بقوةٍ بقربي، لا يبدو أنها لا تزال تتنفس، ولكنها تبتسم، لم أستطع الاقتراب للمساعدة، فجسدي قد انشغل بالهجوم، توقف أمبرا، لقد أسقطت كل ذلك الدرع البشري بالفعل، ما الذي تريده الآن؟، لا أعرف، وكان تلك الأطراف لم تعد ملكي، لقد جن جنونها، لا أفهم ما يجري جيداً ولكنني أشعر بأنني قد فقدت السيطرة، وها أنا أفقد عقلي ببطء وأصبح وحشاً بحق، ميسان، عرفت تماماً لمَ قلت أن البشر لن يكونوا بتلك الشجاعة ليتزوجوا من الفضائيين، فنحن مخيفون في نهاية المطاف.

- ٤٢ -

ميسان...

الكثير من الجروح تغزو جسد صديقتي الجامد، ولكن ما فائدة تضميدها الآن؟، لا أستطيع تمييز النبض أو التنفس هنا، كفي عن الارتعاش ميسان!، لا، ماريا لا تستسلمي، سأساعدك، ولكنني لا أعرف كيف، وبينما كنت أتخبط بحثاً عن حلٍ ما قطعت أفكارني بلكرة مفاجئة، "أبي، ماذا علي أن أفعل؟ لا أريد خسارتها هي أيضاً أرجوك ساعدني، إنها أعز صديقتي."، لم أنه كلماتي بعد ولكن كف الطيبة فيكتا الحنون قد هدأ من روعي قليلاً "سأحاول إنعاشها لا تقلقي، وبما أنني سأتم بذلك فهل تستطيعين المساعدة بأمرٍ آخر؟، جدي فلمة، لقد كانت مختفية لمدة، تعرفين، لا أريد لها أن تتأذى أيضاً."، فلمة، سأحاول اقتفاء أثر تلك الفضائية الشقية، أعرف أنني أبغضها ولكنها جزءٌ من فريقنا في نهاية المطاف ولا أريد خسارتها.

ابتعدت عن جثة ماريا قليلاً بحثاً عن شخصٍ يساعدي في إيجاد تلك الصغيرة، "تيم، أتعرف مكان فلمة؟"، كانت كلماتي سبباً لإفزع صديقي الذي انشغل بتطبيب جروحه محاولاً كبح نفسه من الانهيار بصعوبة، "ما زالت مع العدو!، سحقا."، أحقا؟، ألم تتحمل عناء إنقاذها حتى، إنها تشكل بطاقةً رابحةً قد امتلكها الخصم، أعلم أنكم تحسبون أننا نملك اثنتين ولكن تلك

مجرد خدعة، "إذاً ماذا الآن؟"، لنذهب لمحاولة استعادتها، تعرف موقعهم، أليس كذلك؟"، قلت تلك الكلمات دون أن أفكر حتى بالمخاطر التي قد تحيط بنا ولكن تحذيرات تيم قد جعلتني أعيد حساباتي، "ما الذي أوصلنا إلى هناك من الأساس؟، كنت ذاهباً لإنقاذها وتبعنتي ماريما، وها نحن ذا بهذه الحال بعد مواجهة رجلين فقط، أحدهم كان يعطف على شقيقته أيضاً، أتحلين بتلك الشجاعة أو التهور لترمي نفسك هناك؟، أنا أستسلم"، لا يبدو أنه مستسلم حقاً بقدر ما هو حزين، ولكنه محق، سأطلب العون من أحد الماجلان، إنهم أقوى على أي حال، وأليست فلمة جزءاً منهم؟ أعرف أن نهاية أولئك البشر ستكون بين أيديهم، لا أريد المزيد من سفك الدماء، ولكني لا أريد خسارة فلمة أيضاً، سأخبر فينيكس، إنها أفضل فكرة قد تخرج من رأسي الآن، لا وقت للتفكير بحل أفضل، سيقي ذلك بالعرض.

جلت في المركبة على جناح السرعة بحثاً عن معاوني في مهمتي الجديدة، مررت من القاعة الرئيسية عدة مرات، لا أثر له، "ريان، رأيت فينيكس؟". لا أعلم ما الذي جال في خاطري ولكنني قد سألت عن ذلك على أي حال، إنه ليس عدوي في حقيقة الأمر، "لقد خرج منذ قليل، حذاري، لقد استوقفه أمرٌ ما" شكراً على نصيحتك صديقي، لا تقلق، ستثبت لهم أنك لست بذلك

الشر الذي أحطت به نفسك، أعدك، سأحاول إبعاد الجميع عن الحمام إلى أن تفعل ذلك، أظهر لهم معدتك الحقيقي، عد كالكتاب المفتوح أمام أصدقائك مجدداً، تعلم أننا نحتاج ريان الرفيق الطيب، وإلا لم تكن لتفعل ما فعلته رغم كل تلك المخاطر التي كادت تسحقك، أشعر بأننا نقرب من السلام رويداً، حين نصل إليه فقط أخرج كل ما تخفيه في جعبتك، تلك الأمور التي أثقلت كاهلك طويلاً، التي لم ترمها في جوهنا سابقاً، جميعنا نعرف أنك صندوق أسرارٍ ضخم، ولكنه لطالما كان مغلقاً عن العالم، أستطيع اكتشاف البعض صدقني، لتخرج ما أنتظر رؤيته أولاً، ما تسره خلف لطفك وابتسامتك الدافئة، لست الوحيدة التي تستطيع التخمين، أنت لا تجيد كتمان ذلك، أشعر بالأسف لكبريائك يا فتى، ولكنك تبدو أحمقاً في بعض الأحيان.

اتخذت خطاي الحذرة بعيداً عن الجدران الصدئة، أستطيع رؤية ظله، "فيني... كس؟"، لحظة، ما الذي يجري هناك؟، من صاحب تلك الهالة الضخمة الذي يقف بقرب فينيكس؟، "أمبرا!، هداً من روعك قليلاً، يكفي ذلك حقاً، لقد انتصرت بهذه المعركة، عد كما كنت، أعد تلك المخالب والأنياب إلى مكانها تحت جلدك، واحظي ببعض الراحة، أمبرا أتسمعي؟، أنت بخير؟" وارتفع صوت قهقهات أمبرا التي أعلمتني بحضور نوبة جنونه القوية، لا تكف المخالب والأنياب

عن محاولة الإطاحة بفينيكس، "أمبرا توقف، أرجوك، لا تؤذ صديقك، ستندم لفعلك ذاك لاحقاً صدقني، أمبرا كن كسابق عهدك، استعد تلك الرقعة فيك وذلك الإصرار في عينيك، لا تكن شريراً هكذا."، لم أستطع عدم التدخل، إنه أمبرا بعد كل شيء، شريك الأسرار الصغيرة سابقاً، وسافك كل تلك الدماء البشرية الآن، لا يهم فهو كان يحاول حمايتنا منهم في نهاية المطاف، سأحاول المساعدة أيضاً، يجب أن نفقه سر هذا الجنون المفاجئ، يبدو أنه لا يستطيع السيطرة على نفسه، فإن كان قادراً لما اختار البقاء على هذه الحال، "أمبرا، استجب لنا ولو واحداً بالمئة، سنخرجك من هذا الجنون أقسم، سنعيدك لوعيك، ولكن كن متعاوناً"، تمتت بعض الأدعية الصغيرة عسانا نحصل على إشارة ما، أعلم أنه يستطيع إنهاء أمري في لحظة ولكن لا بأس، لن يفعل ذلك على أي حال، حدسي لا يكذب، لقد قيد فينيكس شعلات أطراف صديقه بالكاد، وتأهب للدفاع السريع إن حصلت أي حركة مفاجأة، اصبر قليلاً أمبرا، سنوصلك إلى المركبة على الطيبة فيكتا تجد لك علاجاً ما، ازدد لعابي بصعوبة، يبدو أن فينيكس متوتر أيضاً، يحاول جر صديقه ببطء على هذه الأرض الجافة، لحظة، من ذا الذي يعدو إلينا بكل تلك السرعة، يمكنك الاستمرار بالسير فينيكس، أمبرا يحتاج مساعدتك الآن، وعلى كل حال، أنا من أستطيع التفاوض مع هذا الآن، ففي النهاية إن العم ويليام لا

يستطيع التواصل مع الماجلان كما نفعل نحن، ولكنه يستطيع إيصال ما يريده لي، وأضف إلى ذلك إنه لن يقتلني أو ما شابه، لا يبدو أنه ينوي شراً الآن، هذا ما يقوله حدسي، وقد ذكرت ذلك كثيراً، هو لا يخيب.

"مرحبا أيها البشري الوحش، سررت بلقائك"، كانت كلماتي هادئة بما يكفي لتصنع وقعا ثقيلاً في الأجواء، ولم أشعر إلا بدنو العم مني وشروعه بالصراخ عنوة: "أنا الوحش هنا؟، ألا ترين ذلك؟، ألم ترعبك كل تلك الجثث؟، ما كل ذلك الهدوء الذي تتحلين به؟، ألا يجب أن تحزني على ما أسقطه فريقكم من بشرٍ على الأقل؟، أم أنك قد غدوت كحالهم؟، بتلك الوحشية"، تبدو متوتراً ويليام، وها أنت تعطيني قبساً من ذلك التوتر، وكأنك ستتهال علي ضرباً في أي لحظة، وما شعرت إلا بكفٍ ثقيلة تجذبني من ساعدي بعيداً عن العدو، لقد أفرعني ذلك، كان سريعاً، "أنا بخير أُمبراً، شكراً ولكن يمكنك تركي الآن، أحتاج لفهم ما يريده ذلك العجوز"، يبدو أنه لم يفقه ما أحاول إيصاله هنا فهو لا ينوي إرخاء تلك القبضة، أعلم أنها تضغط علي بقوة ولكن ذلك مريح نوعاً ما، ذلك غريب، أحقاً أُمبراً ليس بوعيه؟، "فقط ما الذي تريده منا، سيد ويليام"، وكانت إجابته أوضح مما توقعته، بسيطة للغاية، "السلام، فقط السلام، ويمكنكم استشارة قائد فريقتي في ذلك"، ما تلك الكلمات المبهمة سيدي؟، ألسنت القائد؟، أتعلم؟، رافقنا

إلى موقعنا المتهاك للتفاوض مع قادتنا أيضاً، فأنا لست جيدةً في ذلك، وأشرت بأناملي ليتبع غريمننا خطاي إلى مسكننا المهشم، أترون؟، سأكون عوناً لإنهاء هذه المجزرة في النهاية.

"أوه ويليام، تخيل!، ستحصل على ما تطلبه بتلك السهولة، كما كنت تفعل دائماً، أتعرف؟، لتفعل ما تشاء مع فريقنا، ولكن أنا لا أنوي مسامحتك أو أيّاً من أعضاء تلك المنظمة القذرة، هذا مؤسفٌ أليس كذلك؟، كنت لأدعُكم وشأنكم حتى بعد سفككم لكل تلك الأرواح، ولكن ولسببٍ ما قررت أن أصبح شريراً، سأنتقم لتلك الأرض التي جعلتم منها حفنةً من الرماد والبارود، لكل تلك الأرواح المهذرة، لموت ياقوت المزيف، ولحياة ماريا التي انتهت بطلبها الصفح حتى من ذنبٍ لم يكن خاصتها، لطالما جعلتها المنظمة تحلم بالهروب بعيداً، وها قد فعلت، هل أنت سعيدٌ بذلك؟، أمل ألا تكون كذلك لأنني لا أنوي كبت غضبي عليك، عليكم جميعاً، يمكنك ألا تخشى مني لأنني لست بتلك القوة، ولكنني سأحاول إخراج ما لدي وحسب."، تيم!، منذ متى وأنت هنا؟، وما تلك الكلمات القوية المغلفة بالعبارات التي تلفتت بها الآن؟، لا تكن صادقاً بذلك أرجوك، لا أريد أن يكون ما سمعته صحيحاً، ماريا لم تستلم بتلك السهولة، أقسم على ذلك، هي ليست بذلك الضعف، أليس كذلك؟

"أحقاً؟، أتعرف؟ لا أنوي الاستسلام هنا صديقي، لنستكمل مسيرنا، أريد محاولة إنقاذ حيوات ما تبقى من الطرفين وأعتقد أن ذلك أولى من انتقامك لزوجتك الراحلة تيم، داني سيحزن لذلك، صحيح، سأواصل معه للإبقاء على حياة تلك الفضائية هناك، لا تريدون خسارتها أيضاً رغم أنها تفعل ببطء، سنحاول ردع ذلك من أجلكم، الطريق من هنا؟، إذاً هيا بنا لننهي أمر هذه المجزرة"، لقد تحليت بالهدوء على حين غرة، من أين لك بكل ذلك؟، ولكنك على حق، مسحت دموعي المزدحمة على وجنتي بسرعة وعدت للمسير، حلول السلام أخيراً؟، لم تكن ماريًا لترضى بذلك.

تصدر القائدة ستيلًا برفقة الحكماء من الماغلان هذا المجلس، مقابلهم ويليام الذي جاء طالباً كبح هذا الجنون الذي أنهى حيوات ما تبقى من البشر في هنيهة، هل ستحلُّ هذه المعضلة وحدك سيدي؟، مقابل أغلب الماغلان الحاضرين هنا، وابنك، ورهينتين المقيدتين، ألا تحتاج لمساعدة؟، أم أنك تخفي لنا مفاجأة ما؟، لم أهتم بذلك كثيراً، فقد انشغلت عن هذا الاجتماع لتوديع ماريًا بطريقة لائقة، لقد كان مهيباً حضور تيم الثقيل وهو يرفع جثة زوجته الراحلة ويمر من أمام الجميع إلى الخارج، لم يعر أي اكراتٍ لما يناقش الآن، واكتف برمق ويليام بتلك النظرة التي تشي بالكثير، تبدو آثار العبرات جليةً على ملامحك الجافة صديقي،

كلنا كذلك، ولكنني أحاول كبح نفسي من الانهيار بصعوبة، لا أحد بخيرٍ هنا، لا أحد يحتاج للحصول على المزيد من المشاكل، يا الله!، نحن نريد بعض الأمان، ها أنا أحمل الكثير من الخوف والحزن في جعبتي، ولكنني لا أريد البكاء الآن، حسناً، لدي فكرة أفضل للتخلص من كل تلك المشاعر السلبية لتصفية ذهني.

اتخذت مجلسي مقابل ذلك القفص الصغير الذي احتجز أمبرا خلف قضبانه وشرعت بسرد ما يجول في رأسي بهدوء، فأنا أحتاج للبوح بالكثير، ومن لي أفضل من أمبرا صندوقاً لأسراري؟ لا تهمني تلك الأنياب الشبقة التي احتلت هدوء ملامحك، ولا تلك المخالب التي سألت عليها دماء البشر الحمراء، فحتى لو لم تعرني سمعك الآن سأظل على منوال هذا، سأروي لك ما يجري هنا حتى تخرج معافاً لترى العالم مجدداً بنفسك، وحتى أصبح بتلك الجرأة بأسر لك بكامل حقيقتي، وحينها فقط سيفهم كلانا أنني لا أحتاج لتلك الشجاعة التي ذكرتها سابقاً لأبقى بجانبك، فأنت هنا لحمايتي، كما فعلت منذ قليلٍ رغم كونك في أعلى نوبات جنونك، ولا أحتاج لامتلاك ستٍ وأربعين صبغياً لأكون كسائر البشر بالنسبة لك، ولكنني لا أنوي كوني كذلك، استمر برؤية تلك الهالة المميزة المحيطة بي أمبرا، فذلك يعجبني نوعاً ما.

حشود الماجلان مجتمعون حول هذا المجلس الصغير لمعرفة ما ستؤول إليه الأمور، يبدو أنها نتائج سارة، الجميع يبتسم بكل ما وُلد فيه من سعادة، لقد كانت كل تلك الضجة سبباً كافياً لدفعي للحضور، فأنا أيضاً فضولية بشأن ما يجري هنا، "لحظة، أنتهينا من كل تلك العداوات الآن؟، بهذه البساطة؟، إذا دعوني أقدم لكم عرضاً مميزاً نختم به هذه الجلسة الهادئة، داني، أتسمعي؟، كن صديقاً طيباً وتعال إلى موقعنا، أنت تعرفه، وأيضاً أحضر لي آخر الملفات التي صورتها لك، أريد البوح بما لدي."، كان ريان يدحرج اللؤلؤة الصغيرة بين أنامله وهو يتكلم بكل تلك الثقة، يحركها بحرية على الرغم من الأغلال الضاغطة على معصمه بقوة، لقد كشف عن سلاحه أخيراً، أتريد إنهاء خطتك الآن؟، ها نحن ذا صديقي.

"أظنون أن كلماتي هذه ستكون كذبة أخرى؟، لا، لا، أنوي خداعكم هذه المرة، لقد كانت السابقة لإثبات الحقيقة لقائدي فقط، حانت ساعة إخماد ذلك البركان الذي أضمر كل شيءٍ بحممه التي لا ترحم، أعلم أنني أحمل قبساً منك ولكنني لطالما كبحت نيرانني، كنت تستطيعين فعل ذلك أيضاً، أم أن إسقاط الأرواح قد راقك؟، لقد تخلصت من أبي أولاً، وماذا بعد؟، المزيد من الدماء تجري على جلدك القاسي، هل تستمتعين بذلك؟، ومن كان ليكون ضحية جنونك الأخيرة؟، ما

تبقى من البشر والماجلان؟ نعلم أن الهجوم الذي دمر كل ما حاول الفضائيون النجاة به كان من صنعك، لن تستطيعي الإنكار، إن داني يحمل ما يكفي من الأدلة لإثبات ما أقول، تلك اللؤلؤة الصغيرة قد التقطت كل ما أردت الاحتفاظ به، فقد كانت بحوزتي، التخلص من حشرةٍ أخرى، أكانت تلك خطتك؟، وكأنني كنت أنفذ ما أمرت به هكذا فقط، أستكون قطرات الدماء والدموع الصغيرة التي تلفظها الضحية كافيةً لإيقاف جريان النهر الأحمر الذي يسري بين أناملنا؟ قتل ريا، أو إيقاف جنونك هذا وإعادة دفعة القيادة إلى مالكةها الحقيقي، أستطيع الاختيار، وتضليلك أيضاً، وإن كنت سأخسر ثقة الجميع هنا، ماذا في ذلك؟، أنا أسعى لإنهاء مهزلتك هذه لأجل حيواتهم فقط، واسمحي لي بطرح سؤالٍ آخر أمي، ذلك المشرط الصغير ليس جديداً، كم روحاً قد سرقت شفراته؟، أتستطيعين عدها؟، "، كانت كلمات ريان تلك كفيلاً لتجميد الجموع مجدداً، أتصدقون ما يقول؟، أنا أفعل، أعرف ريان جيداً، قادرٌ على التحكم بمجرى الأحداث هنا كما يشاء بحكمة، ولكن ما الذي كنت أتوقعه من أوليفيا؟، إنها تبتسم، ولكنها محطمة، " يبدو أنك أدهى مما توقعت، فخورةٌ بك بني، لقد فضلت السلام على حياة والدتك، إن كنت تعدني كذلك من الأصل، أنت محق، لا حاجة لتخبرك عدوتك بذلك، يبدو أنني من بدأت برمي أسلحتي على مركبتكم، أتعلم؟، كنت أحاول الحفاظ

على هالتنا الزجاجية وسلامنا الصغير، ذلك السلام الذي وُلد بنهاية البشرية، أكان ذلك صائباً؟، كانت خطتي أيضاً، منذ أن اختفى قائدنا وترك لنا خطته المستقبلية على حاسوبه، لا أتذكر كيف ولكنني قد اخترقته وغيرتها إلى ما أشاء، ليس إبادة البشر فقط، هناك الكثير من الأمور الجنونية التي حدثت بسببي، ولكنني لم أستطع التوقف، كانت تبدو وكأنها ليست خطط القائد ولكن أحداً لم يكشف أمرني، آسفة أيها العم ياقوت، أنا من أمر باغتيالك، كان يجب على ماريما الحصول على اعتذارٍ مني أيضاً، كانت خطة القائد هي الحصول على المفكرة فحسب، وقد امتلك نسخة منها بالفعل قبل اختفائه، كانت بحوزته في رحلته الطويلة وأظن أنها قد تحولت إلى حفنةٍ من الرماد الآن، آسفة أيها القائد، أستطيع مناداتك باسمك بما أنك هنا، آدم فقط، هكذا أسهل، أعلم أنني قد دمرت كل ما حاولت وأمك بناءه، لقد أردت الحكم أيضاً، لم يكن ذلك ممتعاً، آسفة لمحاولتي التخلص من شقيقتك، إنها خطة قديمةٌ بعض الشيء، لم يكن يجب للرحلة الواحدة والعشرين النجاة بجلودهم هكذا، أو أن نراهم خمسةً هنا، وليس أربعة كما خططت، وكأنني لم أستطع الشعور بغرابة تصرفات ويليام أثناء قيامه بطقوس تلك المهمة، لن يكون موت ياقوت كافياً لإسقاط كبريائك، الجميع سيشعر بذلك إن فكروا قليلاً بالأمر، لم تكن لتبكي هكذا على مجرد صديق، أنت منافق، لم تخدعني، ليس أنا

فقط، لقد شعرت ريباً بذلك أيضاً، أردت كشف أمرك ولكنني لم أملك دليلاً كالذي استطاعت تلك الفتاة الحصول عليه، لقد نبشت قبره، ما تلك الشجاعة التي أحاطت بها روحها في تلك اللحظة؟، وما ذلك التهور الذي قام به ريان حين ساعدها في تنفيذ الفكرة الجنونية تلك؟، أظن أنك قد عرفت لاحقاً بأنكم قد كشفتم عن طريق اللؤلؤة الصغيرة، اللؤلؤة التي تهز العالم مراراً وتكراراً، ريان، أتعلم كم روحاً قد لامست دماؤها جلدي؟، واحدة، لقد كان المشرط الصغير سلاحاً، كان والدك رجلاً طيباً بنياً، لا أعلم كيف امتلكت كل تلك الجرأة لإنهاء حياة من كان لطيفاً معي أولاً، لم ألوث أناملي بالدماء بعدها أبداً، كان الخداع والاحتيال أسهل، تهديداً واحداً يكفي لإسقاط العديد من الجثث، كانت حياة مخزية، حان لبركاني أن يخمد أخيراً، ما رأيك سيد آدم؟ أيّ عقابٍ سأتلقي أيها القائد؟"، شرعت الأعين تتقلب بين ريان وأوليفيا وادم، أنلك ما عناه ويليام حين قال أنه ليس القائد الحقيقي؟، لم أتوقع ذلك، حين رحل آدم في رحلتهم المستحيلة ترك خلفه مجموعة من المخططات المستقبلية، ولكن أوليفيا قد عبثت بها، وأيضاً استطاع آدم الاستحواذ على المفكرة السوداء حيث رافقته في مهمته، هذا ما يفسر وجودها بين رفوف كتب الماجلان، لقد حطت مركبتهم قرب نوبس باغو مما أدى لمساعدة ذلك البشري النصف حي لينجو، أستطيع تفسير الأمور الآن، إذاً ما نهاية هذه

الحرب؟، لقد نشبت أخرى داخل المنظمة بالفعل، ولكن قائدهم قد أخمد هذه الشعلة في لحظة، "كفوا عن مناداتي بذلك، أغلب الأمور التي ذكرتها الآن سيده أوليفيا لا أعرفها، لا أعتقد أنني سوف أستطيع الحكم بتلك المعرفة القليلة عما يجري هنا، دعوا الأمر لمن نبش في جميع الزوايا للظفر بالحقيقة الكاملة، ريان أتمتلك تلك الشجاعة لتنتهي عرضك بالطريقة الصحيحة؟"، ها هي وثاق ريان تُفك أخيراً، يبدو أن الماجلان يستمتعون بعرضك صديقي، وها هو يدنو من أوليفيا المقيدة بخطأ ثقيلة وتسمر فجأة أمام غريمه محاولاً استجماع كل تلك المشاعر السلبية التي اجتاحت جسده منذ زمنٍ في نقطةٍ واحدة، ولكن طيفاً ما قد وقف عائلاً دون ذلك، "أنت متأكدٌ من ذلك ريان؟، لن أقول لك أنك لست شجاعاً بما يكفي لإنهاء هذا العرض الدموي ولكنك ستضغط على نفسك مرةً أخرى، وستندم على ذلك ما لم يردعك أحدٌ الآن، صدقني لا أحد يريد رؤية قطرة دماءٍ أخرى هنا، حتى ولو كانت لعدوة الجميع هنا، لم أتوقع قول ذلك يوماً ولكن دعني أنهي أمر خطتك للانتقام لنا عند هذا الحد، لمَ ستنتقم لتلك الأرواح التي ترقد بسلامٍ الآن؟، ولنا نحن الذين اخترنا الحصول على بعض الهدوء اليوم؟، لا تفكر بوالدتك على أنها عدوةٌ لنا من الآن فصاعداً، فهي قد تساعدنا في إعمار هذه الأرض في نهاية المطاف، أسفةٌ على الوقوف في طريقك وهدم ما كنت

تبنيه سرّاً منذ سنوات، ولكنك لا تبدو بخير، وأنا هنا
 لأساعدك هذه المرة، رداً على ما اعتدته منك دائماً
 صديقي."، رغم صغر حجمها مقارنةً بهذا المجلس
 الكبير إلا أن ريا قد جذبت كل العيون إليها، وأولهم
 عينا ريان التي وشت بالكثير، ولم نشعر إلا بذلك
 الرأس الثقيل يميل على كتف ريا بقوة، وعلا صوت
 النحيب في المكان معلناً عن صعوبة ما اخفاه هذا الفتى
 داخله طويلاً، ها هي ريا تمسح على رأس صديقها
 بحنان، لقد تبادلت الأدوار هذه المرة أصدقائي، كانت
 تبدو ريا هي الهادئة هذه المرة لولا فقدانها للسيطرة
 أخيراً وشروع العبرات بالهروب إلى وجنتيها ببطء، لم
 أستطع مقاومة تلك الابتسامة الكبيرة التي أصرت على
 الظهور بعد انتهاء ذلك النحيب، يبدو أن الجميع قد
 ابتهج كما لم يفعل من قبل، لم أرَ ريا بتلك السعادة
 سابقاً، لطالما كانت تلك الفتاة التي لا تجيد التفاوض، ها
 هي الآن تجلس مسندةً جذعها إلى أحد الجدران محاولةً
 إخفاء ملامحها الفرحية خلف أناملها المغطية لوجهها
 المحمر الصغير، لم تتبعدين عن الحشود مجدداً؟، ألا
 تريدن إظهار ما في داخلك؟، لا تجيدن إخفاءها،
 وماذا إن عرف الجميع بسعادتك؟، سيشاركون في
 صنع المزيد من أجلك، نعم أنك أكثرنا تأثراً بما يحدث
 هنا، كدت تخسرين كل شيء، ولكنك الآن قد استعدتي
 كل ما تطاله يدك في النهاية، حتى من ظننته في
 الجانب الآخر، إنهم هنا من أجلك، نحن هنا من أجلك،

لتعيشي أياماً أفضل من التي مضت على الأرض، فقط
دعي الأمور الجميلة تحدث بسلاسة، وحاولي أن
تكوني أكثر تفاؤلاً، تستحقين ذلك صديقتي، فقد حان
الوقت لنحظى بحيواتنا مجدداً.

"وبعد أن حلّ السلام أخيراً؛ ما الذي سيحدث تالياً؟،
نحظى ببعض الهدوء، نوسّع نطاق أراضينا ونعيد
صنع التطور، وماذا أيضاً؟، نموت؟، هكذا فقط؟،
ننقرض مجدداً؟ أهذا ما تخططون لفعله؟، ولكن لحسن
حظكم أنني أملك فكرة أفضل، فقط استمعوا لما أقول
للمرة الأخيرة."، لا تجعلني أضحك ريان، ألم تكن
منهاراً منذ قليل، ما سر كل ذلك الحماس الآن، لا أحد
يحب المقدمات، امضِ بذلك أسرع قليلاً، يبدو أن
ابتسامةً يشوبها بعض الخبث قد احتلت براءة ملامحك،
أهي ذاتك الحقيقية التي تنوي إظهارها للجميع من الآن
فصاعداً؟، لا تكن صريحاً إلى ذلك الحد، تبدو شريراً،
ريان اللطيف يليق بك أكثر، ألا تنوي استكمال ما بدأت
به لتوك؟، لم تعد تستطيع التراجع، لن أدعك تتهرب،
ها أنت ذا، كادت شففتك تتحرك لولا أن صوت
صديقك آدم المفاجئ قد حطم الهدوء المصنوع لأجل
كلماتك تلك، وكأننا لم نفقه ذلك بعد، ولكنك تملك
الفرصة لتكون شجاعاً يا فتى، "ما كل تلك الثقة
صديقتي؟، لم اعتد عليك هكذا، ولكن لا تتفاءل كثيراً،
فخصمك رغم كل شيءٍ أصعب هذه المرة."، وما كان

رد ريان إلاب "اصمت" مرافقةً لضحكةٍ فشل في
كبحها، وارتفع صوت القهقهات ليملاً المكان ضجيجاً
لطيفاً، أترى؟، لم يعد سراً، ولم يكن كذلك سابقاً بالنسبة
لي.



ASRU

للنشر الإلكتروني

-٤٣-

ريا...

أطالع انعكاس ملامحي في المرآة الصغيرة بفتور، من أين ظهرت لي هذه أصلاً؟، لا يهم ذلك بقدر أهمية ما أراه الآن، يبدو أنني قد ازددت شحوباً وعيناي تكاد تخرج من محاجرهما خوفاً من أن يحتلها ذلك السواد الذي اكتسى جلدي أسفلها، وجنتاي لم تعد لطيفة كالسابق، العظام تبرز بوضوحٍ على ما تبقى منها، وخصلات قد طالت بشكلٍ ملحوظ، تدغدغ عنقي مع كل حركةٍ من رأسي، أمرر بناني الصغير على أثر جرح عنقي واضغط بقوة، إنه يتماثل للشفاء، ولكنه لن يختفي تماماً، ستبقى ندبةٌ تذكرني بتلك اللحظات المشؤومة في كل مرةٍ أطالع فيها انعكاسي المحطم على المرآة، أسندت جذعي إلى أحد الجدران الصدئة ملقياً كامل ثقل جسدي الصغير عليه، رفعت قلنسوتي لتغطي شعري ونصف جبھتي واحتضنت نفسي بقوة، أحتاج إلى هذا الحنان، عساي أحظى ببعض القوة لأحتفل مع الجميع بحلول الهدوء بعد قليلٍ رغم أنني لا أريد ذلك، يبدو أن المناقشة على وشك الانتهاء والابتسامات قد شرعت ترسم على الوجوه، أمل حدوث ذلك دائماً، يبدو جميلين بلامحهم الفرحية هذه، لحظةً واحدة، لمَ عادت الوجوه للعبوس مجدداً؟ ما الذي يقصه الفتى ريان عليهم الآن؟ توقف أرجوك!، لا

تدمر ما بُني الآن بكلماتك اللاسعة، ما كل ذلك الشر الذي تحاول تصنعه كهالةٍ لك؟، لا تبدو واقعياً بما يكفي بالنسبة لي، صدقني بأنني حاولت الاقتناع بما تفعل وكرهتك تماماً ولكنني لم أستطع الاستمرار بذلك، كانت كل الذكريات التي أحملها عنك في رأسي مجرد تمثيل؟، لا تجعلني أضحك، لا أحد يستطيع تزييف نفسه لعشر سنواتٍ على الأقل، أعترف أنك قد نجحت في خداعي ولكن ليس لمدةٍ طويلة، لقد كنت حقيقياً حتى منعك حضوري فيك عن إنهاء أمري منذ البداية، وكأنني لم أشعر بذلك السلاح الصغير الذي كاد يחדش عنقي في السابق، ولا بتلك العبرات التي ردتك عن إنهاء مهمتك ببساطة، ولكنني أخفيت حقيقة معرفتي لذلك حتى عن نفسي، فأنا كنت مغلقة العينين في نهاية المطاف، أعرف أنك ما كنت لتقوى على اغتيال يوماً، ليس الأمر لأنك ضعيفٌ أو جبان، حتى أنا شعرت بذلك، بذلك السبب الذي يجعلني واثقةً بطبيعتك حتى حين حصلت على إصابةٍ وندبةٍ كبيرةٍ بسببك لطالما كنا معاً، ولطالما عرفت أن ذلك اللطف هو ما يميز شخصيتك الحقيقية وحتى وإن كنت لم تظهر ذلك إلا معي.

يبدو أنك قد رسمت نفسك كما تريد في عقول الحاضرين، ولكن تلك الخدعة لن تنطلي علي، أنا من كنت أظهار بالقوة سابقاً، ولكنني قد تخليت عن ذلك

تدرجياً بعد أن أثبت لي أن هذا الدور لا يناسبني،
والآن أنت ترتكب نفس خطئي حقاً؟، إن كنت مصراً
على ذلك فدعني أردعك، فالأمر أصعب مما تتوقع،
وأسوأ من أن أدعك تخوض فيه.

ألا تكفي كل تلك الجثث لجعلك تتوقف صديقي؟، لقد
خسرنا أصدقائنا هناك، ولكن خطتك لا تزال قائمة، ها
أنت تنوي إنهاء ذلك العرض بالانتقام، دعني أوقفه إذاً.

إنها دافئة، تلك العبرات التي تتزاحم على كتفي الآن،
لا بأس صديقي، تستطيع البكاء بقدر ما تريد، يريحك
ذلك، ودون أن أشعر صرت أهمس لريان بهدوءٍ بالكاد
استطعت تصنعه وأنا أطبب على رأسه بلطف:
"تعرف بأني سأكون دائماً هنا لتزيل حمل رأسك
الثقيل على كتفي، لا تدع العالم القاسي والتنفيذ الحازم
للخطة، وهي نسيانك كل تلك الأيام التي عشناها معاً،
الأيام التي كنا فيها أنا وأنت ضد العالم، الأيام التي
لطالما أحببتك فيها."، لم صرت أبكي أنا أيضاً الآن؟،
أحقاً أنا بتلك السعادة؟، وكان الأمر مفاجئاً؟ حسناً، وما
الضير في ذلك؟ فإنها جزءٌ مني في نهاية المطاف،
ليس السعادة فقط، بل الكثير من المشاعر التي حاولت
طمرها سابقاً، فهي كانت كنزي وسري الصغير،
ولكنني سوف أفرج عنها من الآن وصاعداً.

بالكاد أكتم ابتسامتي الكبيرة، هل انتهيت من جعل
الأمر أضحوكةً آدم؟، حسناً لقد كان ذلك مضحكاً

بالفعل، الجميع يطالعني وكأنهم يتساءلون: "ما رأيك؟"، عن أي رأي تتحدثون؟، ألم أكن بذلك الوضوح من البداية؟ لكن حقاً أنا أخشى أنني أريد سماع المزيد، "حسناً، ولم لا؟" وتضخمت تلك الابتسامة لتحتل شحوب وجهي بالكامل، ولكن أحقاً أستحق كل ذلك؟، منذ تلك الأيام التي كنت أبغضك فيها صديقي إلى اللحظة، بكل تلك الندوب التي تسيطر عليّ، بعنادي الشديد وسخطي وحقدي بشخصيتي السيئة وبملاحمي المتعبة، إنها المرة الأولى التي أشعر فيها أنني قد مُنحت أكثر مما أستحق، شكراً لحصولي على كل ذلك الامتتان والسعادة الآن، والأمان والعون سابقاً، تعرف أنها لم تمح من رأسي، كل الذكريات بيننا، لقد أخبرتك منذ قليل بأن تسترجعها أنت أيضاً، ولكن يبدو أننا لم نعد بحاجة للماضي نقفأ عليه بعد الآن، فما نحن قد وضعنا خططنا المستقبلية بالفعل، هل سأعيش في ذلك الحلم مجدداً؟ ولكنه ليس داخل رأسي هذه المرة، فهو لم يعد حلماً، لقد أصبح حقيقة!

للنشر الإلكتروني

- ٤٤ -

فلمة...

لقد كان جميلاً، الانتهاء من كل ذلك، الابتعاد عن الحرب والشروع بالتقدم لإعمار هذه الأرض، يبدو الجميع بأفضل حالٍ بعد مرور أشهر فقط على ذلك، هم يجيدون التأقلم، العيش للغد وليس للماضي، لكن لا تخافي ماريًا فهم لم ينسوا أمرك، مازالوا يذكرونك في صلواتهم جميعاً رغم اختلافها من شخصٍ لآخر هنا كل يوم، وهناك أمبراً من يدعون لأجله أيضاً، من المؤسف أنه لم يستعد وعيه بعد، ولكننا لم نفقد الأمل في ذلك، وخاصةً ميسان، فهي لا تكف عن زيارته وإخباره بما يجري معنا هنا خارج قفصه الصغير، وقبل أن تغادر تتلو له قيساً مما تحفظه من كتاب دينها المقدس، إن من المريح سماع ذلك وخصوصاً من الفتاة التي كنت سبباً في عودة صوتها إلى العالم منذ البداية.

للنشر الإلكتروني

-٤٥-

لونا...

لقد مرت خمس سنواتٍ على الحرب بالفعل، لم تعد تلك العداوة موجودةً الآن، لسنا أفضل أصدقاءٍ مع أولئك البشر ولكن التعاون بيننا يكفي، نكتشف المزيد من المناطق المؤهلة للسكن على هذا الكوكب الكبير، وهناك أصدقائي يصنعون بعض الأجهزة التي ستعيننا على العيش، يبدو أن الاحتفاظ بمفكرة الطبيب كان مفيداً في نهاية المطاف، أجلس أمام هذا المكتب الكبير أخطط لرحلة البحث القادمة، سحراً، بالكاد تصل أناملي إلى الطاولة، ألم أكبر؟ وكأنني لا أعرف إجابة ذلك، اهدئي لونا، هناك أمورٌ أهم لتشغل تفكيرك الآن، على بعد مئات الكيلومترات شمال موقعي هذا، سأذهب للاستطلاع رفقة ستيف آلي العم ياقوت، حسناً، لا مزيد من التخطيط الآن، يكفي ما بحثت فيه، سأحظى باستراحةٍ قصيرةٍ قبل الانطلاق، أشعر أنني متعبَةٌ ولكن لا بأس، ليس بالأمر الخطير، اتخذت خطاي المترنحة إلى حجرتي ولكن أحداً ما قد اصطدم بي، ركزت نظراتي على هذا الطيف الصغير محاولةً معرفة هويته، وكان هذه الأرض تحوي أطفالاً سواك، "نوقا، حذاري خطاك، كدت تسقطين."، في الواقع إنه خطأي أنا، لم أستطع رؤيتك، أسفةٌ ولكنه يومٌ شاق، أمل أن يمر بسلام.

حبات الغبار تغزو عيناى، الرياح تجذب خصلاتى
البيضاء لتجذب رؤيتى تماماً، ما هذه الأرض
الصاخبة بألحان الرياح العاتية؟، أحاول التقدم فى
سيرى بصعوبة، لقد سقطت عدة مراتٍ بالفعل انتصب
ولكن التعب يتفشى فى بقوةٍ فى كل مرةٍ ألامس
الأرض فيها، أشعر بنبضاتى تتباطأ رويداً، ما الذى
يحدث؟، أبصاري تُغشى، لم أعد أستطيع القيام بعد
آخر سقوطٍ لى، أحاول إمساك حبات الرمال بكفى
الصغير ولكن جسدى بأكمله يرتجف، لا جدوى، لن
أستطيع السيطرة على ذلك الارتعاش على أى حال، لن
أستطيع إبعاد تلك الأطياف السوداء من أمام عيني،
أحاول رشقها ببقايا حبات الرمال العالقة بين أناملى
ولكنها لا تهتز، أشعر بالبرودة تحتل أطرافى، وكان
أحدهم يدوس قلبى بقدمه الضخمة، توقف!، لم أستطع
الصراخ، أردت ذلك لىتنى أتخلص من ذلك الألم الذى
يتحكم فى دون أدنى رحمة، المعدن الذى صُنعت منه
قد تجمد، ودمائى تآبى استكمال مسيرها فى جسدى
الصغير، أتراه المحرك ينوي الاستسلام؟، أنا لا أريد
ذلك!، بل أريد رؤية المزيد من هذه الحياة الهادئة، نوحاً
لا تكفى لتشعرنا بكل ذلك السلام والتسامح المحيط بنا،
وكان ألماً ما قد أُخفى بين هذه الأيام الجميلة، أعلم، إنه
خاصتى، أستطيع الشعور بذلك، أو أننى أفقده تدريجياً؟
هل كاد يختفى؟ إلى الأبد، شرعت عبراتى الثقيلة
بتبلييل هذه الأرض الباردة قبل أن تتطاير مع الرياح،

لن أزيلها، لا أستطيع تحريك ذراعي من الأساس، يبدو أن ستيف قد تجمد أيضاً، لنرقد في سلام، إنها النهاية، ألا يكفي إلى هذا الحد؟، لقد رأيت ابتسامات الجميع بالفعل، وعشنا أياماً لا تُنسى، يبدو أن سيل الذكريات سيتوقف الآن، أشعر بالجليد يسيطر عليها وعلى عقلي، أي فكرة أخيرة قبل التقاط آخر أنفاسي؟، لم أعد أستطيع إيجاد المزيد، لا قوة لي لأنبش بين كومات الجليد، إذاً لم يعد هناك المزيد، فقط لم لا أجعلها استراحتي الأبدية؟، فكرة لطيفة، لن أشعر بالصقيع مجدداً، لن أحاول جاهدةً للتقاط المزيد من الأوكسجين المتجمد ليهدم رئتي بعد الآن، يبدو أن قلب ذلك السارق المسروق يعلن استقالته من هذا العمل الرتيب أخيراً، ماذا عساي أن أقول؟، يكفي ما ضخخته من دماءٍ إلى الآن، وداعاً، فقط وداعاً، لا لقاء، يبدو أن تلك التجربة الفاشلة قد أنهت ما قد استفاقت من أجله، أليس كذلك أيها العم رجل القبضة الحديدية؟

للنشر الإلكتروني

تمت...

نوبس باغو

"المغامرة ما بين السُّدم واللاحياة"

اتخذت خطاي لأرحل إلا أن صوت سعالٍ من خلفي قد أصمَّ أذناي مرةً أخرى، كدت أعود للجنة لولا جموح المركبة بقوةٍ مما جعلني أخرج إلى الحشود المجتمعة سويةً مترقبين ما ستؤول إليه الأمور، أصواتٌ غريبةٌ أشبه بالقذائف تحتل هدوء المكان، تهوي المركبة بشدةٍ والنيران قد أضمرت في المحرك، تجمد لساني وشرعت أطرافي ترتجف، كذلك أصدقائي البشر المجتمعين حولي، همهمت ماريا تقول والابتسامة الساخرة ملء شذقيها: "اتوقعنا احتلالاً هادئاً لهذه الأرض؟، لن نُرحم" محقة، ولكن هيهات هيهات أيها العالم اللعين!، لن نُهزم هنا!"

للنشر الإلكتروني

جنى دباغ...

نوبيس باغزو

واتخذت خطاي لأرحل إلا أن صوت سعالٍ من خلفي قد أصمَّ أذناي مرةً أخرى، كدت أعود للجلثة لولا جموح المركبة بقوةٍ مما جعلني أخرج إلى الحشود المجتمعة سويةً مترقبين ما ستؤول إليه الأمور، أصواتٌ غريبةٌ أشبهه بالقذائف تحتل هدوء المكان، تهوي المركبة بشدةٍ والنيران قد أضمرت في المحرك، تجمد لساني وشرعت أطرافني ترتجف، كذلك أصدقائي البشر المجتمعين حوالي، همهمت ماريا تقول والابتسامة الساخرة ملء شذقيها: "أتوقعنا احتلالاً هادئاً لهذه الأرض؟، لن نرحم"، محقة، ولكن هيهات هيهات أيها العالم اللعين!، لن نهزم هنا!.

أسرود

ASRUD

شركة التكنولوجيا

جيتا